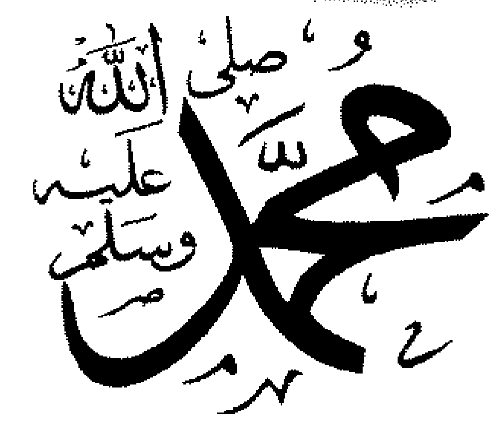
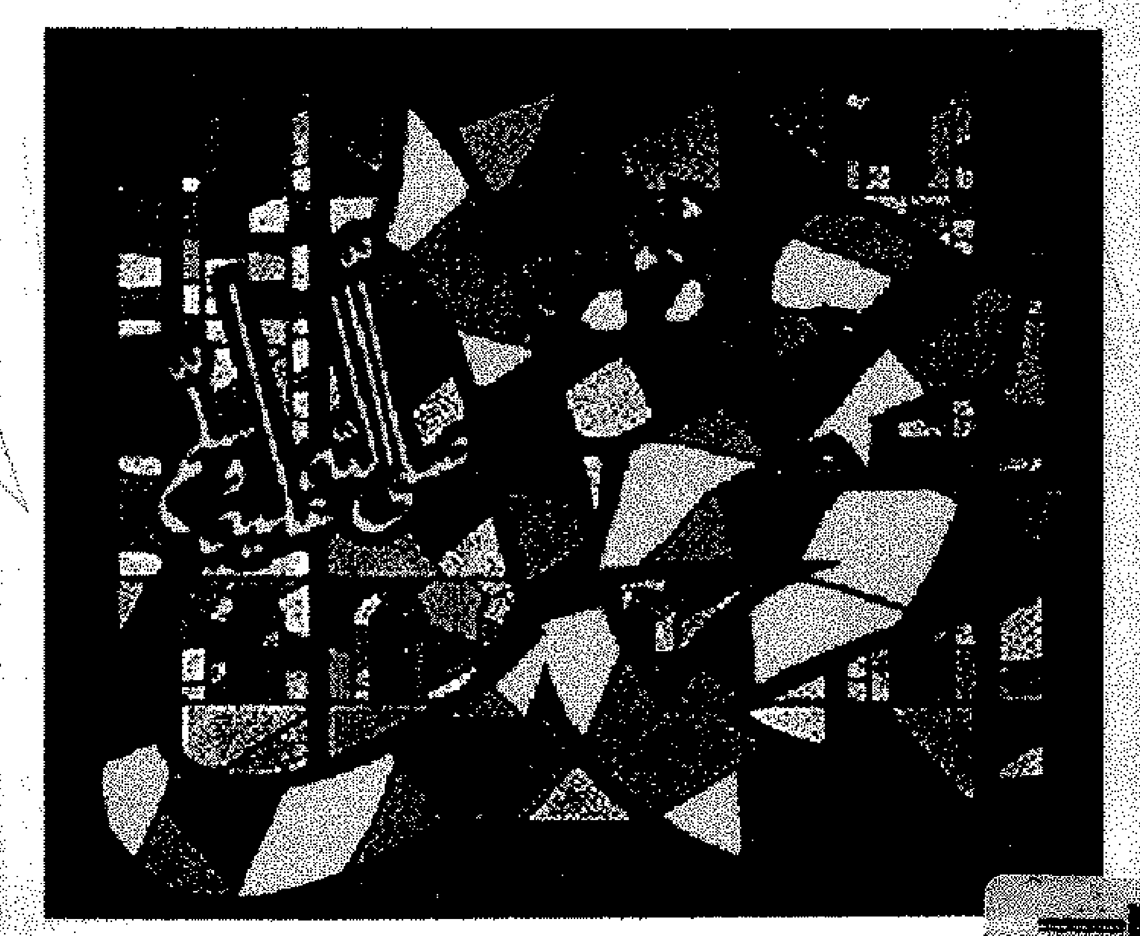


كما ورد في

كتاب اليهود والنصارى



تأليف

البروفسور عبد الأحد داود

ترجمة

محمد فاروق الزين

مكتبة العبيكان



كما ورد في كتاب اليهود والنصارى

تأليف

البروفسور عبد الأحـــــد داود

(قسيس إرميا في إيران سابقاً)

ترجمة

محمد فاروق الزين

ح مكتبة العبيكان، ١٤١٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

داود، عبد الأحد

محمد ﷺ في كتب اليهود والنصارى / ترجمة محمد فاروق الزين

- الرياض.

...ص ؛ .. سم

ردمك ٥- ٣١١ - ٢٠ - ٩٩٦٠

١ - السيرة النبوية أ - الزين، محمد فاروق (مترجم) ب - العنوان

ديوي ٢٣٩ ١٧/٢٦٥٤

ردمك : ٥ - ٣١١ - ٢٠ - ٩٩٦٠ رقم الإيداع : ١٧/٢٦٥٤

الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ-١٩٩٧م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص . ب ٦٢٨٠٧ الرمز البريدي ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾

(سورة الأعراف، الآية: ١٥٧)

نبذة عن حياة المؤلف أستاذ اللاهوت

البروفسور عبد الأحد داود

عبد الأحد داود هو كبير الكهنـة (دافيد بنجامين كلداني) أستاذ اللاهوت .B.D وقسيس الروم الكاثوليك لطائفة الكلدان، ولد عام ١٨٦٧م قرب أروميا (Urmia) في إيران وتلقى فيها تعليمه منذ طفولته.

وخلال الفترة من ١٨٨٦ إلى ١٨٨٩ عمـل فـي جهاز التعليم ضمـن بعثـة رئيس أساقفة (كانتربوري) التي كـانت توجّه النصـارى الآشـوريين (النسـاطرة) فـي أورميـا. ثم فـي عـام ١٨٩٢ أرسله الكاردينال فوجـان (Voughan) إلـى رومـا حيث تلقـى تعليمـاً فـي الدراسات الفلسفية واللاهوتية في كلية (Propaganda Fide)، وفي عام ١٨٩٥ تم تعيينه كاهناً.

وخلال تلك الفـترة سـاهم فـي مجلـة اللـوح (The Tablet) بكتابـة سلسلة مقالات حـول موضـوع (الآشورية، وروما، وكانتربوري) وأيضـاً فـي مجلـة السـجل الإرلنـدي (shiThe Ir Record) حول موضوع صحة أسفار التوراة الخمسـة (Pentateuch)، ولـه عـدة ترجمـات لقصة تحية مريـم (Ave Maria) بلغـات عديدة نشـرت فـي مجلـة (الإرسـاليات الكاثوليكيـة المصـورة)، وعندما توقف في إستانبول في طريق عودتـه إلـى إيـران سـاهم فـي نشـر سلسـلة مقـالات بـاللغتين الإنجليزيـة والفرنسية فـي الصحيفـة اليوميـة رائـد المشـرق The Levant

(Herald) حول موضوع (الكنائس الشرقية)، ولدى وصوله إلى أورميا في العام ،

انضم إلى بعثة (لازارست Lazarist) الفرنسية في أورميا ونشر لأول مرة في ت

منشورات دورية باللغة السريانية تدعى (صوت الحق)، وفي عام ١٨٩٧ انتدبه كبار

طائفة الكلدان في أورميا وسالماس لتمثيل الكاثوليك الشرقيين في مؤتمر (القربان الـ

الذي عقد في مدينة (باري لو مونيال Paray-Le-Monial) في فرنسا برئاسة الكا

بيرو(Perraud).

وقد نشر البحث الذي قدمه الأب بنجامين إلى المؤتمر في الحوليّات التي كان يد

مؤتمر القربان المقدس تحت اسم الحاج (Le Pelerin) وفي هذا البحث انتقد كبير

الكلداني (ذلك كان لقبه الرسمي الجديد)، نظام التعليم الكاثوليكي بين النساطرة وتوقع

الكهنة الروس في أورميا في القريب العاجل.

وفي عام ١٨٩٨ عاد الأب بنجامين إلى إيران حيث أقام في قرية (ديجالا) مسقط

التي تبعد ميلاً واحداً عن المدينة وافتتح فيها مدرسة مجانية، وبعد عام واحد أرسلته الس

الكنسية إلى (سالماس) كي يتولى مسؤولية الأسقفية فيها حيث كان الصراع حادا بين

الأساقفة (خوداباش) وبين الأباء اللازاريين مما كان يهدد بالانشقاق والفضيحة. وفي أو

من أيام عام ١٩٠٠ ألقى الأب بنجامين موعظته التذكارية الأخيرة وصلى بجمع كب

الناس بمن فيهم عدد من الأرمن غير الكاثوليك اجتمعوا في كاتدرائية (سان ج

خوروفاباد) في سالماس وكان موضوع الموعظة (قرن جديد ورجال جدد) وقد ذكر ؛

البعثات النسطورية قبل الإسلام كانت تنشر الأناجيل في جميع أنحاء آسيا وأنه كانت لهم

مؤسسات في الهند (خصوصا في ساحل مالابار) وفي بلاد التتار والصين ومنغوليا وأنها ترجمت الأناجيل إلى لغة إيغور التركية وغيرها. ولكن في عصره جاءت البعثات الكاثوليكية الأميركية والإنجليزية، التي رغم أنها ساعدت أبناء الأمة الآشورية الكلدانية في التعليم الإبتدائي، لكنها سببت انقسام تلك الأمة القليلة العدد المبعثرة في أنحاء إيران وكردستان والعراق إلى طوائف متخاصمة عديدة مما أدى إلى انهيارها الكامل، ولذا فقد نصح الأب بنجامين الأهالي بأن يتحملوا التضحيات للاعتماد على أنفسهم كالرجال بدلاً من الاعتماد على البعثات الأجنبية.

كان الأب بنجامين محقاً تماما من ناحية المبدأ ولكن أفكاره لم تكن في صالح البعثات التنصيرية، لذا سارع المندوب البابوي المونسيور (ليزنيه Lesne) بالحضور شخصيا إلى سالماس لاستدعائه، وقد عاد كلاهما إلى أورميا التي تأسست فيها بعثة روسية جديدة عام ١٨٩٩ وكان النساطرة يندفعون بحماس لاعتناق ديانة قيصر عموم روسيا.

وكانت هناك خمسة بعثات أجنبية كبرى تعمل في المنطقة هي: الأميركية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية تدعم كلا منها مدارسها وصحافتها وجمعياتها الدينية الغنية والقناصل والسفراء وكانت كل من هذه البعثات تسعى لتحويل ما يقرب من مائة ألف كلداني آشوري من البدعة النسطورية إلى إحدى البدع الخمسة الأخرى.

وقد تفوقت البعثة الروسية على بقية البعثات في استقطاب الأمة الآشورية الكلدانية لكنها قامت بتحريض تلك الأمة وتحريض القبائل الجبلية الكردستانية التي هاجرت إلى سهول

سالماس وأورميا على حمل السلاح ضد حكوماتها عام ١٩١٥. وكانت النتيجة أن هلك نصف هؤلاء السكان في الحرب وطرد الباقون من أراضيهم وممتلكاتهم.

وكان التساؤل الكبير الذي تفاعل لمدة طويلة في ذهن الأب بنجامين قد اقترب أخيراً من ذروته، هل يمكن أن تكون المسيحية بفرقها وبدعها المتعددة وكتبها الملتوية المحرفة، هل يمكن أن تكون هذه ديانة الله الصحيحة.

وفي صيف ذلك العام ١٩٠٠م اعتزل كبير الكهنة في منزله الصغير وسط كروم العنب قرب نبع (شاليبولاغي) المشهور في (ديجالا) وأمضى شهراً كاملاً في الصلاة والتأمل يعيد قراءة الكتب المقدسة مرة بعد أخرى وفي النهاية قدم استقالته إلى رئيس الأساقفة في أورميا المونسنيور (توما عاودو) وشرح فيها بصراحة أسباب تخليه عن وظيفته. وقد حاولت السلطات الكنسية مراراً أن تثنيه عن عزمه ولكن دون جدوى إذ لم تكن هناك خصومات شخصية بين الأب بنجامين ورؤسائه وإنما كان الأمر يتعلق بالضمير والقناعة الشخصية.

ولعدة شهور بعد ذلك عمل السيد عبد الأحد داود، وهذا ما أصبح يُدعى به الآن، في تبريز مفتشاً في البريد والجمارك الإيرانية من ضمن الخبراء البلجيك، ودخل بعد ذلك في خدمة ولي العهد (محمد علي ميرزا) بوظيفة مدرس ومترجم. وفي عام ١٩٠٣ ذهب إلى بريطانيا وانضم إلى جماعة الموحدين Unitarian Community التي أرسلته عام ١٩٠٤ إلى إيران كي يقوم بمهمة التعليم والتوعية بين مواطنيه. وفي طريقه إلى إيران توقف في إستانبول كعادته حيث أجرى مناظرات عديدة مع شيخ الإسلام جمال الدين أفندي وغيره من علماء المسلمين اعتنق الإسلام على إثرها.

تعريف عن كتب اليهود والنصارى

تعريف: يطلق في العربية اسم (الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى) أو باختصار الكتاب المقدس كترجمة لما يسمى في الإنكليزية والفرنسية Bible وهو ينقسم إلى قسمين رئيسيين:

أ – القسم الأول: يسمى العهد القديم Old Testament الخاص باليهود وقد قبله النصارى أيضا كجزء من كتابهم المقدس ويتكون من ٣٩ تسعة وثلاثين سفرا هي:

١ ـ سفر التكوين	٢ ـ سفر الخروج	٣ ـ سفر اللاوين
٤ ـ سفر العدد	٥ ـ سفر التثنية	٦ ـ سفر يشوع
٧ ـ سفر القضاة	٨ ـ سفر راعوث	٩ ـ سفر صموئيل الأول
١٠ـ سفر صموئل الثاني	١١ ـ سفرالملوك الأول	١٢ ـ سفر الملوك الثاني
١٣ ـ سفر الأيام الأول	١٤ ـ سفر الأيام الثاني	١٥ ـ سفر عزرا
١٦ ـ سفر نحميا	١٧ ـ سفر استير	١٨ ـ سفر أيوب
١٩ ـ سفر المزامير	٢٠ ـ سفر الأمثال	٢١ ـ سفر الجامعة
٢٢ ـ نشيد الانشاد	٢٣ ـ سفر أشعيا	٢٤ ـ سفر إرميا
٢٥ ـ سفر المراثي	٢٦ ـ سفر حزقيال	٢٧ ـ سفر دانيال
٢٨ ـ سفر هوشع	٢٩ ـ سفر يوئيل	٣٠ ـ سفر عاموس
٣١ ـ سفر عوبديا	٣٢ ـ سفر يونان	٣٣ ـ سفر ميخا
٣٤ ـ سفر ناحوم	٣٥ ـ سفر حبقوق	٣٦ ـ سفر صفنيا
٣٧ ـ سفر حجي	٣٨ ـ سفر زكريا	٣٩ ـ سفر ملاخي

ويطلق على الأسفار الخمسة الأولى المذكورة أعلاه اسم Pentateuch أي الأسفار الخمسة اختصاراً، وتسمى هذه الأسفار الخمسة: التوراة مجازاً رغم أنه ليس لها علاقة بالتوراة الحقيقية باستثناء نصوص وعبارات مبعثرة بقيت من الأصل، ومن المعلوم أن أسفار العهد القديم كتبت بعد موسى عليه السلام على فترات طويلة امتدت مئات السنين وكثير منها عبارة عن تاريخ قومي للشعب اليهودي، أما مؤلفوها فليسوا بالضرورة الأنبياء الذين تنسب إليهم الأسفار إذ لا يعدو ذلك مجرد التخمين أو التمني، وقد تُرجم العهد القديم إلى اليونانية في القرن الثالث قبل الميلاد في الإسكندرية أيام الإسكندر الكبير وبعده، وأُطلق على هذه الترجمة اليونانية اسم (السبعينية Septuagint) وهي الترجمة التي هيمنت فيما بعد على مؤلفي العهد الجديد كما سنرى.

ب ـ *__القسم الثاني:__* ويسمى العهد الجديد New Testament وهو خاص بالنصارى فقط، ولا يعترف به اليهود، ويشتمل على سبعة وعشرين سفراً هي:

١ ـ سفر متى	٢ ـ سفر مرقس
٣ ـ سفر لوقا	٤ ـ سفر يوحنا
٥ ـ أعمال الرسل	٦ ـ رسالة بولس إلى رومية
٧ ـ رسالة بولس الأولى إلى كورنثية	٨ ـ رسالة بولس الثاني إلى كورنثية
٩ ـ رسالة بولس إلى غلاطية	١٠ ـ رسالة بولس إلى افسس
١١ ـ رسالة بولس إلى فيليبي	١٢ ـ رسالة بولس إلى كولوسي
١٣ ـ رسالة بولس الأولى إلى تيسالونيكي	١٤ ـ رسالة بولس الثانية إلى تيسالونيكي

١٥ ـ رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس
١٦ ـ رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس
١٧ ـ رسالة بولس إلى تيطس
١٨ ـ رسالة بولس إلى فيليمون
١٩ ـ رسالة بولس إلى العبرانيين
٢٠ ـ رسالة جيمس
٢١ ـ رسالة بطرس الأولى
٢٢ ـ رسالة بطرس الثانية
٢٣ ـ رسالة يوحنا الأولى
٢٤ ـ رسالة يوحنا الثانية
٢٥ ـ رسالة يوحنا الثالثة
٢٦ ـ رسالة يهوذا
٢٧ ـ رؤيا يوحنا

يطلق مجازا اسم الأناجيل Gospels على الأسفار الأربعة الأولى من العهد الجديد وهي أسفار متّي ومرقس ولوقا ويوحنا، والمفترض كما يبدو من أسمائها أنها كتبت من قبل حواريّي عيسى المسيح عليه السلام، وهي من جملة عشرات الأسفار الأخرى التي كانت شائعة في العصر المسيحي الأول ثم أبطلها المجمع المسكوني الأول الشهير الذي انعقد في نيقية (إزنيق الحالية) في آسيا الصغرى عام ٣٢٥ ميلادية تحت رعاية الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الكبير حيث تقرر اعتماد هذه الأربعة فقط وإحراق الباقية، ولذا يطلق عليها لقب الأناجيل القانونية أو المعتمدة Canonical Gopels.

ومن الواضح أن الإنجيل المشار إليه في القرآن الكريم هو غير الأناجيل القانونية المعتمدة، ولكن المعني به أصل الوحي الذي نزل شفاهة على عيسى المسيح عليه السلام، وهو المشار له بين معاصريه بالاسم اليوناني (إيفانجليون) أي البشارة السارة وقد اشتق منه

اسم الإنجيل باللغة العربية، ويحتمل أن الأناجيل المتعددة اشتقت منه بعض موادها وبعض التعاليم المنسوبة إلى عيسى المسيح عليه السلام.

طبعات الكتاب المقدس:

إن طبعات الكتاب المقدس ليست متماثلة فهي تختلف بحسب الزمن الذي صدرت فيه وبحسب الطوائف المسيحية التي أصدرتها فطبعة الروم الكاثوليك Roman Catholic Version ويرمز لها اختصارا RCV تشتمل على سبعة أسفار إضافية لا يعترف بها البروتستانت إذ يصفونها بالخرافية أو الأسطورية Apocrypha وهكذا فإن طبعة الروم الكاثوليك تشتمل على ثلاثة وسبعين سفرا في حين طبعة البروتستانت تشتمل على ستة وستين سفرا. ويلاحظ أنه منذ منتصف القرن السادس عشر تقرر طبع العهدين القديم والجديد في مجلد واحد على أثر حركة الإصلاح الديني التي قام بها المحتجّون (البروتستانت) في أوروبا إذ يعتبرون الكتب اليهودية جزءا من كتبهم المقدسة.

التطور التاريخي لطبعات الكتاب المقدس:

من المعروف أن عيسى عليه السلام تكلم اللغات التي كانت دارجة في فلسطين وقت بعثته وهي اللغتين الآرامية والعبرية ومن المعروف أيضا أن العبرية هي إحدى لهجات اللغة الآرامية، غير أن أقدم مخطوطات الأسفار الموجودة بين أيدينا الآن قد كتبت باليونانية وليس بالعبرية أو الآرامية التي تكلمها عيسى المسيح والحواريون عليهم السلام، وهكذا فإن ما يسمى بالأناجيل أو الأسفار التي نسبت إلى الحواريين قد كتبت باللغة اليونانية ويعود تاريخ أقدمها إلى العام ١٧٥–٢٠٠ بعد الميلاد.

أما النسخة الآرامية المسماة (البشيتا Peshitta) الموجودة بين أيدينا اليوم والمكتوبة باللهجة السريانية فهي مترجمة عن الأصل اليوناني ومثلها النسخة اللاتينية المسماة (فالجيت Vulgate) فقد ترجمت عن اليونانية أيضا. أما الترجمة إلى اللغة العربية فقد ذكر الأب شدياق R.P.Chediac أن أول نص مسيحي ترجم إلى العربية كان مخطوطا بمكتبة القديس بطرس عام ١٠٦٠م (كتاب الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي).

أما أول ترجمة من اللاتينية إلى الإنكليزية فكانت عام ١٥٣٦ قام بها شخص يدعى وليام تايندل وقد لاقى معارضة مريرة من الكنيسة بسبب عمله هذا ثم قبض عليه وأعدم حرقا بالنار بتهمة إفساد معاني الكتاب المقدس، والواقع أن الكنيسة كانت تعتبر الكتاب المقدس حكرا على رجال الدين لا يحق لعامة الناس الاطلاع عليه، ورغم ذلك فقد أصبحت ترجمة وليام تايندل أساسا لعدة تراجم ظهرت بعده.

وأخيرا قامت كنيسة الروم الكاثوليك عام ١٥٨٢ في ريمس Rheims بإصدار ترجمتها الخاصة ثم أعيد إصدارها في دوي Douay عام ١٦٠٩ وهي أقدم ترجمة رسمية عن النص اللاتيني المسمى فالجيت Vulgate، ثم عام ١٦١١ صدرت عن كنيسة إنكلترا الطبعة المسماة طبعة الملك جيمس King James Version ويرمز لها اختصار KJV وسميت أيضا الطبعة المعتمدة Authorized Version أو AV اختصارا، وفي عام ١٨٨١ جرى تعديلها وصدر بدلا منها ما سمي بالطبعة المعدلة Revised Version أو RV، ثم عدلت أيضا عام ١٩٥٢ فصدر ما يسمى بالطبعة المعدلة النظامية Revised Standard Version أو RSV، وتكرر التعديل عام ١٩٧١ واحتفظت بنفس الاسم RSV اختصارا وقد ورد في

مقدمة هذه الطبعة الأخيرة ما يلي: (هذه الطبعة هي نتيجة مجهود اثنين وثلاثين من كبار العلماء تدعمهم لجنة استشارية تمثل خمسين من الطوائف المتعاونة مع بعضها البعض) وقد ذكروا في المقدمة ما يلي تعليقا على طبعة الملك جيمس المعتمدة: (اشتملت طبعة الملك جيمس على عيوب عميقة وهي من الكثرة وعلى درجة من الخطورة مما اقتضى تعديلها... إلخ). ومن الجدير بالذكر أن هذه الطبعة المعدلة النظامية الأخيرة قد حذفت الإشارة الوحيدة التي كانت موجودة في العهد الجديد عن (التثليث) وهي التي كانت مذكورة بالفقرة ٧ من الفصل الخامس من رسالة يوحنا الأولى (انظر مقدمة الطبعة المعدلة النظامية RSV).

وأخيرا صدر في العام ١٩٩٣ في أمريكا طبعة جديدة للأسفار الأربعة المعتمدة بالإضافة إلى سفر توماس وأطلق عليها طبعة العلماء Scholars Version, SV اشترك في تحقيقها أكثر من مئتين من كبار العلماء ودكاترة اللاهوت في أمريكا أطلقوا على تجمعهم اسم ندوة عيسى The Jesus Seminar (انظر كتاب الأسفار الخمسة Mcmillan Publishing Co., The Five Gospels) وقد ذكروا فيه ما يلي عن الأسفار (الأناجيل) الأربعة المعتمدة (جميع الأناجيل Gospels ـ الأسفار ـ كانت متداولة في الأصل بدون أسماء مؤلفين لها إلى أن قررت الكنيسة الأولى تحديد مؤلف لكل منها، وفي معظم الحالات كان التحديد نتيجة تخمين أو تمني عن حسن نية!).

وقد قرر محققو هذه الطبعة أن ٨٢ ٪ من الكلام المنسوب إلى عيسى في الأناجيل غير صحيح ولم ينطق عيسى به، ورغم أن كتابة الأناجيل بدأت بعد العام ٧٠ ميلادية غير أن أقدم مخطوطات الأناجيل الموجودة بين أيدينا اليوم يعود تاريخها إلى ١٧٥ عاماً بعد وفاة السيد

المسيح عليه السلام وهي مختلفة عن بعضها البعض بحيث لا يتشابه منها اثنان، ومن الواضح أن مؤلفيها كانوا على خلفية من الثقافة اليونانية (الهيلينيستية) مما أضفى على كتبهم طابع الترجمة السبعينية للعهد القديم إذ يبدو تأثيرها على كتاباتهم جليًا. وهكذا فإن بولس مؤسس المسيحية الحالية، والذي تنسب إليه أجزاء كبيرة من العهد الجديد والذي لم يشاهد المسيح قط، لا يعتبر عيسى المسيح سوى رمزا لأفكار هلنستية غامضة ولا يمثل المسيح بالنسبة له أي رسالة ذات مغزى، ومع ذلك تنسب إلى عيسى المسيح أقوال من قبل أتباعه تجعل منه مسيحيا يؤكد معتقداتهم رغم التباين الكبير بين أراء ومنظور عيسى المسيح عليه السلام وبين الآراء المسيحية والمنظور المسيحي، وهذا يفسر ما يطلق على المسيحية الحالية من أنها (مسيحية بولس Pauline Chritianity).

إن أقدم إشارة إلى الإنجيل الشفهي، أي الذي كان يتداول شفاهة، هو ما ذكره بولس في رسالته الأولى إلى كورنثوس (٣/١٥ ـ ٥) وقد كان هذا الإنجيل الشفهي متداولا حين كتب مرقص الإنجيل المنسوب إليه وفيه مثلا النبوءات عن الآلام المنسوبة إلى السيد المسيح والمذكورة في سفر مرقص (٣١/٨) و(٣١/٩) و(٣٣/١٠)، وقد اقتبسها مرقص من الكلام المتداول وكتبها بصياغة ((مسيحانية)) يظهر منها واضحا أنها كتبت بعد حدوث الوقائع بزمن ثم وضعت على لسان عيسى، ومن جهة أخرى فقد كان مؤلفو الأساجيل يضعون على لسان عيسى الأقوال والأفكار التي يريدون الترويج لها ويعتقدون أنها مناسبة لما يجب أن يقال (انظر كتاب الأسفار الخمسة The Five Gospels, Mcmillan Publishing Co. New York).

المصطلحات:

في هذا الكتاب عندما تتم الإشارة إلى نصوص الكتاب المقدس فإن الرقم الأول يشير إلى رقم الفصل، والرقم أو الأرقام الباقية بعد إشارة التقسيم تشير إلى رقم العبارة أو أرقام العبارات مثلا: لوقا (١١/٥ ـ ٧) تعني العبارات رقم ٥ إلى ٧ من الفصل رقم ١١ في سفر لوقا، وكذلك مرقص (٨/٣١) تعني العبارة رقم ٣١ بالفصل ٨ من سفر مرقص.. إلخ.

محمد فاروق الزين

الفهرس

القسم الثاني: محمد كما ورد في العهد الجديد.

تمهيد

نبي الجزيرة العربية كما جاء في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى

(وحي من جهة بلاد العرب) (سفر أشعيا٢١/١٣)

يضم هذا الكتاب سلسلة من الدراسات الرائعة بقلم الأب البروفسور عبد الأحد داود. وهي من العمق والأصالة بحيث أن فهمها قد يفوت الكثيرين بمن فيهم بعض رجال الكهنوت في الكنيسة المسيحية.

ومن المدهش أن هذا العالم قدم أبحاثه مستعيناً بالنصوص الآرامية والعبرية واللاتينية واليونانية في الوقت الذي يوجد فيه القلائل حتى من بين رجال الكهنوت ممن يستطيعون فهم الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس (The Vulgate) المعتمدة عند الكنيسة الكاثوليكية، والقلائل أيضا ممن يفهمون النص اليوناني الأصلي لكتب العهد القديم.

ومهما كان تقويم مثل هذه الدراسات في نظر أعدائها فلا شك أن الكثيرين عاجزون عن تذوقها، أضف إلى ذلك أن الغموض الذي يلازم تنبؤات الكتاب المقدس يجعلها مرنة بصورة كافية لتغطي تقريباً أي موضوع.

وهناك صعوبة كبرى تواجه الدراس، فكيف يمكن للمرء أن يعتمد على بينة أو شهادة من كتاب كان ـ باعتراف الجميع ـ محشواً بالفلكلور ومشكوكاً في أصالته! على أنه يمكن الاعتماد في المناقشة على أقسام من الكتاب المقدس التي لا تسمح بجدل لغوي. فمثلاً لنقرأ الكلمات

الواردة في العهد القديم والموجهة إلى موسى عليه السلام (سفر التثنية ١٨/١٨) كما وردت في نص النسخة المنقحة المعتمدة (RSV) التي نشرتها جمعية الكتاب المقدس البريطانية:

(أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه). (سفر التثنية ١٨/١٨).

فإن لم تتحقق هذه النبوءة في محمد فإنها تبقى غير متحققة حتى الآن. أما عيسى المسيح فإنه لم يدع قط أنه النبي المشار إليه وكان الحواريون بعده يتطلعون إلى عودته مرة ثانية لكي تتحقق النبوءة[1] ولكن الواضح أن عودة المسيح مرة ثانية لن تحقق النبوءة فالمسيح كما تؤمن به الكنيسة سوف يظهر كقاضٍ وليس كمشرِّع بينما النبي الموعود هو الذي يجيء حاملاً (الشريعة المشعة بيده اليمنى) (سفر التثنية ٢/٣٣).

وللتأكد من شخصية النبي الموعود نستند إلى النبوءة الأخرى المنسوبة إلى موسى والتي تتحدث عن (النور المشع القادم من فاران) أي جبال مكة. ولنقرأ النص في (سفر التثنية ٢/٣٣) الذي يذكر ما يلي: (جاء نور الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير، وتلألأ من جبل فاران وجاء معه عشرة آلاف قديس، والشريعة المشعة بيده اليمنى) ففي الكلمات شُبه نور الرب بنور الشمس (إنه يأتي من سيناء ويشرق من ساعير) ولكنه يتلألأ بالمجد من (فاران) حيث يظهر مع عشرة آلاف قديس ويحمل الشريعة بيده اليمنى، ولم تكن لأي من الإسرائيلين

---

(١) قال موسى: (سيبعث الله من بين إخوتكم نبيا مثلي فاستمعوا إليه في جميع ما يقول لكم، ومن لم يستمع لذلك النبي يُستأصل من الناس). (مذكرات الرسل ٣/٢٢ - ٢٣).

بمن فيهم المسيح أية علاقة بـ (فاران) غير أن هاجر مع ولدها إسماعيل تجولا في متاهات سيناء في بئر السبع وهم الذين سكنوا بعد ذلك في قفار (فاران).

لقد تزوج إسماعيل امرأة مصرية، (سفر التكوين ٢١/٢١) ومن ولده الأول قيدار انحدر أحفاده العرب الذين سكنوا قفار (فاران) وكان منهم محمد الذي دخل مكة مع عشرة آلاف قديس (مؤمن) وجاء بنور الشريعة إلى شعبه، لقد تحققت تلك النبوءة في محمد حرفياً.. لننظر أيضا في النبوءة التي جاء بها النبي حبقوق (سفر حبقوق ٣/٣) وهي كما يلي: (القديس من جبل فاران، مجده غطى السماوات، والأرض امتلأت بحمده). إن كلمة (حمد) هنا ذات مغزى هام ذلك أن اسم (محمد) بالذات يعني حرفياً (المحمود) وفوق هذا فإن العرب وهم سكان قفار (فاران) كانوا قد وعدوا أيضا بنزول الوحي: (لترفع البرية والمدن صوتها، الديار التي سكنها قيدار، سكان الجبال ليهتفوا من أعاليها، وليمجدوا السيد، وليعلنوا حمده في الجزر، السيد سيخرج جباراً، ويثير الحمية كرجل حرب، ويهتف ويدوي، وينتصر على أعدائه) (أشعيا ٤٢/١١ ـ ١٣).

وهناك أيضا نبوءتان مهمتان، الأولى وردت في سفر أشعيا (أشعيا ٦٠/١-٢، ٦-٧): (انهض فقد جاء نورك، ومجد الرب أشرق عليك، ها هي الظلمة تغطي الأرض والأمم، أما عليك فيشرق نور الرب ويرى مجده عليك فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك، تغطيك أعداد الجمال الكثيرة، جمال مدين وعيفة، كلها تأتي من شيبا تحمل ذهباً وبخوراً، كل غنم قيدار تجتمع إليك، وأكباش نبايوت تخدمك، تصعدُ مقبولة على مذبحي، وسوف أعظم بيت مجدي).

والنبوءة الثانية أيضا (أشعيا ٢١/١٣-١٧) تقول: (وحي من جهة بلاد العرب، في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدانيين، هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء، وافوا الهارب بخبزه، فإنهم من أمام السيوف قد هربوا، ومن أمام القوس المشدودة، ومن أمام أهوال الحرب، فإنه هكذا قال الرب، في مدة سنة (كسنة الأجير)، يسقط كل مجد قيدار، وبقية الأقواس من أبطال بني قيدار تضمحل).

ولنلاحظ الترابط المدهش بين هاتين النبوءتين وبين تلك التي وردت في سفر التثنية عن (النور المشع القادم من فاران).

لقد سكن إسماعيل في قفار (فاران) حيث ولد له قيدار وهو الجد الأكبر للعرب، وكتب على أولاد قيدار أن يأتيهم الوحي من الله وأن تقدم الأضاحي تمجيداً لـ (بيت الله) حيث كان الظلام يلف الأرض لقرون عديدة، كما كتب على أحفاد قيدار ورماتهم وأبطالهم أن يضمحلوا خلال سنة واحدة بعد الهجرة أمام السيف المسلول والقوس المشدود، فهل هناك من يعنيه هذا الكلام غير شخص واحد من (فاران) هو محمد؟ فمحمد هو من نسل إسماعيل وقيدار، ومحمد هو النبي الوحيد الذي تقبل العرب عن طريقه الوحي الإلهي عندما كان الظلام يلف الأرض، ومن خلال شعّ النور اللإلهي في (فاران)، ومكة هي البلد الوحيد التي يعظم فيها بيت الل ه، وفيها تقدم الأضاحي عند (بيت الله) لقد اضطر محمد بعد أن اضطهده قومه للهجرة من مكة وانتابه العطش أثناء هربه من السيوف المسلولة والأقواس المشدودة، وبعد عام واحد من هجرته قابله أحفاد قيدار من مكة في موقعة بدر وانهزم أحفاد قيدار (الذين يحملون الأقواس)، ثم انحسرت كل أمجادهم، فإذا لم تقبل محمد على أنه النبي تحققت فيه كل هذه النبوءات، فإن

ذلك يعني أن تلك النبوءات لم تتحقق بعد كما أن (بيت الرب الذي يمجد اسمه فيه) والمشار إليه في سفر أشعيا (٧/٦٠)، هو بيت الله الحرام في مكة وليس كنيسة المسيح كما يعتقد المفسرون المسيحيون، إن أضاحي قيدار كما هو مذكور في سفر أشعيا (٧/٦٠) لم تقدم على مذبح كنيسة المسيح، كما أن أحفاد قيدار هم الوحيدون الذين لم يتأثروا بأية تعاليم من كنيسة المسيح، وكذلك فإن قصة عشرة آلاف قديس في سفر التثنية (٢/٣٣) ذات مغزى هام، لأن حادثة فتح مكة هي الوحيدة في تاريخ فاران التي حققت تلك القصة، لقد دخل محمد مكة على رأس عشرة آلاف مؤمن من اتباعه لقد عاد إلى (بيت الله) وبيده اليمنى خاتمة الشرائع.

إن (الهادي) أو(روح الحق) الذي بشر به المسيح لم يكن غير محمد ولا يمكن أن يكون (الروح القدس) كما تدعي النظريات اللاهوتية، إذ يقول المسيح: (لأنه من المناسب لكم أن أرحل بعيدا، لأنني إن لم أذهب بعيدا فإن الهادي لن يجيء إليكم ولكنني إذا رحلت فإني مرسله إليكم) (إنجيل يوحنا ٧/١٦) مما يعني بوضوح أن (الهادي) يجب أن يجيء بعد المسيح وأنه لم يكن موجودا معه، فهل يمكن أن نفترض أن المسيح كان مجردا من الروح القدس إذا كان مجيء الروح القدس مشروطا بذهابه؟أضف إلى ذلك أن الطريقة التي وصفه بها المسيح تدل على أنه إنسان من البشر وليس روحاً: (فهو لن يتكلم من ذاته ولكن سوف يتكلم بما يسمعه من الوحي) (يوحنا ٣/١٦).

إن كلام المسيح يشير بوضوح إلى رسول من الله، وهو يدعوه (روح الحق) والقرآن يتحدث عن محمد بهذه الصفة تماماً فيقول: ﴿بل جاء بالحق وصدّق المرسلين﴾ (سورة الصافات، الآية: ٣٧).

مقدمة المؤلف

سوف أبيّن من خلال هذه المقدمة والفصول التي تليها أن العقيدة الاسلامية هي العقيدة الصحيحة تماماً، خاصة فيما يتعلق بالذات الإلهية وفيما يتعلق بخاتم رسل الله، وأنها متفقة في ذلك مع تعاليم الكتاب المقدس.

وسأكرس هذه المقدمة لمناقشة النقطة الأولى، وفي الفصول التالية سوف أبرهن أن محمد هو الهدف الحقيقي (للعهد)، وأن نبوءات العهدين القديم والجديد قد تحققت فيه وحده دون غيره فعليا وحرفيا.

ويودي الإيضاح أن الآراء المطروحة في هذا البحث وما يتبعه من فصول هي آراء شخصية بحتة أتحمل مسؤوليتها وحدي كما أتحمل مسؤولية أبحاثي في الأسفار العبرية المقدسة، وفي نفس الوقت لا أدعي أنني حجة في شرح تعاليم الإسلام.

كما لا أنوي ولا أرغب في إيذاء مشاعر أصدقائي النصارى، فأنا أحب المسيح وموسى وإبراهيم كما أحب محمد، وكافة أنبياء الله الآخرين، قال تعالى: ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ (سورة آل عمران، الآية: ٨٤).

وليس الغرض من كتابتي هذه إثارة جدل عقيم ومرير مع الكنائس دون جدوى ولكن لدعوة الكنائس إلى بحث ودي ولطيف لهذه المواضيع البالغة الأهمية بروح من المحبة والموضوعية، وإذا تخلى النصارى عن محاولتهم العقيمة لتعريف جوهر الإله، ثم اعترفوا

بوحدانيته المطلقة، فإنه يصبح ممكنا تحقيق الوحدة بينهم وبين المسلمين، لأن نقاط الخلاف الأخرى بين الديانتين قابلة للتسوية بسهولة.

صفات الله سبحانه وتعالى:

هناك نقطتا خلاف أساسيتان بين الإسلام والنصرانية جديرتان بالبحث سعيا وراء الحقيقة والسلام الشامل. وبما أن كلاً من الديانتين ترجع بأصلمها إلى مصدر واحد فيترتب على ذلك أن لا يكون هناك أية خلاف بينهما. فكل من هذين الدينين العظيمين يؤمن بوجود الله وبالعهد الذي أبرم بين الله ونبيه إبراهيم، ولذا يجب التوصل إلى اتفاق نهائي حول هاتين النقطتين بين الأتباع الأذكياء العاقلين للديانتين، النقطة الأولى هل المفروض أن نعتقد بتعدد الآلهة أو بإله واحد لا إله غيره، والنقطة الثانية مَن من الاثنين: عيسى أو محمد هو المقصود بالعهد الإلهي Divine Conveant؟ لا بد من التوصل إلى إجابة نهائية قاطعة على هذين السؤالين.

أولاً: من العبث محاولة تفنيد أراء الذين يفترضون بدافع من جهل أو خبث أن إله الإسلام يختلف عن الإله الحقيقي أو أنه مجرد إله خرافي ابتدعه محمد ولو عرف القساوسة واللاهوتيون النصارى كتبهم المقدسة بلغتها الأصلية العبرية والآرامية بدلاً من التراجم (كما يعرف المسلمون قرآنهم بنصه العربي الأصلي)، لاتضح لهم أن الله هو نفس الاسم السامي القديم للكائن الأعلى الذي بعث آدم وجميع الرسل من بعده.

إن الله تعالى هو الكائن الوحيد الموجود بذاته الموجود في كل مكان والمحيط بكل شيء وهو منبع جميع أنماط الحياة والمعرفة والقوة وهو الخالق الأوحد المنظم والمسيّر لهذا الكون.

أما جوهر الألوهية وطبيعتها فهو فوق إدراك البشر وطاقته، وإن أي محاولة لتعريف جوهر الله ليست عقيمة فحسب بل ضارة بالعبادة والإيمان ولا بد أن تقود إلى الضلال.

مع ذلك فقد استنزفت النصرانية التثليثية تفكير قديسيها وفلاسفتها لمدة تناهز السبعة عشر قرناً بحثاً عن تعريف لجوهر الإله وشخصه فما الذي توصلوا إليه؟ لقد فرض أتباع أثناسيوس وأوغسطين وتوماس الأكويني على النصارى، تحت طائلة اللعنة الأبدية، الإيمان بالتثليث وأن الله (ثالث ثلاثة) وفي هذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ (سورة المائدة، الآية: ٧٣).

وقد امتنع جمهرة علماء المسلمين عن محاولة تعريف جوهر الألوهية؛ لأنه يفوق كافة الصفات التي يمكن تعريفه بها.

إن لله أسماء عديدة تتصل بصفاته وتشتق من تجلياته المتعددة في هذا الكون الذي أبدعه وحده، وإننا ندعو الله بأسماء (القدير، الباقي، الحي، القيوم، العليم، الرحيم.... وغيرها)، لأن الصفات البقاء، والحياة، والقيومية، والعلم الشامل، والرحمة، تنبثق منه وتختص به وحده بشكل مطلق، هو وحده الذي لا حدود لعلمه وقدرته وبقائه ورحمته لأنه منه وحده تنبثق تلك الصفات، أما عندما نعزو بعض تلك الصفات إلى أحد بني البشر فإن ذلك يكون نسبياً بالمقارنة مع غيره من الناس ولا يختص به وحده.

ولمزيد من الإيضاح فإن كل فعل من الأفعال الإلهية يعتبر أحد التجليات والصفات الخاصة بالله تعالى ولكنه ليس جوهره، أما النصارى فيخلطون الصفات الإلهية بجوهر الألوهية إذ يجعلون الخالق أباً إلهياً، وكلمته ابنا إلهياً، وبما أنه نفخ الروح في مخلوقاته فإنه يُلقب بالروح القدس، وينسون أنه من الناحية المنطقية لا يمكن أن يكون الله أبا قبل الخلق، ولا ابنا قبل أن يتكلم، ولا الروح القدس قبل أن يعطي الحياة، إننا ندرك صفات الله من أعماله بعد أن دلت عليها مخلوقاته ولكن ليس لدينا الإدراك المسبق لصفاته سلفا قبل حدوث أعماله، إن الله تعالى لم يكشف لنا عن طبيعة وجوده في الكتب المنزلة ولا مكّنَ العقل البشري من إدراك ذلك.

إن صفات الله تعالى ليست شخصيات مميزة مستقلة مؤهلة، إذ لو كان الأمر كذلك لما اقتصر الحال على ثالوث من الأشخاص بل لكان هناك عشرات الثواليث ولذلك نستطيع أن نقول مثلا إن الله رحيم ولكننا لا نستطيع أن نقول بأن الله هو الرحمة، لأن الرحمة ليست هي الله ولكنها عمله وفعله، ولهذا السبب فإن القرآن دائما ينسب إلى الله صفاتا مثل: حكيم، رحيم، عليم، ولكنه لا يسميه مطلقا بألقاب: (الله محبة، ومعرفة، وكلمة) وما إلى ذلك.

وقد زعموا أن كلمة الله هي شخصية إلهية قائمة بذاتها في حين أن كلمة الله ليس لها أي مدلول آخر سوى التعبير عن علمه ومشيئته، والقرآن يُدعى كلام الله، وتطلق التسمية ذاتها على عيسى في القرآن إذ يقول: ﴿كلمة منه﴾ (سورة آل عمران، جزء من الآية: ٤٥).

ولكن من الضلال البعيد أن نعتبر كلمة الله شخصية قائمة بذاتها وأنها اكتست باللحم ثم تجسدت في شكل رجل من الناصرة أو على صورة كتاب سمي الأول (عيسى المسيح) وسمي الثاني (القرآن).

وكثيراً ما دحض الكتّاب الموحدون الأوائل العبارة الأولى من إنجيل يوحنا وجعلوا قراءتها الصحيحة كما يلي: (في البدء كانت الكلمة، وكانت الكلمة مع الله، وكانت الكلمة كلمة الله The word was God's, بمعنى كلمة الله (God's) غير أن كلمة (God's) (التي تعادل باليونانية Theou) قد جرى تحريفها إلى (Theos) أي الله. ويلاحظ من عبارة (في البدء كانت الكلمة)[1] أن الكلمة لم تكن موجودة قبل البدء. ولا يقصد بـ (كلمة الله) أنها كيان مستقل

---

(١) نشأ حول موضوع الكلمة (لوجوس Logos) جدل حامي الوطيس بين ((آباء)) الكنيسة الأوائل في القرن الثاني الميلادي وانتهى بالقضاء على الموحدين قضاء مبرما وإتلاف كتبهم حتى لم تكد تبقى أية قطعة سليمة غير محرفة من الأناجيل والتفاسير ولا من كتابات الموحدين سوى ما ورد عنهم في كتابات خصومهم مثل الأب اليوناني (فوتيوس) ومن سبقوه. وكتابات القديس (أفرايم السوري) وهو من أبرز آباء الكنيسة الشرقية وقد ألف عدة كتب منها تفسير الكتاب المقدس الذي نشر بالسريانية واللاتينية، وقد قرأت الطبعة اللاتينية معناية في رومـا، ولـه أيضـا مواعظ ورسائل اسمها (المدراشي) وكذلك (ضد الهراطقة) إلخ... وبالمقابل هناك المؤلف السوري المشهور (بارديسان) الذي ازدهرت كتاباته في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الميلادي ولكن لم يبق من كتاباته السريانية إلا ما والنساطرة واليعاقبة الآخرون وذلك من أجل دحضها اقتبسه إفرايم ويعقوب النصيبي (نسبة إلى نصيبين) وتفنيدها وما استخدمه الآباء اليونانيين في لعنهم، وقد أكد (بارديسان) على أن يسوع المسيح (كان قاعدة لتجسيد كلمة الله) ولكن المسيح والكلمة مفترقان، ويقول القديس إفرايم ما يلي في تفنيد ما يدّعي أنه هرطقة بارديسان: (ويلٌ لك أيها التعيس يا بارديسان، فإنك تقرأ بأن الكلمة كانت كلمة الله، ولكن الإنجيل لم يكتب مثل ذلك، سوى أن الكلمة هي الله)

سوى أن الكلمة هي الله) .وفي جميع المجادلات حول (الكلمة)، يوصَم الموحّدون بأنهم (هراطقة) أي منحرفون كفرة لأنهم أنكروا الاعتقاد بالأزلية والشخصية المستقلة للكلمة ! وبالمقابل كان النصارى الموحدون يوجهون تهم الكفر والهرطقة إلى القائلين بالتثليث ويعيّرونهم بأنهم حرفوا الكتاب المقدس.

ومميّز متعايش مع الله ولكنها تعبير عن علمه ومشيئته تعالى عندما قال: {كُنْ} فكان. وعندما يشاء الله أن يخلق تكفي منه كلمة الأمر {كُنْ}.

ومن عجب أن صيغة الافتتاح النصرانية (باسم الأب والابن والروح القدس) لا يذكر فيها اسم الله أصلا وتعتبر هي الإله النصراني، في حين أن الصيغة القرآنية (بسم الله الرحمن الرحيم) هي على النقيض تماما من الصيغة التثليثية وهي تعبير عن أساس الحقيقة الإسلامية.

ولا يمكن اعتبار التثليث عند النصارى مفهوما صحيحا للإله؛ لأنه يقر بتعدد أشخاص الألوهية معتبراً كلاً منهم شخصية مميزة وبشكل مشابه لأعضاء العائلة الواحدة كما هي الحال في الأساطير الوثنية، فالله ليس أباً لابن، كما أنه ليس ابناً لأب وليس له أم، وهو أزلي لا أول له ولا آخر، والاعتقاد بالله الأب، والله الابن؛ والله الروح القدس، هو كفر صريح بوحدانية الله، وإقرار متطاول بثلاثة كائنات ناقصة لا يمكن أن تكون إلهاً حقيقياً سواء كانت منفصلة أو متحدة معاً.

ونحن نعلم من الرياضيات أن الوحدة ليست أكثر ولا اقل من واحد وأن واحدا لا يمكن أن يساوي (واحدا + واحدا + واحدا)، وبعبارة أخرى فإنه لا يمكن أن يكون الواحد مساويا لثلاثة، لأن الواحد هو ثلث الثلاثة؛ وقياسا على ذلك فإن الواحد لا يساوي الثلث، والثلاثة لا تساوي واحدا، كما أنه لا يمكن للثلث أن يساوي الوحدة، فالوحدة هي أساس النظام العددي وأن جميع الأرقام هي حاصل جمع الوحدة.

والذين يدعون وحدانية الله في ثالوث من الأشخاص إنما يقولون إن كلا منهم هو(إله قدير، موجود، دائم، أزلي، وكاملٌ، لكنه لا يوجد ثلاثة آلهة قديرين، وموجودين، ودائمين، وأزليين، وكاملين، ولكنه إله واحدٌ قدير...) والمغالطة أو السفسطة واضحة في هذا المنطق.

إن اللغز التي تقدمه الكنائس يتلخص بالمعادلة التالية:

إله واحد = إله واحد + إله واحد + إله واحد

لذا: إله واحد = ثلاثة آلهة.

أولا: لا يمكن لإله واحد أن يساوي ثلاثة آلهة، بل يساوي واحدا منها فقط.

ثانيا: عندما تُسلّم بأن شخص إلهٌ كاملٌ مثل صاحبه فإن الاستنتاج بأن ١+١+١=١ ليس فقط ضرب من البطلان بل مبالغة في العجرفة أو هو منتهى الجبن، فمن العجرفة محاولة إثبات حل خاطئ لمسألة ما بعملية زائفة، ومن جهة أخرى تنقصك الشجاعة لتعترف بإيمانك بآلهة ثلاثة.

يضاف إلى ذلك أننا جميعاً - مسلمين ونصارى - نؤمن بأن الله دائم الحضور والوجود إذ هو يحيط بكل شيء، فهل يعقل أن ينطبق ذلك على كل من الأشخاص الثلاثة، أو أن واحداً منهم فقط هو الذي يحيط بالكون في وقت واحد؟.. إن الألوهية صفة لإله واحد، وهي ليست قابلة للتعدد.

ثم يقال لنا إن لكل شخص في الثالوث صفات لا تنطبق على الاثنين الآخرين. فهنالك أسبقية في الترتيب، إذ الأب يحظى بالمرتبة الأولى دوماً ويتبعه الابن، أما الروح القدس فيأتي

في المرتبة الثالثة كما أنه أقل درجة من أولئك الذين انبثق منهم. ألا يعتبر ذنبا أو هرطقة عند النصارى إذا ما أعيد ذكر الثـالوث بترتيب معكوس وصـار على النحو التـالي: باسم الروح القدس، والابن، والأب؟ لأنها إذا كانت متساوية تماما فلا داعي للحرص على الترتيب بأسبقية معينة. ومع ذلك فإن المجالس الكنسية والبابـاوات أدانت العقيدة السابيلية (Sabelian) التي أصرت على أن الله واحد ولكنه يتجلى كأب أو كابن أو كروح قدس رغم أنه نفس الشخص، وبالطبع فإن الدين الإسلامي لا يقبل الآراء السابلية.

والحقيقة أنه لا توجد عندهم مساواة مطلقة بين أشخاص الثالوث، فلو كان الأب مساوٍ للابن أو للروح القدس بكل معنى الكلمة كما هو الرقم ١ مساوٍ للرقم ١ فسيكون بالضرورة شخص واحد فقط في الإله وليس ثلاثة؛ لأن الوحدة لا يمكن أن تكون كسراً أو مضاعفاً لذاتها، إن الفروقات التي يُسلم بوجودها بين أشخاص الثالوث لا تترك أي شك في عدم المساواة، فالأب يلد وليس بمولود، والابن مولود وليس بوالد، والروح القدس منبثق عن الشخصين الآخرين، يصفون الأول بأنه (خالق ومهلك) والثاني بأنه (مخلّص أو فـادي) والثالث بأنه (واهب الحياة)، والنتيجة أن أياً من هؤلاء الثلاثة لا يكون خالقاً وحده، ثم يقولون بأن الثاني هو كلمة الأول وأن الثاني يصبح إنساناً ثم يضحى به على الصليب إرضاء لعدالة والده وبأن تجسده وقيامته تتمان بواسطة الشخص الثالث.

وأخيراً ألفت نظر النصارى إلى أنهم ما لم يؤمنوا بوحدانية الله المطلقة وينبذوا الاعتقاد بالأشخاص الثلاثة فإنهم يكفرون بالإله الحقيقي، إذ هم في الواقع مشركون كالوثنيين مع فارق واحد، وهو أن الآلهة التي يعبدها الوثني وهمية، بينما الآلهة الثلاثة للكنائس ذات طابع

خاص، فالأب هو الإله الحقيقي الوحيد أما الابن فهو عبد الله ورسوله أما الشخص الثالث وهو الروح القدس فهو واحد من ملايين الأرواح التي لا يحصيها عد والتي تعمل في خدمة الله.

لقد استخدم العهد القديم كلمة الأب مجازاً كلقب من ألقاب الله تعالى تعبيرا عن كونه الخالق الرحمن الرحيم، ولكن الكنائس أساءت استعمال اللفظ مما جعل القرآن يعرض عن استخدامه.

إن العهد القديم والقرآن يدينان نظرية التثليث، أما العهد الجديد فلا يؤيدها بصراحة ولا يدافع عنها، ولكن حتى لو احتوى على إشارة عن التثليث فذلك ليس بحجة لأن المسيح لم يشاهد العهد الجديد ولم يكتبه ولم يتكلم به، فالعهد الجديد لم يوجد في شكله ومضمونه الحالي طيلة القرنيين اللذين[1] جاءا من بعده.

والجدير بالذكر أن الكنائس الموحدة في الشرق عارضت وقاومت مبدأ التثليث ثم اتبعت رسول الله العظيم عندما شاهدت الدمار الكامل (للوحش الرابع) على يديه، إنّ الشيطان الذي كلّم حواء من فم الأفعى، قد تفوه أيضا بعبارت الكفر ضد الله تعالى عبر فم القرن الصغير الذي نبت مع القرون العشرة على رأس الوحش الرابع (سفر دانيال الفصل الثامن)، وهذا الشيطان لم يكن سوى (قسطنطين الكبير) الذي أعلن عقيدة (المجمع المسكوني) في نيقية عام

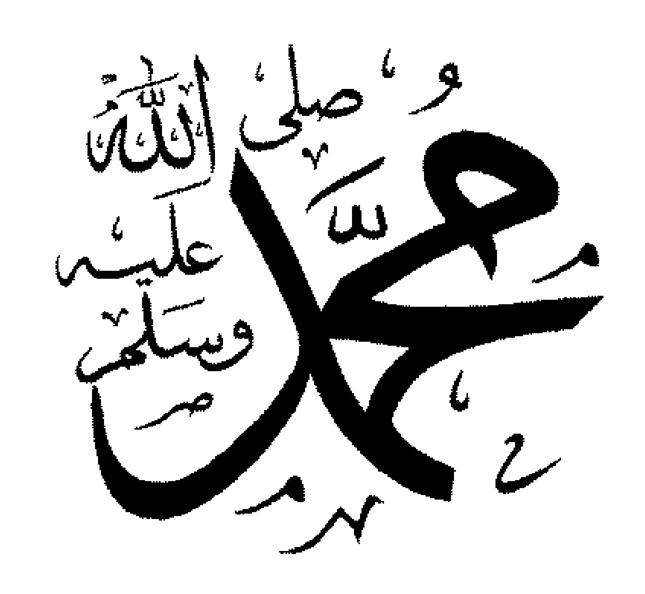
---

(١) في العهد الجديد إشارة واحدة فقط عن التثليث وردت في رسالة يوحنا الاولى بالفقرة ٧ من الفصل الخامس وقد تم حذف هذه الفقرة من الطبعة المنقحة المعتمدة Revised Standard Version.

٣٢٢م بصورة رسمية وبعنف رهيب، وأما (محمد) فقد حطم إبليس إلى الأبد في الأرض لموعودة وأقام دين الله، دين الإسلام.

عبد الأحد داود

القسم الأول



كما جاء في العهد القديم

الفصل الأول

سوف يأتي أحمد لكل الأمم

(سفر حجي ٢/٧)

سقطت مملكة إسرائيل وعاصمتها شكيم (نابلس الحالية) بيد الآشوريين عام (٧٢١ ق.م) وتم نفي سكانها من بقايا أسباط إسرائيل العشرة إلى بلاد الآشوريين ثم بعد ذلك بأقل من قرن ونصف (٥٨٦ ق.م) سقطت مملكة يهوذا، وعاصمتها القدس بيد الكلدانيين بقيادة نبوخذ نصّر وتم تدمير معبد سليمان تدميراً تاماً واعمل القتل في سلالة سبطي يهوذا وبنيامين اللذين كانوا يشكلون مملكة يهوذا ونفي من سلم منهم إلى بلاد بابل حيث بقوا في المنفى حتى سيطر قورش ملك الفرس على بابل عام (٥٣٨ ق.م) وسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين كما سمح لهم بإعادة بناء القدس والهيكل.

وعندما وضعت الأساسات لبناء المعبد الجديد ارتفعت صيحات الفرح بين اليهود، بينما استولى النحيب والبكاء المرير على كبار السن الذين سبق أن شاهدوا معبد سليمان قبل تدميره. وفي تلك المناسبة بعث الله النبي (حجي) ليعزي المجتمعين بهذه الرسالة الهامة:

(وسوف أزلزل كل الأمم، وسوف يأتي (حِمْده) لكل الأمم وسوف أملأ هذا البيت بالمجد، كذلك قال رب الجموع، لي الفضة ولي الذهب هكذا قال رب الجموع، وإن مجد ذلك البيت

الأخير يكون أعظم من مجد الأول، هكذا قال رب الجموع، وفي هذا المكان أعطى الـ (شالوم)، هكذا قال رب الجموع) (سفر حجي ٩/٧-٩).

وقد ترجمت هذه الفقرة من النسخة الوحيدة من الكتاب المقدس التي كانت تحت تصرفي باللغة المحلية والتي أعارتني إياها ابنة عمي الآشورية، وبالمقارنة مع ذلك نلاحظ أن الترجمة للكتاب المقدس ترجمت الكلمتين العبريتين (حِمْدَه) و(شالوم) إلى (الأمنية) و(السلام) على التوالي.

لقد أعطى المعلقون اليهود والنصارى أهمية قصوى للوعد المزدوج الذي احتوته النبوءة المذكورة آنفا، وكلاهما يفهمون من كلمة (حِمْدَه) نبوءة مسيحانية Messianic، فلو فسرت هذه النبوءة بالمعنى المجرّد لكلمتي (حِمْدَه) و(شالوم) على أنهما (الأمنية) و(السلام) أصبحت النبوءة لا شيء سوى أمنيات مبهمة غير ذات مغزى، ولكن لو فهمنا من كلمة (حِمْدَه) أنها شخصية حقيقية ومن كلمة (شالوم) أنها ديانة منزلة وقوة فعالة، عندئذ تصبح هذه النبوءة صادقة ومتحققة في شخصية أحمد ودين الإسلام، ذلك لأن كلمتي (حِمْدَه) و(شالوم) تؤديان بدقة معنى كلمتي (أحمد) و(الإسلام).

ومن المفيد قبل إثبات تحقق هذه النبوءة في (أحمد) و(الإسلام) إيضاح أصول هاتين الكلمتين:

١- لنأخذ كلمة (حِمْدَه): يُقرأ النص باللغة العبرية الأصلية هكذا (في يا فو حِمْدَه كُول هاجوييم) مما يعني حرفياً: (وسوف يأتي حِمْدَه لكل الأمم) والكلمة مأخوذة من اللغة العبرية

القديمة أو الآرامية وأصلها (حِمْدْ) وتُلفظ بدون التسكين (حِمِدْ) مما يعني في العبرية في العبرية (الأمنية الكبيرة) أو(المشتهى) أو ما يتوق إليه المرء. وفي اللغة العربية يأتي الفعل (حَمِدَ) من جذر الكلمة نفسها (حـ م د) بمعنى الإطراء والمديح.

ومن هنالك أكثر استحقاقاً للمديح من الشخص الذي يُشاق إليه ويُرغب فيه؟ومهما كانت المعاني المشتقة من جذر الكلمة تبقى الحقيقة الحاسمة التي لا جدال فيها وهي أن كلمة (أحمد) هي الصيغة العربية لكلمة (حِمْده).

وفي قوله تعالى: في سورة الصف الآية السادسة: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد..﴾. وفي إنجيل يوحنا الذي كتب باليونانية ورد اسم (باراكليتوس Paracletos) وهو صيغة غير معروفة في الأدب الإغريقي ولكن كلمة (بيريكليتوس Periqlytos) هي التي توافق وتطابق تماماً اسم (أحمد) في معناه ومغزاه ولا بد أنها كانت الترجمة اليونانية الأصلية لكلمة (حِمْدَه) الآرامية كما لفظها عيسى المسيح.

٢ـ أما أصل كلمة (شالوم) و(شلاما) بالعبرية، وفي العربية (سلام) و(إسلام) فلا حاجة لأن أثقل على القارئ بتفاصيل لغوية؛ لأن أي متخصص في اللغات السامية يعرف أن كلمتي (شالوم) و(سلام) مشتقان من أصل واحد وكلاهما تؤديان معنى السلام أو الاستسلام.

ونستشهد بنبوءة أخرى من سفر (ملاخي) وهو الكتاب الأخير في العهد القديم: (**سوف أرسل رسولي فيمهد الطريق أمامي، وفجأة سوف يأتي إلى هيكله السيد الذي تطلبونه، رسول العهد الذي تُسرون به، إنه سوف يأتي، هكذا قال رب الجموع) (سفر ملاخي ٣/١)**.

ولنقارن بين هذا الوحي الغامض وبين قوله تعالى في الآية الأولى من سورة الإسراء: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾.

مما يعني أن الشخص القادم فجأة إلى الهيكل حسب سفر حجي وسفر ملاخي هو محمد وليس المسيح وإليكم الأدلة على ذلك:

١ ـ إن العلاقة والتشابه بين كلمتي (حِمْدَه) و(أحمد) وبين جذر الكلمة (حـ م د) التي اشتقّا منها لا يترك أدنى شك بأن الفاعل في عبارة (وسوف يأتي حِمْده لكل الأمم) إنما هو(أحمد) أي (محمد) كما أنه لا يوجد أدنى صلة في الأصل السامي بين كلمة (حِمْدَ) وبين أسماء عيسى وألقابه مثل (عيسى أو يسوع أو المسيح أو المخلّص) حتى ولا في أي حرف من حروفها.

٢ ـ حتى لو قال بعضهم أن الجذر العبري (حـ م د هـ) يقرأ (حِمْده) هو اسم اعتباري معناه: أمنية، أو مشتهى، أو مدح، فإن ذلك يؤيد ما نقول؛ لأن الصيغة العبرية في أصلها متطابقة تماماً مع الصيغة العربية، وأيا من المعاني تختار لكلمة (حـ م د هـ) فإن صلتها بـ (أحمد) قاطعة، ولا علاقة لها بـ (عيسى).

ولو حافظ القديس جيروم، ومترجمو النسخة السبعينية قبله، على الصيغة العبرية لكلمة (حـ م د هـ) بدلاً من استخدام الكلمة اللاتينية Cupiditas، أو الكلمة الإغريقية Euthymia، لكان من المحتمل أن يحتفظ بها أيضا مترجمو الملك جيمس الأول الذين أنجزوا الترجمة المجازة (Authorized Version) ولاحتفظت بها أيضا جمعية الإنجيل في الترجمات إلى اللغات الإسلامية.

٣ـ لقد أعاد هيرودس الكبير ترميم وبناء معبد (زوروبابل) الذي قدر له أن يكون أعظم مجداً من هيكل سليمان لأن (ملاخي) تنبأ بأنّ الرسول العظيم أي رسول العهد أي (السيد) أي سيد الرسل سيزوره فجأة، وهذا ما حصل فعلاً عندما زاره (محمد) في رحلة الليل المعجزة المذكورة في القرآن الكريم في سورة الإسراء.

ولقد زار (عيسى) أيضا المعبد مرات عديدة وشرّفه بوجوده ومع ذلك فإن الأناجيل التي سجلت زيارات ومواعظ المسيح في المعبد لم تذكر هداية شخص واحد بين مستمعيه بل روت أن جميع زياراته كانت تنتهي بالجدل والنقاش المرير مع الكهنة والفريسيين.

ولو كانت نبوءة حجي (وفي هذا المكان أعطي الشالوم) تشير إلى السلام فيجب أن نذكر أن عيسى لم يجلب السلام إلى العالم فهو قد صرح بهذا متعمداً (إنجيل متى ١٠/٣٤..)، كما أنه تنبأ بالخراب الكامل للمعبد (متّى ٢٤/٢ ومرقس ١٣/٢ ولوقا ٢١/٦) وقد تحقق ذلك بعد أربعين عاماً تقريباً على أيدي الرومان عندما تم تشتيت اليهود بصورة نهائية.

٤ ــ لقد أسري بمحمد ـ وهو صيغة أخرى لاسم (أحمد) ومن نفس المصدر والجذر) ـ من مكة إلى بيت المقدس حيث زار البقعة المقدسة عند بقايا المسجد كما نصّ القرآن الكريم، وهناك أدى الصلاة بحضور جميع الأنبياء وقد بارك الله تعالى حول المسجد الأقصى وأطلع آخر أنبيائه على آياته كما ورد في سورة الإسراء.

وإذا أمكن لموسى وإلياس أن يظهرا بحضورهما الجسدي على (جبل التجلي) فقد أمكن لهما ولألوف الأنبياء عليهم السلام أن يظهروا حول الهيكل في بيت المقدس خلال (الحضور المفاجئ) لمحمد إلى (مسجده) (سفر ملاخي ٣/١) عندما عززه الله بالمجد (سفر حجي ٢/٧ ــ٩).

لقد اختارت السيدة آمنة بنت وهب أرملة عبد لله بن عبد المطلب لولدها اليتيم أول اسم علم في تاريخ البشرية (حمد) أو (أحمد) وهذا بحسب اعتقادي المتواضع أعظم معجزة لصالح الإسلام.

وقد أعاد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بناء المسجد العظيم الذي ما زال باقياً في القدس وسوف يبقى حتى نهاية العالم دليلاً على صدق العهد الذي عقده الله تعالى مع إبراهيم وإسماعيل (سفر التكوين ١٥/١٦ ــ ١٧).

الفصل الثاني

العهد وحق البكورية

هناك نزاع ديني قديم جداً بين بني إسماعيل وبني إسرائيل حول العهد وحول أحقية الابن البكر في وراثة أبيه. والذين قرأوا الكتاب المقدس والقرآن الكريم يعرفون جيداً سيرة النبي العظيم إبراهيم وولديه إسماعيل وإسحاق وذريته حتى موت حفيده يوسف (بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) في مصر (سفر التكوين الفصل ١١ ـ ٤٩).

وبحسب ما يدّعيه سفر التكوين فإن إبراهيم هو العشرين بعد آدم عليه السلام من ناحية السلالة، وقد عاصر النمرود الذي بنى برج بابل الشهير.

كانت بداية بعثة إبراهيم في أور كلدان وقد أورد سيرته المؤرخ اليهودي المشهور (يوسف فلافيوس) في كتابه المسمى (العصور القديمة Antiquities) وقصته أيضا واردة في القرآن الكريم. كان (آزر) أبو إبراهيم يعبد الأصنام، في حين كان إبراهيم مؤمناً بالله وقد دخل مرة إلى المعبد وحطم الأصنام وبذلك كان النموذج الأول لحفيده محمد ﷺ، وقد انتقم منه النمرود بأن ألقاه في النار ولكنه نجا منه سالماً منتصراً بمعجزة إلهية، غادر بعدها وطنه إلى حران ومعه أبوه وابن أخيه لوط، وعندما بلغ الخامسة والسبعين من عمره توفي أبوه في حران، وبعدها انطلق إبراهيم برحلة طويلة نحو أرض كنعان ثم مصر ثم شبه الجزيرة العربية استجابة للدعوة الإلهية.

كانت زوجته سارة عاقراً ولكن الله بشره بأنه سوف يصبح أباً لأمم عديدة وأن ذريته سوف ترث كل البلاد التي يجتازها وسوف تكون مباركة (سفر التكوين ١٢/٢-٣) ومرة عندما نظر إلى السماء ليلاً أوحي إليه أن ذريته سوف تصبح كعدد النجوم وكعدد حبات الرمل على شواطئ البحار. وتقبل إبراهيم ذلك الوعد الإلهي الفريد العظيم في تاريخ الأديان بإيمان لا يتزعزع رغم أنه لم يكن له ذرية حتى ذلك الحين.

كانت أَمَتُه (هاجر) فتاة مصرية فاضلة تعمل في خدمة سيدتها سارة، وقد زوجتها سارة لإبراهيم وهو في السادسة والثمانين من عمره رغبة في الذرية وبالفعل ولدت له إسماعيل. وعندما بلغ إسماعيل الثالثة عشرة من عمره تكرر الوحي إلى إبراهيم وتكرر وعد الذرية وتقررت شعيرة الختان، وكان إبراهيم في التاسعة والتسعين من العمر حينما جرى ختان ولده الوحيد إسماعيل وكافة الخدم الذكور في بيته. وكأنما كان ذلك نوعاً من المواثيق بين الله وإبراهيم فقد كان إبراهيم مؤمناً متفانيا فوعده الله أن يحمي إسماعيل وذريته التي سترث الأرض الموعودة. ثم أنه عندما بلغ إبراهيم مائة عام من العمر وبلغت زوجته سارة التسعين أنجبت ولداً أسمياه إسحاق لكي يتم أمرُ الله ووعده.

ويذكر سفر التكوين ـ الذي لم يتقيد بالتسلسل الزمني للأحداث ـ أن إبراهيم طرد إسماعيل وأمه هاجر بطريقة غاية في القسوة تنفيذاً لرغبة سارة[1] بعد ولادة إسحاق (التكوين ٢١/١٠). ثم تاه إسماعيل وأمه في الصحراء وأوشكا على الموت عطشاً لولا أن تفجرت عين

---

(١) عند المسلمين فإن هاجر وإسماعيل هاجرا إلى مكة تنفيذاً للوحي الذي تلقاه إبراهيم ولا علاقة لذلك برغبة سارة، ذلك أن الخطة الإلهية ⇐

من الماء شربا منها ونجيا. ولا يذكر سفر التكوين شيئاً بعد ذلك عن إسماعيل سوى زواجه من امرأة مصرية وأنه حضر مع إسحاق وفاة أبيهما ودفنه. ثم يقص سفر التكوين سيرة إسحاق وولده يعقوب ونزول يعقوب في أرض مصر وينتهي بوفاة ولده يوسف.

وهناك حدث هام آخر في تاريخ إبراهيم ورد في سفر التكوين (الفصل ٢٢)، وهو اختبار إبراهيم بالتضحية بابنه الوحيد إسماعيل وكيف أن الله تعالى افتدى الغلام بكبش عظيم وهو ما قصّه علينا القرآن الكريم في سورة الصافات الآيات (١٠٢ـ١٠٧): ﴿فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم﴾. فأثبت إبراهيم بذلك أن حُبه لله فاق كل عاطفة بشرية.

تلك نبذة مختصرة لحياة إبراهيم كمقدمة لبحث أحقيه الابن البكر في وراثة عهد أبيه حيث نلاحظ حقائق ثلاثة تقتضي أن يقبلها كل مؤمن:

الأولى: أن إسماعيل هو الابن الأكبر الشرعي لإبراهيم، ولذا فإن حقه في البكورية شرعي وعادل.

الثانية: أن العهد كان بين الله وبين إبراهيم وإسماعيل قبل ولادة إسحاق ولولا تكرار الوعد (من خلال ذريتك سوف تتبارك كل الأمم على وجه الأرض) بصيغ مختلفة، وأيضاً (ذلك الذي سوف يخرج من أحشائك سوف يرثُك) (سفر التكوين ٤/١٥)، وتحقق هذا الوعد

اقتضت انتقال النبوة إلى سلالة إسـماعيل بعد أن يرفض اليهود آخر أنبيائهم عيسى عليه السلام. (المترجم).

بولادة إسماعيل (سفر التكوين ١٦) مما كان عزاء لإبراهيم لأن كبير الخدم أليعازر لم يعد وريثه، لولا كل ذلك لكان العهد وتشريع الختان غير ذي معنى ولا قيمة. ولذلك وجب أن نعترف بأن إسماعيل كان الوارث الحقيقي والشرعي لامتيازات ومكانة أبيه الروحية، وأن هذا الإرث الذي استحقه إسماعيل وذريته لكونه الابن البكر، لم يكن خيمة والده ولا مواشيه وإنما كان إخضاع كل الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات وسكانها إلى الأبد (سفر التكوين ١٥/١٨، ١٧/٢٠)، وبالفعل فإن تلك البلاد لم تخضع قط لذرية إسحاق، ولكنها خضعت لذرية إسماعيل، مما يعتبر تحققاً حرفياً وفعلياً لأحد نقاط العهد.

الثالثة: أن إسحاق ولد أيضاً بمعجزة وأنه كان مباركاً من الله وأن أرض كنعان كانت الأرض الموعودة لأتباعه وقد احتلوها فعلاً تحت إمرة (يوشع)، والمسلمون يؤمنون بنبوة إسحاق ويعقوب كما يؤمنون بنبوة إسماعيل وبقية الرسل والأنبياء المذكورين في القرآن الكريم.

وعلى كل هذا لا يجب أن يكون هنالك نقطة خلاف جوهرية بين ذرية إسماعيل (المسلمين) وبين ذرية إسحاق ويعقوب (اليهود) فلو كان (حق البكورية) و(مباركة الله) متعلقين فقط بميراث السلطة والأراضي لأمكن تسوية مثل هذا الخلاف، وقد سوي فعلاً بالسيف، والدليل على ذلك الحقيقة الواقعة ألا وهي سكنى المسلمين لكل الأرض الموعودة، ولكن هناك نقطة خلاف متعلقة بالعقيدة بين اليهود وبين بني إسماعيل مضى على وجودها ما يقرب من أربعة آلاف عام، وهي مسألة المسيح ومحمد فاليهود لا يعترفون بتحقق ما يسمى بالنبوءات المسيحانية عن مجيء المخلّص لا في بعثة عيسى ولا في بعثة محمد، وقد كان

اليهود دوماً في غيرة من إسماعيل؛ لأنهم يعرفون جيدا أنه يُجسّد (العهد) وبختانه ختم العهد. وبدافع من تلك الغيرة والحقد والضغينة قام كتبتهم وفقهاؤهم بتحريف الكثير من نصوص كتبهم المقدسة فشطبوا اسم إسماعيل من الفقرات: الثانية، والسادسة، والسابعة من الفصل الثاني والعشرين من سفر التكوين ووضعوا اسم إسحاق بدلاً منه في حين أبقوا على الوصف الخاص بإسماعيل: وهو(الابن الوحيد) مما يعتبر إنكاراً لوجود إسماعيل وخرقاً للعهد الذي قطعه الله تعالى لإبراهيم ولإسماعيل حيث ينص: (لأنك قبلت أن تضحي بابنك الوحيد من أجلي، فسوف أزيد وأضاعف من ذريتك، ليصبح عددها كعدد النجوم، وكعدد حبات الرمل على شاطئ البحر) وكلمة (أضاعف) جاءت أيضاً في خطاب الملاك إلى (هاجر) وهي في القفر على هذا النحو: (إن الله سوف يضاعف ذريتك إلى عدد لا يحصى وسوف يصبح إسماعيل خصيباً ذا ذرية كثيرة) (سفر التكوين ١٦/١٢) وقد قام النصارى بعد ذلك بترجمة الكلمة العبرية (خصيب الذرية) من الفعل (برا) الذي يقابله بالعربية (وفرة) ترجموها إلى (الحمار المتوحش)، أليس من العار والفسوق أن يُنعت إسماعيل بالحمار الوحشي وهو النبي الذي كرمه الله وبشر والديه أنه سيكون خصيب الذرية؟

ومن المهم جداً ملاحظة أن عيسى المسيح نفسه وبخ اليهود الذين قالوا أن الرسول العظيم الذي يدعونه (المخلّص) سوف يكون من سلالة الملك داود (إنجيل برنابا)، وأوضح لهم أن المخلّص لا يمكن أن يكون ابناً لداود لأن داود نفسه يعتبر هذا الرسول سيده (متى ٢٢/٤٤) و(مرقص ١٢/٣٦) و(لوقا ٢٠/٤٤)، كما أوضح لهم كيف حرَّف آباؤهم الكتب المقدسة وأن

(العهد) لم يبرم مع إسحاق كما يزعمون بل مع إسماعيل الابن الأكبر الذي قدمه أبوه أضحية لله، وأن تعبير (ولدك الوحيد) الذي ورد في العهد القديم قصد به إسماعيل وليس إسحاق.

أما القديس بولس الذي يدعي أنه من حواريّي عيسى المسيح عليه السلام فقد استعمل كلمات فظة بحق هاجر وإسماعيل (سفر غلاطية ٢١/٦ ـ ٣١) وناقض سيده المسيح صراحة وبذل قصارى جهده لتضليل النصارى بعد أن كان يضطهدهم قبل اعتناقه الدين المسيحي، وذلك واضح من كتاباته في الأسفار المنسوبة إليه، والتي تغص بعقائد في غاية التناقض مع روح الكتاب المقدس ومع تعاليم عيسى المسيح، كان بولس محامياً يهودياً مهووساً من الفريسيين ويبدو أنه ازداد هوساً بعد تحوله إلى الدين المسيحي، وبسبب كرهه لإسماعيل (نظراً لأحقيته بالعهد) فقد نسي أو تغاضى عن وصايا موسى التي تحرم زواج الرجل من أخته تحت طائلة القتل، ولو كان بولس يتلقى الوحي من الله كما ادعى لأدان كتاب سفر التكوين لكونه محشواً بالأباطيل ومنها أن إبراهيم كان زوجاً لأخته (١٢/٢٠) ولم يتورع بولس أن يشبه هاجر بجبل سيناء العاقر كما يدعي، بينما يصف سارة بأنها أورشليم العليا التي تلد الأحرار (سفر غلاطية ٢٥/٤ ــ ٢٦) فهل قرأ القديس بولس في حياته عقاب الملعونين التالي:

(ملعون ذلك الذي يضطجع مع أخته ابنة أبيه أو ابنة أمه، والناس جميعاً يقولون آمين) (سفر تثنية الاشتراع ٢٢/٢٧).

وهل يوجد قانون بشري أو سماوي يعتبر من كان أبوه خاله وأمه عمته في نفس الوقت أكثر شرعية من ولادة من كان أبوه كلدانياً وأمه مصرية؟؟ وهل يستطيع أي مؤمن أن يطعن في عفة وتقوى هاجر؟ زوجة النبي إبراهيم وأم النبي إسماعيل؟

إن الله الذي أعطى العهد لإسماعيل قد أنزل قانون الوراثة التالي:

(إذا كان لرجل زوجتان إحداهما مفضلة على الأخرى، وكان لكل منهما ولد، وإذا كان ابن غير المفضلة هو الولد البكر، فإن البكر هو صاحب حق البكورية وليس ابن الزوجة المفضلة، وعليه فإن الولد البكر سوف يرث ضعف ما يرث أخوه) (سفر تثنية الاشتراع ٢١/١٥ ـ ١٧). أليس هذا القانون من الوضوح بما يكفي ليسكت جميع الذين يجادلون في حق البكورية لإسماعيل؟

والآن نبحث مسألة أحقية إسماعيل في العهد بصورة مختصرة، كان رسول الله إبراهيم شيخ قبيلة رحل ينتقل من مكان إلى آخر ويعيش في خيمة ويملك قطعانا من المواشي ومن المعروف أن البدو الرحل لا يرثون أرضاً ولا مرعى ولكن الأمير يخصص لكل من أبنائه عشيرة تخضع له. وكقاعدة متبعة يرث الابن الأصغر خيمة أبيه أما الابن الأكبر فيخلف أباه في الحكم إلا إذا لم يكن أهلاً لذلك.

وقد انطبق هذا الوضع على ولدي إبراهيم، فإسحاق أصغرهما ورث خيمة أبيه وأصبح مثله بدوياً يتنقل من مكان إلى آخر، أما إسماعيل فأُرسل إلى الحجاز ليحرس بيت الله الذي كان قد بناه مع أبيه، كما يذكر القرآن الكريم ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾ (سورة

البقرة، الآية ١٢٧)، وهناك استقر إسماعيل وأصبح نبياً وتبعته القبائل العربية التي آمنت به، وفي مكة أو (بكه) أصبحت الكعبة قبلة للحجاج ونشر إسماعيل دين الله وسن مشروعية الختان وتكاثرت ذريته بسرعة كنجوم السماء، وبقي العرب من بعده في شبه الجزيرة أسياداً في أوطانهم عجزت إمبراطوريتا الروم والفرس عن إخضاعهم، وبالرغم من انتشار عبادة الأصنام بينهم فيما بعد إلا أنهم بقوا على ذكر الله وذكر إبراهيم وإسماعيل وغيرهم من الأنبياء.

وبالمثل فإن (عيص) الابن الأكبر لإسحاق ترك مسكن أبيه لأخيه الأصغر يعقوب واستوطن إيدوم (جنوب البحر الميت بفلسطين) حيث تزعم شعبه وامتزج مع قبائل إسماعيل العربية، وأما ما يقصّونه من أن عيص باع حقه في البكورية إلى يعقوب مقابل طبقٍ من الحساء فلا يعدو أن يكون محاولة خبيثة لتبرير سرقة حق البكورية من إسماعيل، فقد زعموا أن (الله كره عيص وأحب يعقوب وهما ما زالا توأمين في رحم أمهما، وأن على الابن الأكبر أن يخدم أخاه الأصغر (سفر التكوين ٢٥، سفر رومية ١٢/٩ ـــ ١٣)، والعجيب أن هناك قصة أخرى في سفر التكوين تذكر لنا أن الأمر كان على عكس ذلك، إذ يذكر الفصل (٣٣) من سفر التكوين أن يعقوب كان يخدم عيص ويركع أمامه سبعة مرات قائلاً (سيدي) أو (عبدك يا سيدي).

وقد ذكر أن إبراهيم رزق العديد من الأبناء الآخرين من (قيتورا) ومن محظياته وأنه أرسلهم نحو الشرق بعد أن زودهم بالهدايا ومن ذرياتهم تكونت قبائل كبيرة وقوية. وقد ذكروا

أسماء اثني عشر من أبناء إسماعيل أصبح كل منهم أميراً على مدنه ومعسكراته (سفر التكوين ٢٥)، وأيضا أبناء إبراهيم من (قيتورا) والمحظيات وأبناء عيص، كلهم ذكروا بالاسم.

وحين نلاحظ أن عدد أفراد عائلة يعقوب عندما ارتحل إلى مصر للقاء ابنه يوسف كان لا يكاد يبلغ سبعين شخصاً، وأن عيص التقاه ومعه أربعمائة من الفرسان فقط، في حين أن القبائل العربية الكثيرة قد خضعت لحكم الاثني عشر أميراً من ذرية إسماعيل، ثم إن محمداً ﷺ بعد أن وحّد جميع القبائل العربية تحت راية الإسلام فانطلقت تفتح البلاد الموعودة. إننا حين نفكر بذلك، نقف على الحقيقة الساطعة التي يستحيل التغاضي عنها وهي أن العهد قد أعطي لإسماعيل وأنه تحقق فعلاً على يدي حفيده محمد ﷺ.

وفي الختام الفت نظر الدارسين والمتخصصين في الدراسات العليا في نقد الكتاب المقدس إلى حقيقة هامة، وهي أن التنبؤات عن قدوم مسيح (مخلّص) منتظر من سلالة داود كانت جزءاً من دعاية مبتدعة لصالح سلالة داود بعد انقسام مملكة سليمان إلى قسمين، ولكن النبيين إلياس واليسع الذين اشتهروا في زمن مملكة السامرة (إسرائيل) لم يذكرا داود أو سليمان، كما أنه بعد انقسام مملكة سليمان لم تعد القدس مركزا دينياً للقبائل الاثني عشر وإنما فقط لقبيلتي (سبطي) يهوذا وبنيامين فقط، ولذلك انتفت ادعاءات سلالة داود القائلة بالحكم الأبدي في مدينة القدس.

ولكن الأنبياء من أمثال أشعيا وغيره ممن ارتبطوا بمعبد القدس وبيت داود كانوا قد تنبؤوا بقدوم النبي العظيم صاحب السلطان الكبير خاتم الأنبياء والرسل، وأنه سوف يُعرف بعلامات معينة واضحة مما سوف ندرسه في الفصول القادمة.

الفصل الثالث

لغـــز المصـفا

سأحاول في هذا الفصل أن أشرح التقديس العبري القديم للحجر وهو أمر أسّسه في مكة إبراهيم وإسماعيل، كما أسّسه في أرض كنعان إسحاق ويعقوب، وفي مؤاب وأماكن أخرى أسّسه آخرون من سلالة إبراهيم.

ومن المفهوم أن عبارة تقديس الحجر لا تعني عبادته فذلك من الوثنية، ولكن المقصود هو عبادة الله عند حجر معين خُصص لذلك الغرض، ففي حياة التنقل والبداوة لم يكن للأسرة أو القبيلة موطن دائم تبني فيه بيتاً مخصصاً لعبادة الله، لذا اعتادت على نصب حجر ما تحج إليه وتطوف حوله سبعة مرات في كل مكان تقيم فيه. إن كلمة (حج) متطابقة تماماً من حيث المعنى والأصل في اللغات السامية، فكلمة حجاج العبرية Hagag هي نفسها كلمة حجاج العربية Hajaj والفرق الوحيد بينهما هو لفظ الحرف الثالث من الأبجدية السامية وهو الجيم التي يلفظها العرب جيماً. وإن شريعة موسى تستخدم هذه الكلمة بعينها وهي Hagag أو حغاغ[1] وتعني الهرولة حول صرح أو حجر بخطوات منتظمة لدى الاحتفال بعيد ديني. وفي الشرق لا يزال النصارى يمارسون ما يسمونه حجة Higag أثناء أعيادهم أو في الأعراس.

---

(١) في العبرية والآرامية لا تلفظ (ج) كما في العربية وإنما تلفظ كحرف g اللاتيني، أو تلفظ غ في بعض الأحيان.

وعلى ذلك فإنه لا علاقة للفظ (حجة) بمعنى الحج بكلمة Pelerinage أو Pilgrimage المشتقة من الكلمة الإيطالية Pellegrino والتي اشتقت بدورها من الكلمة اللاتينية peregrinus بمعنى الأجنبي.

كان إبراهيم أثناء ترحاله وعند إقامته المؤقتة في مكان ما يقيم مذبحاً للعبادة والأضاحي في مناسبات معينة. وقيل أن يعقوب عندما كان في طريقه إلى حاران وشاهد رؤيا السلم العجيب نصب حجراً هناك وسكب عليه الزيت وسماه بيت إيل (Bethel) أي بيت الله. ثم عاد لزيارة ذلك الحجر بعد عشرين عاماً وسكب عليه الزيت والخمر حسبما يدعيه سفر التكوين (١٠/٢٨ ـ ٢٢) (٣٥)، كما نصب يعقوب، مع حماه ـ والد زوجته ـ حجراً فوق كومة من الحجارة وأطلق عليه اسم (مصفا)، (سفر التكوين ٤٥/٣١ ـ ٥٥).

وقد أصبحت هذه (المصفا) فيما بعد مكاناً للعبادة ومركزاً للمجالس القومية في تاريخ شعب إسرائيل، فعند المصفا نذر البطل اليهودي نفتاح نذراً أمام الرب وبعد أن هزم العمونيين قيل أنه قدم ابنته الوحيدة لتحرق قربانا (سفر القضاة ١١). وعند المصفا تجمع أربعمائة ألف مقاتل من قبائل إسرائيل الإحدى عشر وأقسموا أن يستأصلوا قبيلة بنيامين (الثانية عشر) بسبب الجريمة البشعة التي اقترفتها في جبعة (سفر القضاة ٢٠،٢١)، وعند المصفا دعا النبي صموئيل الناس لكي يقسموا أمام الرب أن يدمروا جميع أصنامهم وتماثيلهم وتمت نجاتهم بعد ذلك من الفلسطينيين (سفر صموئيل الأول ٧) وعند المصفا اجتمعت الأمة وتم تنصيب طالوت (شاؤول) ملكاً على العبرانيين (سفر صموائيل الأول ١٠) وباختصار فإن كل قضية هامة كان يُبتُّ فيها عند هذه المصفا أو (البيت إيل).

ويبدو أنهم كانوا يبنون هذه (المصفايات) على مصاطب مرتفعة تدعى (راموث) أي المكان المرتفع ثم أضافوا إليها الأصنام والتماثيل شأنها شأن الكعبة في مكة المكرمة، وقد حافظوا على احترامهم لها حتى بعد بناء معبد سليمان في القدس كما أنه بعد خراب القدس والمعبد على أيدي الكلدانيين احتفظت المصفا بطابعها المقدس إلى عهد المكابيين أثناء حكم الملك أنطيوخوس.

أما معنى كلمة (مصفا) فهي تترجم عادة إلى (برج المراقبة) وهي أيضاً البناء الحجري الذي يشتق اسمه من (الصفاة) وهي كلمة قديمة معناها حجر ورغم أن الكلمة العبرية المألوفة التي تطلق عادة على الحجر هي (ايبن) وفي العربية حجر وفي السريانية (كيبا) فإن كلمة صفاة مشتركة بين اللغات السامية ومن هنا فإن المعنى الحقيقي لـ (مصفا) هو المكان الذي يثبت فيه الصفا أو الحجر. علماً أنه عندما أطلق اسم مصفا لأول مرة على الحجر المنصوب فوق كومةٍ من الحجارة كان الحجر قائماً بمفرده دون أي صرح حوله.

ولشرح مغزى الصفاة، لا بد من الاعتماد على صبر قرائي الذين لا يعرفون العبرية، إن اللغات السامية بما فيها العربية والعبرية تفتقر إلى حرف P في أبجديتها.

أما في اللغة الإنكليزية فهم ينقلون صوت F الذي يرد في أي كلمة سامية أو يونانية على شكل Ph بدلاً من F مثل (Philosophy, Mustapha).

وعندما لقب المسيح أول تلاميذه سمعان (شمعون Simon) باللقب الشهير (صخر) أو(Petros) أي بطرس، لا بد وأنه كان يفكر بكلمة صفا القديمة. وللأسف أننا لا نستطيع أن

نحدد بالضبط الكلمة التي استخدمها بلغته لهذا الغرض، ذلك أن كلمة بطرس أي Petros بصيغة المذكر، أو Petra بصيغة المؤنث، غير مألوفة وغير يونانية لدرجة أن المرء يحار في سبب استعمالها من قبل الكنائس، ولكن الترجمة السريانية للكتاب المقدس المسماة (Peshitta) استخدمت كلمة (كيفا kepha) أو(كيبا kepa) لتؤدي المعنى المقصود، وحتى النص اليوناني قد احتفظ بالاسم الأصلي كيفاس Kephas (والذي كتبته الترجمات الإنكليزية على شكل Cephas) مما يؤيد أن المسيح تكلم اللغة الآرامية وأعطى تلميذه الأول لقب (كيفا Kepha).

وفي التراجم العربية القديمة للعهد الجديد ورد اسم القديس بطرس على انه سمعان (شمعون) الصفاة أي سمعان الصخرة أو الحجر، وكلمات المسيح (أنت بطرس) يقابلها في الترجمة العربية (أنت الصفاة) (إنجيل متى ١٨/١٦، وإنجيل يوحنا ٤٢/١..إلخ).

وينتج من كل هذا أنه إذا كان سمعان (شمعون) هو الصفاة فإن الكنيسة التي تقام على الصفاة هي المصفا. وكون المسيح قد شبه سمعان بـ (الصفاة) وبحيث تكون الكنيسة (مصفا) أمر يلفت النظر بصورة واضحة، إذ عندما أحاول فك لغز هذا التشبيه والحكمة المتضمنة فيه أرى الحقيقة الهائلة تفرض نفسها عن استحقاق (محمد) للقبه االمختار وهو(المصطفى).

ولاستيضاح ما ذكر أعلاه قد يطرح البعض الأسئلة التالية:

أ ـ لماذا اختار المسلمون والموحدون من سلالة إبراهيم الحجر لكي يؤدوا طقوسهم الدينية عنده؟

ب ـ لماذا سمي هذا الحجر (صفاة)؟

جـ ـ ما قصد الكاتب من كل ذلك؟

لقد اختير الحجر كأنسب مادة يستطيع المسافر أن يقوم بطقوسه الدينية عنده، أضف لتخليد النذور التي قد يكون قطعها على نفسه، ولهذا الغرض لا يمكن لأية مادة أخرى أن تضاهي الحجر من ناحية صلابته وديمومته وبساطته وانعدام قيمته المادية فلو كان من الذهب أو الفضة أو المعدن لتعرض للسرقة، وكانت شريعة موسى تمنع نحت حجر المذبح أو عمل نقوش أو زخارف عليه لئلا يعبده الجهلاء، ولم يكونوا يعتبرون الصفا وحده مقدساً بل كانت البقعة التي حوله مقدسة أيضاً، مما يفسر كيف أن القرامطة الذين أخذوا الحجر الأسود من الكعبة وأبقوه معهم عشرين سنة اضطروا لإعادته لأنهم لم يستطيعوا تحويل الحجاج عن الكعبة، ولو كان الحجر الأسود من الذهب أو من أي عنصر ثمين آخر لما أمكن أن يدوم حوالي خمسة آلاف سنة، كما أنه لو احتوى على بعض النقوش أو الصور لأزاله الرسول محمد ﷺ بنفسه.

نعود إلى فكرة برج المراقبة (المصفا) حيث كان الشخص الذي يراقب من البرج يسمى صوفي (Sophi) وفي الأصل كانت (المصفا) مجرد مزار على مكان منعزل مرتفع حيث كان يعيش المراقب الصوفي مع أسرته (سفر الملوك الثاني ١٧/٩ وغيره) وهو رجل الدين المسمى (روي Roi أو جوزي Hozi) ومعناها العراف أو المترقب (سفر صموئيل الأول ٩/٩)، وبالطبع فإن علماء اللغة العبرية يعرفون جيداً كلمة (مصفي) التي تعادل في العربية المُصَفِّي وهو الشخص الذي يغربل الغث من السمين، وقد كان عمل المراقب (الصوفي) أن

يراقب من برج المراقبة (المصفا) من أجل تمييز الحجاج في الصحراء، أو للتحذير من خطر ما أو للتعرف على شخصية معينة بين القادمين، وبعد تأسيس إسرائيل في أرض كنعان ازداد عدد (المصفايات) وسرعان ما تحولت إلى مراكز دينية هامة تطورت إلى معاهد للتعليم وجمعيات دينية، ويبدو أنها صارت تشبه الجماعات الصوفية الإسلامية مثل المولوية والبكداشية والنقشبندية وغيرها وكان لكل منها شيخها ومرشدها، كما كانت هناك مدارس ملحقة بكل مصفا حيث كان يجري تدريس الشريعة والدين والأدب العبري وعلوم أخرى.

ولكن بالإضافة لهذا العمل التعليمي كان الصوفي رئيس المصفا يلقن تلاميذه تعاليم الدين الخاصة مما يعرف الآن باسم الصوفية، والواقع أن من نعرفهم الآن باسم الصوفية كانوا يسمون عندهم (نبييم) مجازاً أي أنبياء، بدليل أنه عندما مُسح طالوت (شاؤول) بالزيت وتوج ملكاً انضم إلى الصوفية وأعلن في كل مكان (انظروا شاؤول أيضا بين الأنبياء) (سفر صموئيل الأول ١٠/٩ ـ ١٣).

واستمرت الصوفية بين العبرانيين في جمعيات دينية خاصة تحت إشراف الأنبياء المذكورين حتى وفاة الملك سليمان وانقسام مملكته إلى قسمين (مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا) ويبدو أن ذلك قد سبب انشقاقاً عظيما بين الصوفيين أيضاً.

إلا أنه مهما كان وضع الصوفيين العبرانيين بعد الانشقاق الديني والقومي الكبير فمن المؤكد أن المعرفة الحقيقية بالله وعلوم الدين الخاصة ظلت محفوظة عندهم إلى أن ظهر عيسى عليه السلام الذي نقل تلك العلوم إلى مجموعة من التلاميذ ترتكز على سمعان الصفا،

ثم أدام الصوفيون والمترقبون في المصفا المسيحية هذه المعرفة ونقلوها إلى تلاميذهم جيلاً بعد جيل حتى ظهر النبي المختار محمد المصطفى (مصطفي باللغة العبرية).

وقد ذكر العهد القديم عدة أنبياء متصلين (بالمصفاة) ولكن كثيراً ما استخدمت الكتب العبرية كلمة (أنبياء) بصورة مبهمة أو حتى بصورة مجازية، ولذلك يجب أن نفهم ما يعلن القرآن بوضوح: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ (سورة الأنعام، الآية:١٢٤) فهو تعالى لا يعطي النبوة لشخص ما بسبب رفعة نسبه أو كثرة ثروته أو حتى تقواه، بل يعطيها حسب مشيئته تعالى لأن الإيمان والتقوى والتأملات الروحية والصلوات والصيام والمعرفة الدينية قد ترفع الشخص الجيد ليصبح مرشداً روحياً أو إلى مرتبة ولي ولكن ليس إلى درجة النبوة لأن النبوة لا يحصل عليها المرء بجهوده بل هي هبة من الله، وحتى بين الأنبياء لم يكن هناك من الرسل سوى القلائل الذين بُعثوا بكتاب منزل خاص بهم، ويذكر بهذا الخصوص أن معظم الكتب اليهودية المقدسة كانت على الغالب من نتاج (المصفايات) قبل الأسر البابلي ثم بعد ذلك تم تعديلها من قبل أيدٍ مجهولة حتى اتخذت شكلها الحالي.

ومن المفيد الآن أن نقارن بإيجاز الصوفية الإسلامية مع الكلمة اليونانية (Sophia) بمعنى الحكمة، إن الفلسفة بمعناها الواسع تعنى بدراسة المبادئ الأولى للوجود وهي تتجاوز قوانين الفيزياء والطبيعة وتحاول جاهدة الوصول إلى الحقيقية الأساسية، في حين أن التصوف الإسلامي هو التأمل في الله وفي النفس واتخاذ الرياضة الروحية سبيلاً للاتصال بالله، وإن تفوق الصوفية الإسلامية على الفلسفة اليونانية واضح من الموضوع الذي تتناوله وهي حتما أسمى من الرهبانية النصرانية من حيث تسامحها مع معتقدات الآخرين، فالمتصوف المسلم

يكنّ الاحترام للأديان الأخرى ويسخر من فكرة (الهرطقة) ويبغض الاضطهاد والإكراه، في حين أن معظم قديسي النصارى كانوا إما من مضطهدي الهراطقة أو من يسمونهم كذلك، أو كانوا هم أنفسهم مضطهدين من قبل الهراطقة، وقد ذاعت شهرتهم في كل الأحوال بسبب إسرافهم في التعصب وعدم التسامح.

إن الصوفية أو(الحكمة) التي تعني المعرفة الحقيقية بالله والعلم الصحيح عن الدين والأخلاق تعني أيضاً الاصطفاء الحق لخاتم رسل الله من بين جميع رسله، كل ذلك نبع من مؤسسة (المصفا) اليهودية حتى تحولها إلى (مصفا) نصرانية، ومن المدهش حقاً أن نرى صحة التشبيه وكيف أن التدبير الإلهي لأحوال الخلق يتم بغاية الدقة والانتظام. فمن خلال (المصفا) كان يُصفّى الناس وينخلون من قبل المصفّي كما لو كان ذلك يتم من خلال مصفاة الطعام (لأن هذا هو معنى الكلمة) بحيث يتم تمييز الحقيقي عن الزائف والسمين عن الغث، وتتوالى القرون ويأتي الكثيرون من الأنبياء ورغم ذلك فالمصطفى لا يظهر، ثم يأتي عيسى المسيح عليه السلام فيُقابَل من اليهود بالرفض والاضطهاد لأنه سبق أن اندثرت من إسرائيل تلك (المصفاة) الرسمية التي كان بإمكانها أن تتعرف عليه كرسول حقيقي أرسل ليشهد أن المصطفى هو آخر نبي سوف يأتي بعده، إذ كان "المجمع الكبير للكنيس" الذي دعا إليه وأسسه عزير ونحميا والذي كان آخر أعضائه (سمعان العادل) (المتوفى حوالي ٣١٠ ق.م) كان هذا المجمع قد اندثر ثم خلفته المحكمة العليا في القدس والمسماة (ساهدرين) التي حكمت على عيسى المسيح عليه السلام بالموت لأنها لم تدرك شخصيته ولا طبيعة رسالته السماوية، ولكن بعض الصوفية والحكماء عرفوا عيسى وآمنوا برسالته رغم أن الجماهير في وقت ما

ظننته المصطفى ونادت به ملكاً غير أنه توارى عن الأنظار لأنه لم يكن المصطفى ولـو كـان هو المصطفى لكان من العبث أن يجعل مـن سـمعان: (الصفـا) ومـن كنيسته: (المصفـا). لأن وظيفة (المصفا) كانت الترقب والبحث عـن آخـر الرسـل حتـى إذا جـاء فيُنـادى بـه علـى أنـه المصطفى. ولو كان عيسى هو المصطفى لانتفت الحاجة إلى (المصفا) منذ مجيئه، وهذا الموضوع عميق وشيق جداً وجدير بالدارسة، لأن (محمد المصطفى) هو لغـز (المصفـا) كمـا أنه كنز الحكمة (الصوفية).

الفصل الرابع

محمد ﷺ هو *(الشايلوه)*

عندما كان يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام) علـى فراش الموت بعد أن بلـغ السابعة والأربعين بعد المائة من عمره دعا أولاده الاثني عشـر إليه مـع أسـرهم وبـارك كـلاً منهم وتنبأ لكل منهم بمستقبل قبيلته وأوصاه، وهذا ما يعرف عادة (بعهد يعقـوب)[1] وهـو مكتوب بالعبرية بأسلوب أنيق ذي لمسة شعرية ويتضمن عرضا لمراحل حياته، ومن جملة ما يدّعيه سفر التكوين أن يعقوب استغل جوع أخيه عيص واشترى منه حق البكورية بطبـق مـن الحساء ثم خدع والده العجوز الضرير وحصل على مباركته التي كانت من حق عيص بحكـم كونه الابن البكر.

كما أنه خدم سبع سنوات ليتزوج من (راحيل) لكن والدها خدعـه وزوجـه أختهـا الكـبرى (ليئة) بدلاً منها ولذلك اضطر أن يخدم سبع سنوات أخريـات مـن أجـل زواجـه بالثانيـة! كمـا حزن كثيرا بعد فقدان زوجته المحبوبة راحيل ثم اختفاء ابنه المفضل يوسف لعـدة سنوات ثـم استرد بصره بعد أن علم بوجوده ثم التقاه في مصر مما كان مصدر سعادة كبيرة له، لقد كـان

---

(١) قال تعالى: ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾ (سورة البقرة، الآية ١٣٣).

يعقوب نبياً لقبه الله بإسرائيل وهو الاسم الذي تمسكت به القبائل الاثنا عشر التي انحدرت من أبنائه.

تتكرر قصص اغتصاب حق الولد البكر في سفر التكوين ويُصوِّر يعقوب على أنه مثال الاعتداء على حقوق الآخرين ويُقال أنه أعطى حق بكورية حفيده (مَنشي) إلى أخيه الأصغر (أفرايم) رغم احتجاجات والدهما يوسف (سفر التكوين الفصل ٤٨). كما أنه يحرم ابنه الأكبر (رأوبين) حق البكورية وينعم به على يهوذا ابنه الرابع لأن رأوبين ضاجع (بلهة) محظية يعقوب وأم ولديه (دان) و(نفتالي) ثم يحرم يهوذا؛ لأنه لم يكن أفضل من أخيه بعد أن زنى بـ (تامار) زوجة أخيه فأنجبت طفلاً أصبح جد كل من داود وعيسى المسيح حسب زعمهم (سفر التكوين الفصول ٢٥ ــ ٣٨)، ومن العجب كيف يصدق اليهود والنصارى أن مؤلف سفر التكوين (أو كاتب السفر أو محرره) ملهم من الروح القدس، ففي هذا السفر تنسب أشنع الجرائم وأفظع الفواحش للأنبياء وبيوت الأنبياء كما يُقال فيه أن يعقوب كان زوجاً لأختين في آن واحد مع أن ذلك مخالف للشريعة بشكل صارخ (سفر اللاويين ١٨/١٨)، وباستثناء (يوسف) و(بنيامين) فقد وصف سفر التكوين أبناء يعقوب الآخرين أنهم رعاة شرسون وكذابون وقتلة وزناة مما لا يليق بأسرة نبي، وبالطبع لا يقبل المسلمون ذلك بحق أي نبي من الأنبياء ولا يصدقون الخطيئة المنسوبة ليهوذا وإلا لكانت البركة التي أعطاها له أبوه يعقوب أمراً غريباً إذ لا يمكن ليعقوب أن يبارك ابنه يهوذا الذي زعموا أنه كان والد (بيرز) ابن زوجة أخيه؛ لأن الزانيين محكوم عليهما بالإعدام (سفر اللاويين ١٢/٢٠)، وقد وردت كل هذه القصص الغريبة في سفر التكوين الفصول (٢٥ – ٥٠).

أما النبوءة الشهيرة التي تعتبر نواة لعهد يعقوب فقد وردت في (سفر التكوين ٤٩/١٠) وهي كما يلي:

(لا يزول الصولجان من يهوذا أو التشريع من بين قدميه حتى يأتي شايلوه ويكون له خضوع الأمم)، هذه هي الترجمة الحرفية للنص العبري بقدر ما أستطيع فهمه وأن كلمة شايلوه في النص فريدة لا تتكرر في أي مكان آخر من العهد القديم، وحسبما أعلم فإن جميع تراجم العهد القديم قد احتفظت بكلمة (شايلوه) كما هي دون ترجمة أو شرح عدا الترجمة السريانية المسماة البشيتا Peshitta فقد ترجمت الكلمة إلى **(الشخص الذي يخصه)** أي الشخص الذي يخصه الصولجان والتشريع، وبموجب هذه الترجمة الهامة فإن معنى النبوة يصبح واضحاً كما يلي:

(إن صفات السلطان والنبوة لن تنقطع من يهوذا (وسلالته) إلى أن يجيء الشخص الذي تخصه هذه الصفات ويكون له خضوع الأمم).

ويحتمل أن كلمة (شايلوه) مشتقة من الفعل (شله Shalah) وفي هذه الحالة فهي تعني المسالم الهادئ الموثوق، كما أن هذا الفعل يعني أيضاً: أرسل وفوّض من اسم المصدر (شلوه Shaluh) أي المُرسَل أو الرسول، وعندئذ فإن الكلمة تأخذ معنى (شيلواح Shiluah) وتكون مرادفة تماماً لـ (رسول ياه Apostle of yah) وهو نفس اللقب المعطى لمحمد (رسول الله)، والمعروف أيضا أن كلمة (شيلواح) هي أيضا تعبير فني لكلمة (الطلاق) ذلك لأن الزوجة المطلقة (ترسل) بعيداً، ولا أستيطع أن أجد تفسيراً آخر لهذا اللقب الهام سوى هذه المعاني الثلاثة.

ومن المعروف أن اليهود والنصارى معاً يعتقدون أن عهد يعقوب هو أحد أبرز التنبوءات المسيحانية عن مجيء المخلّص المنتظر ولا ريب أن المسلمون يؤمنون أن عيسى نبي الناصرة هو المسيح نفسه لأن القرآن يثبت ذلك، والواضح أيضا من الكتب المقدسة اليهودية أن لقب (مسيح) كان يطلق على كل من ملوك إسرائيل وكبار الكهنة ممن كانوا يُمسحون بالزيت المقدس المكوّن في معظمه من زيت الزيتون وعطور متنوعة، حتى أن قورش الزرداشي ملك فارس كان يُدعى (مسيح الله) حسبما ورد في سفر أشعيا: (هكذا قال الله لمسيحه قورش) (أشعيا ٤٥/١ ـ ٧)!!

أما بالنسبة لعيسى فحتى لو اعترف اليهود ببعثته النبوية، وهو الشيء الذي لم يحدث، فإن مهمته المسيحانية كمخلّص منتظر لم تكن مقبولة لديهم؛ لأنه لم توجد فيه أياً من صفات المسيح التي توقعوها، فاليهودي ينتظر مسيحاً مقاتلاً ذا سلطة دنيوية، وفاتحاً يُعيد مملكة داود، مسيحاً يجمع شمل إسرائيل في أرض كنعان ويُخضع الأمم تحت سلطته.

غير أنه يمكن التأكد من تحقق نبوءة يعقوب حرفياً في (محمد) من الحجج التالية:

١ ـ هناك إجماع بين المعلقين أن التعبيرين المجازيين: (الصولجان) و(التشريع) معناهما (السلطة الدنيوية) و(النبوءة) على التوالي.

٢ ـ إن الترجمة السريانية للكتاب المقدس (البشيتا Peshitta) ترجمت كلمة (شايلوه) إلى (**الشخص الذي يخصه الصولجان والتشريع**)، وهو الذي يمتلك السلطة وحق التشريع وتخضع له الأمم.

فمن يكون هذا السلطان والمشرّع العظيم؟

قطعاً ليس موسى؛ لأنه كان أول منظم لقبائل إسرائيل الاثني عشر ولم يأتِ قبله أي ملك أو نبي من سبط يهوذا أصلاً، وحتماً ليس داود؛ لأنه كان أول ملك ونبي من نسل يهوذا نفسه، كما أنه ليس عيسى المسيح؛ لأنه أعلن بنفسه أن المسيح الذي تنتظره إسرائيل لن يكون من نسل داود (متّى ٢٢/٤٤ ـــ ٤٥، مرقص ١٢/٣٥ ـــ ٣٧، لوقا ٢٠/٤١ ـ ٤٤) أضف إلى ذلك أن عيسى لم يترك تشريعاً مكتوباً ولم يفكر بسلطان دنيوي قط وعلى العكس فقد نصح اليهود أن يخلصوا لقيصر ويدفعوا له الضريبة، وفي إحدى المناسبات حاولت الجماهير أن تنصبه ملكاً لكنه تنصل منها واختفى، وكان إنجيله محفوظاً في قلبه وقد بلّغ (البشارة السارة) ـ الإنجيل ـ شفاهة وليس كتابة، ولم يرد في نبوءاته أي شيء عما يسمونه الخلاص من الخطيئة الأصلية بواسطة شخص مصلوب ولا حكم الرجل الإله على قلوب البشر، كما أنه لم يبطل شريعة موسى بل أعلن صراحة أنه قدم لتحقيقها، وقطعا لم يكن آخر الأنبياء فقد تحدث القديس بولس عن الكثير من "أنبياء" الكنيسة.

غير أن محمد ﷺ جاء بالسلطة الدنيوية وبالقرآن يحلان محل الصولجان اليهودي المهترئ والشريعة البالية غير العملية والكهنوت الفاسد، أعلن محمد ﷺ أنقى الأديان وتوحيد الإله الحق، ووضع أفضل القواعد العملية لأخلاق وسلوك البشر، ووحّد بالإسلام أمماً من كل الأجناس لا تشرك بالله شيئاً، تطيع الرسول وتحبه وتحترمه

ولكنها لا تعبده ولا تقدسه ولا تجعله إلهـاً، كما أن محمداً ﷺ قد سحق آخر معاقل اليهود في قريظة وخيبر ووضع نهاية لنفوذهم.

٣ ـ إن المعنى الثاني لكلمة (شـايلوه Shiloh) ينصب أيضـا لصـالح محمد، وهو يعني الهادئ المسالم الأمين الوديع، وهنالك صيغة آرامية لهذا المعنى هي "شيليا" من الجـذر "شلا" وهو غير موجود في العربية، ومن الحقائق المعروفة جيداً في تاريخ نبي بلاد العرب أنه كان قبل البعثة كثير الهدوء والمسالمة ومحلاً للثقة مما جعل أهل مكة يسمونه (محمد الأمين) وعندما خلع عليه أهل مكة هذا اللقب لم تكن لديهم أدنى فكرة عن (شـايلوه) بهذا المعنى، ومن الإعجاز أن الرسالة نزلت على العرب الوثنيين الأميين لكي يواجهوا بها اليهود المتعلمين الذين كان لديهم كتابات مقدسة يعرفون محتوياتها تماما.

٤ – أما المعنى الثالث لاسم (شايلوه Shiloh) فقد لاحظت أنه قد يكون تحريفاً لـ (شـلواح Shaluah) وفي تلك الحالة فإنه يتطابق مع لقب النبي العربي الذي يتكـرر كثيراً في القرآن وهو(الرسول) الذي يعني بالضبط ما تعنيه (شلواح) أي رسول وأن (شلواح إلوهيم) بالعبرية تعني (رسول الله) وهو ما يتكرر في نداء المؤذن خمس مرات كل يوم عندما ينادى للصلاة من جميع مآذن العالم، وإن كلمة "رسول" وردت مرارا في القرآن الكريم ولكن لا نجدها في العهد القديم إلا مرة واحدة بصيغة (شايلوه أو شلواح) عند ذكر عهد يعقوب.

وأياً من المعاني نختار لتفسير نبوءة يعقوب فإننا مضطرون، بحكم تحققها جميعا في محمد، أن نسلّم بأن اليهود ينتظرون عبثا مجيء شايلوه آخر غير النبي ﷺ، في حين أن النصارى مصرون على خطئهم في الاعتقاد أن عيسى كان هو المقصود (شايلوه).

وثمة نقاط في النبوة تستحق التفكير:

أولاً: من الواضح أن السلطة والتشريع سيظلان في سبط يهوذا طالما أن شايلوه لم يظهر، وبما أن اليهود يدّعون أن شايلوه لم يظهر حتى الآن فيفترض أن تكون كلاً من السلطة الدنيوية والنبوة موجودتين لدى سبط يهوذا في حين أنهما انقرضتا منذ ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي، إذ بظهوره انتقلت النبوة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل.

ثانياً: يلاحظ أن قبيلة (سبط) يهوذا انقرضت ومعها السلطة الدنيوية والنبوة، فالقبيلة لم يعد لها وجود ككيان بارز مستقل يقطن بمجموعه في مكان محدد، وقد يستطيع اليهودي أن يعرّف نفسه بأنه إسرائيلي ولكن لا يستطيع أن يدّعي أنه ينتسب لقبيلة أو أخرى من القبائل الاثني عشرة، فاليهود إذا مضطرون أن يقبلوا واحداً من خيارين: إما التسليم بأن شايلوه قد جاء من قبل دون أن يتعرف عليه أجدادهم، أو الإقرار أن قبيلة يهوذا التي يعتقدون أن شايلوه سينحدر منها لم تعد موجودة.

ثالثاً: إن نبوءة يعقوب تعني بصورة واضحة (ومعاكسة تماماً للاعتقاد المسيحي اليهودي) أن شايلوه يجب أن يكون غريباً تماماً عن قبيلة يهوذا بل عن جميع قبائل بني إسرائيل الاثني عشر، إذ تقول النبوءة بوضوح أنه عندما يجيء (شايلوه) فإن السلطة والتشريع يختفيان من

سلالة يهوذا، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا كان (شايلوه) غريباً عن سلالة يهوذا إذ لو كان (شايلوه) منحدراً من يهوذا فكيف يمكن أن ينقطع هذان الأمران من سلالته؟كما لا يمكن أن يكون (شايلوه) منحدراً من قبيلة أخرى من سلالة يعقوب، لأن الصولجان والتشريع كانا لصالح إسرائيل ككل وليس لمصلحة قبيلة واحدة، وهذه الملاحظة تنسف الادعاء المسيحي أيضا لأن عيسى منحدر من سلالة يهوذا من ناحية أمه كما يقولون.

وإني لأعجب من سلوك هؤلاء اليهود الضالين إذ طالما أن بني إسماعيل وبني إسرائيل هم من سلالة إبراهيم فما الفرق سواء كان شايلوه من يهوذا أو من زبولون، من عيص أو من يساكر[1]، من إسماعيل أو من إسحاق، ما دام منحدراً من أبيهم إبراهيم؟

ادخلوا الإسلام وأطيعوا شريعته لكي يصبح بإمكانكم أن تعيشوا في الأرض التي سكنها أجدادكم بسلام وأمان.

---

(١) حسب سفر التكوين فإن يعقوب تزوج بنتي خاله وهما ليئة وراحيل، وتزوج أيضا من زلفة جارية ليئة ومن بلهة جارية راحيل، وأعقب منهن اثني عشر ابناً يطلق عليهم الأسباط وهم :

ـــ من لـيئـة: رأوبين ـ شمعون ـ لاوي (الجد الأكبر لموسى) ـ يهوذا (منه أخذت كلمة يهود وهو الجد الأكبر لداود وسليمان ومريم) ـ يساكر ـ زبولون.

ـــ من راحيل: يوسف ـ بنجامين.

ـــ من زلفة: جاد ـ أشير.

ـــ من بلهة: دان نفتالي.

الفصل الخامس

محمـــد وقسطنطين الكبير

في هذا الفصل نبحث إحدى رؤى النبي دانيال الذي كان في الأصل أميرا منحدرا من أسرة مالكة يهودية ثم أخذ من القدس أثناء السبي البابلي مع ثلاثة آخرين من أمراء اليهود إلى قصر نبوخذ نصّر في بابل حيث درس علوم الكلدانيين وعاش هناك حتى الفتح الفارسي وسقوط الإمبراطورية البابلية وقد بُعث في فترة حكم ملك بابل نبوخذ نصّر، ولا ينسب نقاد التوراة لدانيال كتابة كامل السفر المسمى باسمه فالفصول الثمانية الأولى من السفر حسبما أعلم كانت مكتوبة بالكلدانية أما القسم الأخير فهو عبري. وما يهمنا من سفر دانيال هو التحقق الفعلي للنبوءة الواردة في الترجمة السبعينية من الكتاب المقدس والتي كتبت قبل العهد المسيحي بحوالي ثلاثة قرون.

وردت تلك النبوءة في الفصل السابع من سفر دانيال ولعلها أروع وأوضح نبوءة عن البعثة النبوية لأعظم البشر وخاتم الرسل وهي تستحق دراسة جادة ومحايدة لأنها تصف بصورة رمزية أحداثاً هامة في تاريخ البشرية تلت بعضها البعض على فترات تزيد عن الألف عام وقد رمز لها بوحوش هائلة أربعة. تصف هذه الرؤيا عواصف أربعة من السماء تزأر بمواجهة بحر عظيم يخرج منه على التوالي أربعة وحوش هائلة، أولها على شكل أسد مجنّح، والثاني على شكل دب يحمل ثلاثة أضلع بين أسنانه، والثالث على شكل نمر ذي

أربعة أجنحة وأربعة رؤوس، ثم وحش ذو قرون عشرة وأسنان حديدية ثم يبرز له قرن حادي عشر فتتحطم أمامه ثلاثة قرون وتظهر على القرن الحادي عشر أعين بشرية وفم بشري يتفوه بعبارات الكفر والإلحاد، وفجأة تظهر صورة الحي القيوم وسط ضوء متلألئ في السماء على عرش ذي لهب نوراني ويتدفق أمامه نهر من النور تقف بين يديه ملايين الكائنات السماوية وكما لو كانت محكمة القضاء منعقدة في جلسة غير عادية حيث تفتح الكتب فيحترق الوحش الرابع بالنار لكن القرن الذي يتفوه بالكفر يظل حياً حتى يؤتى (بابن الإنسان) محمولاً على السحاب ويَمْثُل أمام رب العالمين فيتلقى منه سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتخضع له الشعوب والأمم إلى الأبد. ويقترب النبي المبهور دانيال من أحد الملائكة راجياً أن يفسر له ما يرى، فيجيبه أن كلا من الوحوش الأربعة يمثل إمبراطورية، فالوحش الذي على شكل أسد مجنح بأجنحة نسر يمثل الإمبراطورية الكلدانية التي كانت قوية كالنسر المنقض على عدوه، ويمثل الدب الإمبراطورية الفارسية التي امتدت فتوحاتها حتى البحر الأدرياتيكي وأثيوبيا وهكذا تحمل بين أسنانها ضلعاً من جسم كل من القارات الثلاثة.

وأما النمر الرهيب ذي الأجنحة والرؤوس الأربعة فيرمز في زحفه السريع إلى إمبراطورية الإسكندر الكبير التي انقسمت بعد موته إلى أربعة ممالك، ولا يدخل الملاك في التفاصيل إلا عندما يتحدث عن الوحش الرابع لأنه وحش ضخم وشيطان كبير وهو يرمز إلى الإمبراطورية الرومانية الجبارة، والقرون العشرة منه تمثل أباطرة روما العشرة الذين اضطهدوا النصارى الأوائل، ومن المعروف أن تاريخ الكنيسة خلال القرون الثلاثة الأولى

بعد المسيح وحتى زمن قسطنطين الكبير الذي ادعى النصرانية حافل بأهوال الاضطهادات العشرة الشهيرة.

والخلاصة أن الوحوش الأربعة تمثل قوى الظلام أي مملكة الشيطان، وبهذه المناسبة يجدر الانتباه إلى حقيقة إسلامية هامة وهي: (إن الخير والشر من الله)، في حين أن قدماء الفرس آمنوا (بثنائية الآلهة) أي مبدأ الخير والنور مقابل الشر والظلام والعداوة الأبدية بينهما، كما أنه في جميع الأدبيات اللاهوتية والدينية المسيحية التي قرأتها لم أعثر على قول واحد يشبه هذا المبدأ الإسلامي بأن الله هو المصدر الحقيقي للخير والشر، مما يتعبر معارضاً للنصرانية وأحد مصادر الكراهية للدين الإسلامي، رغم أن الله تعالى قد أعلن هذا المبدأ بجلاء لقورش الذي يقول عنه إنه (مسيحه) ويريد منه أن يؤمن بالإله الواحد فقط فيعلن: (**أنا مكون النور وخالق الظلام وصانع السلام وخالق الشر، أنا الإله الذي يصنع كل هذا**) (سفر أشعيا ٤٥/١ ـ ٧)، ولا يوجد تعارض بين هذا المبدأ وبين فكرة أن الله خير؛ لأن مجرد إنكار ذلك يتعارض مع وحدانية الله المطلقة.

نعود الآن إلى رؤيا دانيال فنلاحظ أن الوحوش الرمزية الأربعة كانت عدوة (لشعب الله المختار) وهو ما كان يُدعى به شعب إسرائيل القديم والنصارى الأوائل، لأنهم الوحيدون الذين كانوا يدركون المعرفة الحقيقية والكتب المقدسة ووحي الله، وذلك على النقيض من الإمبرطوريات الأربعة التي اضطهدتهم، ولكن طبيعة القرن الصغير الذي برز في رأس الوحش الرابع كانت تختلف عن طبيعة الوحوش الأخرى بحيث أن الله نزل إلى السماء الدنيا ليقضي على الوحش الرابع بالدمار، ثم دعا إلى حضرته البرناشا (ابن الإنسان) وأعطاه

السلطان والمجد والملكوت كي تخضع له كل الشعوب والأمم والألسنة إلى الأبد (سفر دانيال ١٤/٧) وتكون أمته هي الأمة التي تقدس الله العلي القدير (سفر دانيال ٢٧/٧).

فمن هو ذلك القرن الصغير؟إنه بدون شك الإمبراطور الروماني الحادي عشر فالقرن الصغير يبرز بعد حدوث الاضطهادات العشرة تحت حكم الأباطرة الرومان العشرة، ومن المعروف أنه قبل تولي قسطنطين الكبير الحكم كانت الإمبراطورية ترزح تحت تنافس أربعة مرشحين لمنصب الإمبراطور كان قسطنطين واحداً منهم وقد مات الثلاثة الآخرون أو قتلوا في المعارك فخلا الجو لقسطنطين ليحكم الإمبراطورية الرومانية، وقد حاول الشارحون والمعلقون النصارى الأوائل عبثاً أن يصوّروا هذا القرن الصغير البشع على أنه الدجال وعلى أنه بابا روما عند البروتستانت وعلى أنه نبي الإسلام (معاذ الله) كما أن النقاد التوراتيين المتأخرين محتارون في حل مشكلة الوحش الرابع فيحاولون تصويره على أنه الإمبراطورية اليونانية وأن القرن الصغير هو(أنطيوخوس إبيفانس)، في حين أن الحيوان الرابع لا يمكن أن يكون إلا العالم الروماني القديم وللبرهنة على أن القرن الصغير لم يكن سوى قسطنطين الكبير تطرح الحجج التالية:

أ) تغلب قسطنطين على منافسيه الثلاثة وأصبح إمبراطوراً، وفي كتاب جيبون Gibbon (انحطاط الإمبراطورية الرومانية وسقوطها) أفضل تاريخ عن تلك العصور، ولن يكون باستطاعة أحد اختراع أربعة متنافسين بعد الاضطهادات العشرة للكنيسة إلا قسطنطين ومنافسيه الثلاثة الذين تساقطوا أمامه كما تساقطت القرون الثلاثة أمام القرن الصغير.

ب) رمزت الرؤيا إلى الإمبراطوريات الأربعة بوحوش غير عاقلة لكن القرن الصغير كان له فم وعينا بشر، إنه وحش شنيع يملك المنطق والقدرة على الكلام، لقد أعلن عقيدة التثليث وترك روما للبابا وجعل من بيزنطة التي سماها القسطنطينية مركزاً للإمبراطورية وتظاهر باعتناق النصرانية لكنه لم يتعمد إلا قبيل موته وحتى هذا أمر مختلف فيه، أما الأسطورة القائلة أن اعتناقه النصرانية كان بسبب رؤياه للصليب في السماء فقد ثبت أنها أكذوبة.

لقد اتبعت الوحوش الأربعة تجاه المؤمنين أسلوب المجابهة الوحشية، أما القرن العقلاني فقد كان شيطانياً خبيثاً لأنه حرص على تحريف الديانة من الداخل، لقد دخل قسطنطين إلى حظيرة المسيح على صورة مؤمن وفي ثياب حمل لكنه في دخيلة نفسه لم يكن مؤمناً فقد سمم الأفكار وأفسد العقيدة كما سنرى فيما يلي:

جـ) تفوه القرن الصغير (الإمبراطور الحادي عشر) بكلمات وصلت إلى درجة الكفر بالله وإشراك مخلوقاته معه وتسميته بأسماء وصفات خرقاء (كالوالد) و(المولود) و(انبثاق الشخص الثاني والثالث) و(الوحدانية ضمن التثليث) و(التجسد)، كل ذلك من العقائد الفاسدة التي يعتبر العهد القديم دليلاً حياً على بطلانها وهي كفر يمقته المسلمون واليهود معاً.

ومنذ نزول الوحي على إبراهيم في أور كلدان وحتى إعلان عقيدة مجمع نيقة عام ٣٢٥م، وتنفيذ قراراتها بمرسوم إمبراطوري من قسطنطين وسط ارتياع واحتجاج ثلاثة أرباع المشتركين في مجمع نيقية لم يسبق قبل ذلك أن حصل تحدٍ لوحدانية الله

على مستوى الدولة وبشكل فاضح من قبل أدعياء الإيمان كما حصل من قبَل قسطنطين وجماعته من الكهنوت، ولو جعل (براهما أو أوزيرس أو جوبتر أو فستا) شركاء لله لاعتبرنا ذلك مجرد عقيدة وثنية ولكن عندما نرى المسيح وواحداً من ملايين الأرواح المقدسة (الروح القدس) من عباد الله تعالى يُرفعان إلى مرتبة الألوهية، لا نجد ما نصف به أصحاب تلك العقيدة سوى الكلمة التي اضطر المسلمون لاستخدامها وهي الكفر، وإذا قال قائل إن المقصود بالقرن ليس قسطنطين فالسؤال: من يكون إذن؟ لقد سبق أن جاء فعلاً وهو ليس الدجال المفترض أن يظهر مستقبلاً. وإذا لم نعترف أن هذا القرن سبق أن ظهر فكيف يمكن تفسير الوحوش الأربعة التي يمثل أولها دون شك الإمبراطورية الكلدانية وثانيها الإمبراطورية الفارسية وثالثها إمبراطورية الإسكندر التي انقسمت بعده إلى أربعة ممالك، وإذا لم يمثل الوحش الرابع الامبراطورية الرومانية فهل هناك أية دولة أو قوة خلفت إمبراطورية الإسكندر سوى الإمبراطورية الرومانية ذات العشرة حكام المتتالين الذين اضطهدوا المؤمنين؟ إن القرن الصغير هو قسطنطين حتماً وليس مهماً أن يكون كاتب الفصل السابع من سفر دانيال نبياً أو راهباً أو مشعوذاً إذ المؤكد أن تنبؤاته ووصفه للحوادث قبل أربعة وعشرين قرناً ثبتت دقتها وصحتها في شخص قسطنطين الكبير ذلك الشخص الذي أحجمت كنيسة روما عن رفعه إلى مرتبة القديسين في حين فعلت ذلك الكنيسة اليونانية.

د) لم يكتف القرن الصغير بالإفتراء والكفر بل شنّ حرباً ضد المؤمنين واضطهدهم (سفر دانيال ٧/٢٢) لقد اضطهد النصارى الذين اعتقدوا كاليهود بوحدانية الله المطلقة وأعلنوا أن التثليث فكرة كاذبة وخاطئة ولا أساس لها في العقيدة، وعندما دعي أكثر من ألف من رجال الكهنوت إلى نيقية (إزنيق حالياً) وافق (٣١٨) منهم فقط على قرارات المجلس وحتى هؤلاء الذين وافقوا كانوا يشكلون ثلاثة أحزاب متعارضة في تعابيرها الغامضة والملحدة التي لا تليق بأنبياء إسرئيل وتليق فقط (بالقرن المتكلم).

إن النصارى الذين عانوا الاضطهاد والذبح تحت حكم الأباطرة الرومان الوثنيين لأنهم آمنوا بالله الواحد وبعبده عيسى لم يكونوا أسعد حظاً تحت حكم قسطنطين (المسيحي) فقد حكم عليهم بموجب مرسومه الإمبراطوري بعذاب أشد لأنهم رفضوا عبادة المسيح عبد الله ورفضوا اعتباره مساوياً ومتحداً في الجوهر مع ربه وخالقه، أما كبار رجال الدين وكهنة المذهب الأريوسي (الموحّدون الذين كان يطلق عليهم اليهود النصارى الأوائل اسم قاشيشي أو مشمشاني) فقد أبعدوا عن مراكزهم ونفوا وصودرت كتبهم الدينية وأعطيت كنائسهم للأساقفة والقساوسة الثالوثين، ووضع قسطنطين فرق الجيش القاسية تحت تصرف الثالوثيين كي يضطهدوا أعداءهم مُقدِماً خدمة كبيرة لمبدئهم، والخلاصة أن قسطنطين أنشأ نظام حكم إرهابي ضد الموحدين استمر ثلاثة قرون ونصف حتى أسس المسلمون دعائم دين الله وتسلموا السلطان والمجد والملكوت في الأراضي التي كانت تسيطر عليها الوحوش الأربعة.

هـ) يُتهم (القرن المتكلم) بأنه غيّر الشريعة وغير الأوقات (أي أيام الأعياد والعطل) ويتضح ذلك فيما يلي:

تغيير الشريعة: لقد خرق مرسوم قسطنطين بصورة سافرة وصيتين من شريعة موسى الأولى حول وحدانية الله (لن يكون لك إله غيري) وقد تم خرقها بادعاء وجود ثلاثة أشخاص في شخص الله وأن الله تعالى مولود من مريم، أما الوصية الثانية التي تحرم صناعة الأصنام والتماثيل بغرض العبادة فقد تم خرقها ليس فقط بصنع التماثيل بل بجعل المخلوق إلهاً وبعبادته، وإمعاناً في الكفر فقد تمت تسمية الخبز والنبيذ في القربان المقدس على أنه (جسد الله ودمه).

تغيير الأوقات: بالنسبة لكل يهودي ملتزم ولنبي مثل دانيال الذي كان منذ شبابه شديد التقيد بالشريعة الموسوية، ما الذي يمكن أن يكون أكثر مقتاً من تغيير عيد الفصح اليهودي Passover (الذي يضحي فيه اليهود بحمل صغير) إلى عيد الفصح المسيحي Easter، الذي اعتبر أن الحمل هو(حمل الرب) الذي تمت التضحية به على الصليب؟

أضف إلى ذلك إلغاء عطلة السبت وإحلال يوم الأحد مكانها مما يعتبر خرقاً صريحاً للوصية الرابعة من الوصايا العشر، صحيح إن الإسلام بعد ذلك ألغى يوم السبت ولكن السبب أن اليهود أساءوا استعماله بإعلانهم أن الله استراح في اليوم السابع كأن الله يتعب كما يتعب البشر.

لقد ألغى قسطنطين يوم السبت بمرسوم إمبراطوري وحدد يوم الأحد مكانه لأنهم زعموا أن عيسى خرج من القبر يوم الأحد علماً أن عيسى نفسه كان شديد التقيد بيوم السبت وقد وبّخ اليهود لأنهم اعترضوا على القيام بأعمال الخير في ذلك اليوم.

و) إن الحرب التي أعلنها القرن الصغير (الإمبراطور الحادي عشر) ضد المؤمنين واستمرت لفترة ثلاثة قرون ونصف حتى ظهور الإسلام أدت إلى إضعافهم ولكنها لم تقض عليهم.

فقد كان (الأريسيون) المؤمنون بوحدانية الله يقاومون في سبيل عقيدتهم ويظهرون كلما سنحت لهم فرصة كما حدث في عهد قسطنطيوس (ابن قسطنطين) وفي عهد (يوليان) وغيرهما ممن كانوا أكثر تسامحاً معهم من قسطنطين.

أما النقطة الهامة الأخرى في رؤيا دانيال فهي التأكد من شخصية البرناشا (ابن الإنسان) الذي قضى على (القرن الرهيب)، وهو ما سنبحثه في الفصل التالي.

الفصل السادس

محمد ﷺ

هو المقصـود بلقب ابن الإنسان

في الفصل السابق درسنا الرؤيا الرائعة للنبي دانيال (سفر دانيال٧)، وكيف رمزت وحوش أربعة متتالية لإمبراطوريات الكلدان فالفرس فالإسكندر الكبير فالرومان على التوالي وهي الإمبراطوريات التي اضطهدت اليهود والنصارى الموحدين الأوائل ثم درسنا كذلك كيف أن (القرن الحادي عشر) الذي نطق بالكفر واضطهد المؤمنين وبدّل الشريعة وأيام العطل والأعياد لا بدّ من أن يكون قسطنطين الكبير الذي أعلن في عام ٣٢٥م مرسومه الإمبراطوري منادياً بعقيدة التثليث وتأليه المسيح.

وفي هذا الفصل ندرس شخصية (البرناشا ـ ابن الإنسان) الذي أُتي به إلى الله العلي القدير فوق السحاب وأعطي السلطان والمجد والملكوت وكُلِّفَ بتدمير القرن الرهيب.

وقبل التأكد من شخصية (ابن الانسان) يلزم أن نأخذ بالاعتبار الملاحظات التالية:

أ) عندما يتنبأ رسول يهودي بأن **(جميع شعوب وأمم الأرض سوف تخضع للبرناشا)** (سفر دانيال٧/١٤)، وأن المملكة والسلطان تحت كل السماء سوف تعطى لشعوب المؤمنين (سفر دانيال ٧/٢٧)، فمن الواضح أن ذلك يعني الشعوب التي جاء ذكرها في (سفر التكوين

١٨/١٥ ـ ٢٢) (في ذلك اليوم عهد الله إلى إبراهيم: لِنَسْلِك أعطي هذه الأرض من نهر مصر الكبير إلى الفرات) وليس غيرهم من الأمم.

ب) إن عبارة (شعوب المؤمنين) يقصد بها أولاً اليهود في ذلك الوقت ثم النصارى الموحدين الذين عانوا الاضطهاد بسبب إيمانهم الصحيح وصمدوا حتى ظهور الـ (برناشا ابن الإنسان) الذي دمّر القرن.

جـ) لقد وجب بعد دمار القرن أن يسيطر المؤمنون على أمم الكلدان والفرس واليونان والرومان وهي الأمم التي رمز لها بالوحوش الأربعة والتي سبق أن غزت وسيطرت على الأراضي المقدسة، وبالفعل فإنه امتداداً من البحر الأدرياتيكي حتى الصين خضعت جميع الأمم والشعوب للمسلمين الذين كانوا وحدهم أصحاب الإيمان الحقيقي.

د) كان اليهود شعب الله المختار حتى مجيء عيسى عليه السلام، أما بعد ذلك فلم يعد اليهود ولا النصارى يستحقون لقب (شعوب المؤمنين) حسب تعبير (سفر دانيال ٢٧/٧) لأن اليهود رفضوا رسالة عيسى، أما النصارى فقد أهانوه بشركهم، فضلاً عن أن اليهود والنصارى معاً لم يعترفوا ببعثة محمد خاتم الأنبياء والرسل.

وعلى ذلك نستطيع أن نثبت أن الـ (برناشا) ابن الإنسان الذي أرسل لتدمير القرن وسحق الإمبراطورية الرومانية لم يكن غير محمد، ومهما يبذلون من محاولات لابتداع شخصية أخرى غيره للقيام بدور (البرناشا) فإن ذلك لا يعدو أن يكون تهافتاً للأسباب التالية:

١ ــ يجب أن يكون واضحاً أن اليهود والنصارى لا يحملون اسماً صحيحاً لديانتهم، فالديانة الحقة لا تسمى باسم مؤسسها الثاني وهو النبي المرسل لأن مؤسس الديانة الحقيقي هو الله وليس نبيه. ولذا فإن الاسم الصحيح للديانة التي أوحى الله بها إلى أنبيائه تدعى (الإسلام) مما يعني (صنع السلام) أي أن يعيش المسلم في سلام مع نفسه ومع الآخرين، إن (المحمدية) ليست اللقب الصحيح للإسلام لأن محمد نفسه كان مسلماً ولم يكن (محمدياً)، إن اليهودية تعني ديانة ذرية يهوذا ولكن ماذا كان يهوذا نفسه؟إنه لم يكن يهودياً ولم يتخذ لنفسه تلك الصفة، كما أن المسيح نفسه لم يكن مسيحياً.

إن موسى عليه السلام لم يسمع في حياته باسم الديانة اليهودية كما أن عيسى عليه السلام لم يسمع باسم الديانة المسيحية أثناء وجوده على هذه الأرض، وإن لغة دانيال قريبة من لغة القرآن فهو يُكرر لفظ (الدين) و(الدينونة) وبحسب شريعة هذا (الدين) قام الـ (برناشا) بتحطيم ديانة الشيطان ومن المستحيل أن يكون المقصود بلقب (ابن الإنسان) أي شخص آخر غير محمد، إن الإسلام هو سيادة (السلام) الذي يقوم به العدل ويقهر الظلم ويظهر الصدق ويدين البهتان والكذب. والملاحظ في اللغة الإنكليزية أنه يطلق على قاضي الصلح اسم قاضي السلام Justice of Peace وهذا تقليد للقاضي المسلم الذي يسوي الخصومات بمعاقبة المذنب والتعويض على البريء وبهذه الطريقة يتحقق السلام فأين ذلك من النصرانية وأناجيلها التي تمنع النصراني من اللجوء للقضاء مهما كان مظلوماً ومضطهداً (متّى ٥/٢٥ ــ ٢٦، ٣٨ ــ ٤٨).

٢- إن البرناشا (ابن الإنسان) هو محمد دون شك لكونه جاء بعد قسطنطين وليس قبله كالمسيح والأنبياء الآخرين، وقد تمكن معتنقوا عقيدة التثليث، أتباع (القرن الرهيب) قسطنطين الكبير، من اضطهاد الموحدين وقهرهم لمدة وصفتها نبوءة دانيال بأنها (زمان وأزمنة ونصف زمان) (دانيال ٧/٢٥) أي ثلاثة قرون ونصف القرن، تُستأصل في نهايتها على يد البرناشا جميع القوى الوثنية وجميع ممالك الطغيان والشرك بالله (سفر دانيال ٧/٢٦)، ولذا من العبث الادعاء أن (يهودا المكابي) كان هو البرناشا وأن القرن الرهيب كان أنطوخيوس إيبيفانس خليفة الإسكندر، إذ يزعمون أن أنطوخيوس عاش فقط ثلاث سنوات ونصف السنة، أو ثلاثة أيام ونصف اليوم، بعد تدنيسه معبد القدس.

فنحن نعلم أن أنطوخيوس الذي خلف الإسكندر الكبير على ملك سوريا لا يمكن أن يكون القرن الرهيب الحادي عشر للوحش الرابع، لأنه بحسب رؤيا دانيال كان أنطوخيوس واحداً من الرؤوس الأربعة للوحش الثالث.

ومن جهة ثانية فإن القرن الرهيب الناطق يشير إلى أن الشخص الذي تكلم بالكفر ثم غير الشريعة أيام الأعياد لم يكن وثنياً ولكنه كان عارفاً بالله ومع ذلك أشرك به عمداً وجعله ثالوثا، في حين أن أنطوخيوس لم يفسد العقيدة اليهودية بالدعوة إلى التثليث ولم يغير شريعة موسى ولا أيام الأعياد.

كما أنه من الضحالة إعطاء مثل هذه الأهمية إلى أحداث تافهة جرت بين ملك صغير في سوريا (أنطوخيوس إيبيفانس) وبين زعيم يهودي ضئيل الشأن (يهودا المكابي) لا يمكن

مقارنته مع البرناشا العظيم ولا مع المهمة الكبرى الموكلة إليه، إن الرؤيا النبوية تصف البرناشا بأنه أعظم الرجال وأنبلهم على الإطلاق.

ولم يرد في العهد القديم مثل هذا التعظيم والتشريف لأي انسان يستحق ذلك مثلما استحقه النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

٣ ـ هناك سببان رئيسان يجعلان من المستحيل أن يكون عيسى المسيح هو صاحب تلك المهمة الكبرى والمنزلة الرفيعة التي أعطيت لـ (ابن الإنسان):

(أ) إذا كان المسيح مجرد نبي من الأنبياء وقوّمنا بعثته من حيث نجاحها أو فشلها فهو من المؤكد دون منزلة محمد بقدر كبير، ولكن إذا اعتقد البعض أنه إله وثالث ثلاثة فعندئذ لا يوضع في صنف البشر، وتلك معضلة لا يمكن الخروج منها بحل لأنه في كلا الحالتين لا يمكن للبرناشا أن يكون عيسى.

(ب) لو كان عيسى مكلفاً بسحق الوحش الرابع لما وافق على دفع الضريبة لقيصر ولما أمكن للحاكم الروماني بيلاطس أن يجلده بل على العكس كان عليه أن يهزم الرومان من فلسطين وينقذ بني إسرائيل منهم.

٤ ـ لم يظهر في هذا العالم نبي مثل محمد انتمى إلى سلالة استمرت لزمن يقرب من (٢٥٠٠) عام وحافظت على استقلالها ولم تخضع مطلقاً لجهة أجنبية، كما لم يظهر رجل على وجه الأرض قدم من المبادئ والقيم والأخلاق لأمته خاصة وللعالم عامة أكثر من محمد، ومن المستحيل التصور بأن مخلوقاً آخر غيره جدير بالتقدير والإجلال الذي صورته به تلك

الرؤيا النبوية، لقد تطلع إليه النبي الكبير دانيال بتهيب وإعجاب لأنه تُوّج سلطاناً على الأنبياء وقائداً للإنسانية جمعاء، ولا غرابة أن النبي داود أطلق عليه لقب (سيدي) (المزمور ١١٠).

٥ ـ لقد قوبل محمد عندما أسري به ليلاً إلى السماء بأعلى مراتب الشرف وخُوّلت له القوة لمحو الوثنية وسحق الكفر وإزالة نفوذه من جميع البلاد التي وهبها الله له ولشعبه ميراثاً أبدياً[1].

٦ ـ بحسب قناعتي المتواضعة فإن رؤيا دانيال فيما يتعلق برحلة البرناشا فوق السحاب وحضوره أمام الله تعالى تتفق وتتطابق مع (المعراج) ليلة أسري بالنبي محمد إلى السماء وهناك عدة إشارات في كل من كلام دانيال والحديث النبوي الشريف أدت بي إلى هذا الاعتقاد.

وقد ورد في القرآن الكريم أنه في ليلة الإسراء والمعراج أسرى الله بعبده من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في القدس الذي بارك الله حوله، ذلك المسجد الذي كان خراباً في ذلك الزمن (سورة الإسراء).

ويروى أن النبي الكريم صلى بالأنبياء إماماً في الحرم القدسي كما أنه عرج به من القدس إلى السموات السبع حيث رأى من آيات ربه الكبرى مما أوضح دانيال بعضه عندما روى حكم الله سبحانه وتعالى بحق القرن الكافر.

---

(١) ليس لشعب و (أمة) محمد جنس أو لون مميز حتى يستعبد سائر الأجناس، كما هو الحال عند اليهود ومتطرفي النصارى من البيض.

وقد تكون الروح التي فسرت الرؤيا للنبي دانيال ملاكاً أو روح نبي فقد دعاها (بالقدس) وهي صيغة مذكر أو قدّوس (سفر دانيال ١٢/٨ ــ ١٤)، لكم بلغت الغبطة بتلك الأرواح المقدسة للأنبياء والشهداء بعد أن عانت الاضطهاد المرير من الوحوش الأربعة عندما شهدت قرار الحكم بالموت يصدره العلي القدير ضد ثالوث قسطنطين بحضور خاتم الأنبياء الذي كلف بإبادة القرن الكافر.

ونحن كمسلمين نقر بأن الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح معاً مما يتوافق مع شهادة دانيال وهو أمر لا يستحيل على قدرة الله سبحانه وتعالى.

وهنالك رؤيا مشابهة للقديس بولس عن رجل كان قد رفع إلى السماء الثالثة ومن ثم رفع إلى الفردوس حيث سمع وشاهد ما لا يمكن وصفه وتعتقد الكنائس وبعض المعلقين بأن بولس نفسه كان ذلك الرجل لأن النص يوحي بذلك وهم يعتقدون أن بولس لم يذكر ذلك صراحة من باب التواضع (٢ الكورنثيين ١/١٢ ــ ٤).

وكون بولس لم يفصح عن هوية الرجل الذي ذكره في رؤياه، وقوله إن الكلمات التي سمعها في الفردوس لا يمكن ترديدها ولا يسمح لأي إنسان أن ينطق بها يؤكد أن بولس لم يكن ذلك الرجل، فهو لم يكن متواضعاً بدليل أنّ رسائله Epistles كانت تتمحور حول ذاته وقد تبجح أيضا أنه عنّف بطرس مواجهةً، ونحن نعرف من كتاباته إلى (غالاطيه) وإلى الرومان كم كان متحيزاً إلى يهوديته ومتحاملاً ضد هاجر وولدها إسماعيل.

إن ذلك الشخص العظيم الذي شاهده في رؤياه لا يمكن أن يكون غير ذلك الشخص الذي رآه دانيال أيضاً، وهو محمد، غير أنه لم يتجرأ أن يذكر الكلام الذي سمعه لأنه كان يخاف اليهود من جهة، ومن جهة أخرى كان يخشى أن يناقض نفسه بعد أن مجّد نفسه كثيرا بكلامه عن الصليب والمصلوب، لقد اعترف بولس أن الشيطان كان ينفخ في رأسه (٢ الكورنثيين ٧/١٢) مما منعه من إظهار الحقيقة بأن الشخص الذي رآه لم يكن سوى البرناشا ابن الإنسان محمد والذي رآه دانيال قبله بستة قرون، وكلما فكر المرء ملياً في تعاليم بولس تضاءل الشك عنده في أنه كان نموذجاً مطابقاً لقسطنطين الكبير.

والنتيجة أنني أسمح لنفسي باستخلاص العبرة من هذه الرؤيا الرائعة للنبي دانيال وأهيب بغير المسلمين أن يعتبروا بالمصير الذي انتهت إليه الوحوش الأربعة، إن الله وحده هو الإله الحق وإن المسلمين وحدهم توصلوا للإيمان بوحدانيته المطلقة واهتدوا بنبوة محمد سيد وخاتم الأنبياء.

الفصل السابع

الملك داود يدعوه (سيدي)

يورد سفر (صموئيل) و(المزامير) من العهد القديم الكثير من قصص داود ومنها أنه قذف في شبابه حجراً صغيراً إلى جبهة البطل الفلسطيني جالوت (Goliath) فقتله مما أدى إلى انتصار جيش إسرائيل، وقد كافأه الملك طالوت (شاؤول Saul) أول ملوك بني إسرائيل على ذلك بأن وافق على تزويجه ابنته ميشال.

وعند وفاة طالوت تولى داود الحكم، وكان النبي صموئيل قد مسحه قبل ذلك بالزيت تمهيداً لحكمه، وقد امتد حكم داود بضع سنوات في الخليل ثم استولى على القدس من اليبوسين وجعلها عاصمة ملكه، وقد أطلق على المرتفعين القائمين في القدس اسم (موريا) و(صيون) وهاتان الكلمتان تؤديان نفس المعنى لكلمتي المروة والصفا في مكة المكرمة وتعني كلمة المروة (مكان رؤيا الرب) وكلمة الصفا (الصخر أو الحجر). وقد طالت مدة حكم داود أربعين عاماً اتّسمت بالحروب والأحزان العائلية وهنالك روايات متضاربة حوله تُعزى إلى مصدرين مختلفين.

لم يرد في القرآن الكريم (سورة ص) ما يؤيد الخطيئة المنسوبة لداود في حق جنديّه (أوريا) وزوجته (باتشيبا) (سفر صموئيل الثاني، الفصل ١١). ومن عظمة القرآن أنه ينزه الأنبياء عن الفواحش، فهو لا ينسب إليهم كما فعلت التوراة المحرّفة جرائم وآثاماً كاتهام

داود بالزنا مما يعاقب عليه بالموت حسب شريعة موسى، تلك التهمة التي يصعب أن نعزوها لشخص عادي ناهيك عن نبي مرسل.

وقد ذكر الرازي في تفسيره أن معظم العلماء يرفضون هذه التهمة على أنها افتراء وأن كلمات الاستغفار في نص الآيتين (٢٤ ــ ٢٥ من سورة ص)[1] لا تدل على ارتكاب داود للإثم لأن الاستغفار يعني أيضا طلب الحماية وإصلاح الأمور، ذلك أن داود رغم كونه حاكما عظيما لم يفلح في إحكام السيطرة على أعدائه.

انقسمت مملكة داود بعد ابنه سليمان إلى دولتين كثيراً ما كانتا تتحاربان، فقد كانت الأسباط العشرة التي كونت مملكة إسرائيل (السامرة) معادية لسلالة داود التي كونت مملكة (يهوذا)، ولم تقبل الأسباط العشرة أي جزء من العهد القديم سوى الأسفار الخمسة Pentateuch والسبب نجده في النسخة السامرية للأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم إذ لا تشتمل على كلمة واحدة أو نبوءة واحدة عن سلالة داود بما في ذلك الأقوال المنسوبة لكبار الأنبياء مثل إلياس واليسع وغيرهما ممن عُرفوا في إسرائيل (السامرة) خلال حكم ملوك إسرئيل الطغاة.

إلا أنه بعد سقوط مملكة إسرئيل ونفي الأسباط العشرة إلى بابل بدأت تظهر النبوءات في (يهوذا) بقدوم أمير من سلالة داود يعيد جمع شمل الأمة ويخضع أعداءها، وهنالك العديد من

---

(١) ﴿ وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب * فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾ (سورة ص، الآية: ٢٤ ــ ٢٥).

الأقوال المبهمة في هذا الصدد منسوبة إلى الأنبياء المتأخرين مما زود قساوسة الكنيسة فيما بعد بنشوة كبيرة رغم أنه لم يكن لهذه الأقوال أية علاقة بعيسى المسيح، وسوف أذكر بإيجاز مثالين من هذه النبوءات:

النبوءة الأولى: في (سفر أشعيا ١٤/٧) عن فتاة (ألماه بالعبرية) حامل سوف تلد ولداً اسمه عمانوئيل وكلمة (ألماه) العبرية لا تعني عذراء كما اعتاد اللاهوتيون النصارى تفسيرها لكي يشيروا بها إلى مريم العذراء ولكنها تعني امرأة أو فتاة في سن الزواج في حين أن الكلمة العبرية التي تدل على معنى عذراء هي (بتوله) وأما اسم (عمانوئيل) فهو يعني (الله معنا) وثمة مئات من الأسماء العبرية التي تنتهي أو تبدأ بمقطع (إيل) ومن المؤكد أنه لم يدر في فكر إشعيا أو الملك آحاز (ملك يهوذا عندئذ) أو أي يهودي إطلاقاً أن الطفل الوليد سيكون هو(الله) بنفسه (معنا) وإنما كانوا يعتقدون أن ذلك سيكون اسم مبارك للطفل الوليد، إذ كان آحاز في خطر والقدس تحت الحصار فاعطيت له علامة الفرَج وهي الفتاة التي ستلد ولداً اسمه عمانوئيل وبالطبع لا يمكن أن تكون الفتاة مريم العذراء التي ستظهر بعد أكثر من سبعمائة عام.

إن تلك النبوءة البسيطة بأن طفلاً اسمه عمانوئيل سيولد خلال حكم آحاز قد أساء فهمها كاتب إنجيل متى (متى ٢٣/١) رغم أن الملاك جبريل أطلق على ابن مريم عليهما السلام اسم عيسى (متى ٢١/١) ولم يطلق عليه اسم عمانوئيل، وهكذا فإن اعتبار اسم عمانوئيل برهاناً على عقيدة التجسد المسيحية ليس إلا مغالطة كبرى.

وكمثال آخر إليك النبوءة الواردة في (سفر زكريا ٩/٩): (ابتهجي يا بنت صهيون، واهتفي يا بنت القدس، هو ذا ملكك قادم إليك، سوف يكون تقياً وديعا يأتي بالخلاص ويمتطي حماراً ابن أتان). في هذه العبارة الشعرية يود الكاتب ببساطة أن يصف الحمار الذي يمتطيه الملك بقوله: إنه كان حماراً فتياً مما يوصف أنه ابن الأتان.

لكن إنجيل متى نقل هذه العبارة على النحو التالي (متى ٢١/٥): (قولوا لابنة صهيون هو ذا مليكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وعلى جحش ابن أتان).

وليس مهماً أن يكون الشخص الذي كتب العبارة المذكورة أعلاه قد آمن أم لم يؤمن حقيقة بأن عيسى لدى دخوله الظافر إلى القدس كان يمتطي أتاناً وابنها معاً في وقت واحد، كمعجزة يحترمها من المعجزات، إلا أن الغريب أن معظم الآباء النصارى آمنوا بذلك رغم أن وصفاً كهذا هو أقرب إلى الهزل منه إلى جدية الموكب الملكي المهيب، غير أن لوقا كان حذراً ولم يقع في خطأ متى، فهل يعقل أن يكون الكاتبان قد استمدا الإلهام من الروح القدس نفسه؟

بعد عودة اليهود من السبي البابلي تنبأ زكريا في القدس بمجيء ملك وديع ومتواضع يركب حماراً يأتي بالخلاص ويعيد بناء بيت الله، وقد تنبأ زكريا بهذا عندما كان اليهود على عداوة مع الشعوب المجاورة وهم يحاولون إعادة بناء المعبد ومدينة القدس المخربة إذ كان العمل في بناء المعبد متوقفاً بانتظار أوامر داريوس ملك الفرس، ومع أنه لم يظهر بعد القرن السادس قبل المسيح (أي بعد عودة اليهود من الأسر البابلي) أي ملك يهودي بمعنى الكلمة إلاّ أن اليهود تمتعوا بحكومات مستقلة ذاتياً ضمن السيادة الأجنبية، ومن الواضح أن زكريا قصد في نبوءته خلاصاً مادياً وفورياً لليهود وليس خلاصاً مؤجلاً لفترة خمسمائة وعشرين عاماً

بانتظار أن يركب عيسى المسيح حماريه في آن واحد ويدخل القدس التي أصبحت عندئذ مدينة كبيرة غنية وبها المعبد الرائع لكي يقبض عليه اليهود أنفسهم ويسلمونه لسادتهم الرومان كما تقول لنا الأناجيل الحالية، إن هذا لم يكن ليمثل أي عزاء لليهود المقهورين الذين كانوا في القدس المخربة يحيط بهم الأعداء من كل جانب، ولذلك فإنه يفهم من كلمة ملك أنــه قد يكون أحد كبار قادتهم مثل زيرو بابل Zerobabel أو عزرا (عزير) أو نحميا.

إنني أقصد من هذين المثالين أن أبين لقرائي كيف قام الأحبار والرهبان بتضليل النصارى بإعطائهم تفسيرات ومعان غبية للنبوءات الموجودة في الكتب اليهودية المقدسة.

والآن إلى نبوءة داود موضوع هذا الفصل التي يقول فيها: (قال يهوه "Yahwah" لسـيدي "Adon" اجلس على يميني، حتى أجعل أعداءك مسنداً لقدميك).

وردت نبوءة داود هذه في المزمور (١١٠) واقتبسـها كـل مـن متـى (٢٢/٤٤) ومرقـص (١٢/٣٦) ولوقا (٢٠/٤٢)، وفي جميع اللغات كتبت على النحو التالي: (قال الرب لربي) بدلاً من (قال يهوه لسيدي) ومغزى ذلك أنه إذا كانت كلمة الرب الأولى تعني الله، فإن كلمة ربـي الثانية تعني الله أيضا أي المتكلم هو الله والمخـاطب هـو اللـه أيضـا، لذلـك فـإن داود يعـرف ربين اثنين! ورغم غرابة هذا المنطق فقد وجد فيه الآباء النصارى حجة ملائمة لعقيدتهم! فأي من هذين الربين هو إله داود؟ لو قال داود فعلاً: قال الـرب لربـي لجعـل مـن نفسـه أضحوكـة ليس فقط لأنه اعتقد بإلهين اثنين بل أيضاً لأن رب داود الثاني قد التجأ إلـى ربـه الأول الـذي أمره أن يجلس إلى يمينه حتى يجعل من أعدائه مسند قدم له.

إن هذا الخلط يجعل من المحتم أن يعرف المرء توراته أو إنجيله أو قرآنه باللغة الأصلية التي كتبت بها لكي يتمكن من الفهم الصحيح للدين.

لقد كتبت الكلمات العبرية الأصلية وهي (يهوه Yahwah) و(أدون Adon) لتفادي أي غموض وسوء فهم في معناها، إن مثل هذه الأسماء في الكتب المقدسة كان يجب أن تترك على حالها ما لم يكن هنالك كلمة معادلة لها تماماً في اللغة التي تترجم إليها، إن الكلمة الرباعية الحروف (ي هـ و ه) التي كانت تلفظ (يهوفا) وصارت الآن تلفظ (يَهْوه) هي أحد أسماء الأعلام لله تعالى ويقدسها اليهود لدرجة أنهم عندما يقرأون كتبهم المقدسة فإنهم لا يلفظونها بل يقرؤون أدوني Adoni بدلاً منها، أما الاسم الآخر (إلوهيم) فيلفظونه في حين أن اسم (يهوه) لا يلفظونه قط. أما السبب الذي من أجله يُحدث اليهود هذا التمييز بين هذين الاسمين لنفس الإله فهو مسألة قائمة بذاتها وخارج نطاق بحثنا، غير أنه يذكر بهذه المناسبة أن اسم (يهوه) لا يستعمل مع ضمائر متصلة قط، ويبدو أنه اسم خاص بالعبرية للذات الإلهية باعتباره الإله القومي لشعب إسرائيل أما (إلوهيم) فهو أقدم اسم معروف لجميع الساميين وكثيراً ما تستعمل الكلمة الرباعية (يهوه) جنباً إلى جنب مع (إلوهيم)، والصيغة العربية (الله ربنا) توازي الصيغة العبرية (يهوه إلوهيم).

أما الكلمة الأخرى (أدون Adon) فتعني الآمر أو السيد ولذلك فإن الجزء الأول من النبوءة يجب أن يقرأ هكذا (قال الله لسيدي).

لقد كان داود بصفته ملكاً هو السيد والآمر على كل يهودي وسيد المملكة كلها فمن هو سيده إذن؟لا يمكننا أن نتصور أنه كان يدعو بـ (سيدي) أي نبي متوفًّى كإبراهيم أو يعقوب

الذين كان يستخدم لهم في العادة لقب (الأب)، ومن المفهوم أيضا أنه لا يمكن لداود أن يدعو أحداً من سلالته (سيدي) لأن اللقب المعقول سيكون (بُنَيّ) ولذا فإنه لا يتفق أن يكون سيداً لداود بعد الله إلا من هو أشرف الخلق وأنبلهم.

ومن الفطنة أن نفكر بأن الله سبحانه وتعالى قد اختار رجلاً له من الصفات ما يجعله أنبل البشر وأحقهم بالثناء وأولاهم بالاقتداء ولا شك أن الحكماء والأنبياء عرفوا هذه الشخصية الكريمة منذ القدم ودعوها (سيدي) كما دعاها داود.

وقد استنتج أحبار اليهود ومفسروا العهد القديم أن هذا التعبير يعني المسيح المنتظر المفروض أن ينحدر من نسل داود، وهو ما قالوه لعيسى المسيح عليه السلام ولكنه صحح اعتقادهم وأفادهم بأنه ليس هو المخلص المنتظر إذ أجابهم على أسئلتهم بقوله (إذ كان داود يدعوه سيدي فكيف يكون ابنه؟) فلم يجدوا جوابا لذلك، (متّى ٤٤/٢٢) و(مرقص ٣٦/١٢) و(لوقا ٤٤/٢٠)، وقد قطع كتاب الأناجيل تتمة هذا الحوار فجأة دون مزيد من الإيضاح مما لا يليق بهم ولا بالمعلم، لأنه من المؤكد أن المعلم قد حل الإشكال الذي أثاروه عندما وجد أنه لا الحواريين ولا غيرهم من الحضور استطاعوا أن يعرفوا من يكون (السيد) هذا؟

وعندما قال عيسى إن (السيد) أو (الأدون) لا يمكن ان يكون ابنا لداود فقد استثنى نفسه من ذلك اللقب، وهذا الإيضاح حاسم ويجب أن ينبه النصارى لكي ينظروا للمسيح نظرة واقعية وهي أنه عبد الله ورسوله وأن يرفضوا الطابع الإلهي الذي نُسب إليه والذي لم يدّعه لنفسه قط.

ولا نستطيع أن نتصور معلماً مخلصاً يرى طلابه عاجزين عن الإجابة على سؤاله ويبقى صامتاً إلا إذا كان مثلهم جاهلاً وعاجزاً عن الإجابة، ولكن عيسى عليه السلام لم يكن بالمعلم الجاهل، وهو قطعاً لم يترك المسألة دون حل، غير أن أناجيل الكنائس لم تذكر جواب عيسى على السؤال (من هو سيد داود)؟ في حين أن إنجيل برنابا قد أورده، وقد رفضت الكنائس هذا الإنجيل؟ لأن لغته اكثر توافقاً مع الكتب المنزلة ولأنه يعبر بوضوح عن طبيعة رسالة عيسى المسيح وأهم من ذلك فإنه يسجل بدقة كلمات عيسى عن محمد، ومن السهل الحصول على نسخة من هذا الإنجيل الذي نجد فيه جواب عيسى الذي قال فيه: (إن العهد بين الله وإبراهيم كان موضوعه إسماعيل وإن أكثر الناس مجداً وحمداً سيكون من سلالة إسماعيل وليس من سلالة إسحاق وداود)، ويقال أن عيسى تكلم مرارا عن محمد لأنه التقى روحه في السماء، وسوف تتاح لي الفرصة إن شاء الله للكتابة عن هذا الإنجيل.

وليس من شك في أن رؤيا دانيال التي تنبأت بالبرناشا العظيم (محمد) قد تطابقت مع نبوءة داود كما تطابقت أيضا مع رؤيا النبي أيوب (أيوب ١٩/٢٥) الذي تنبأ بالمخلّص الذي ينقذ الناس من سلطة الشيطان، وسوف نرى بأنّ محمد كان هو المقصود بكلام داود عندما قال (سيدي).

يوصف النبي محمد عادة بأنه سيد المرسلين أي (أدون Adon) الأنبياء وإن الحجج التي وردت في العهد القديم مصداقاً لذلك هي من الوضوح بحيث لا يسع المرء إلا أن يدهش من جهل أو مكابرة أولئك الذين يرفضون أن يفهموا ويذعنوا للحق.

١ ـ إن أعظم نبي وسيد (أدون) ليس بالفاتح العظيم ولا مكتسح البشرية ولا معتكف يقضي حياته في كهف أو دير من أجل تخليص نفسه فقط، ولكنه ذلك الذي يقدم الخير والخدمة للبشر، فينير لهم طريق المعرفة بالله ويقضي على سلطة الشيطان ومؤسساته، لقد سحق محمد رأس الأفعى ومن أجل ذلك يطلق القرآن على الشيطان اسم (إبليس) أي المنكسر أو المسحوق، وقد طهر الكعبة وبلاد العرب من الأصنام وطهر فلسطين وسائر البلاد التي زارها إبراهيم من الوثنية والشرك وسلطة الشيطان ونشر النور في أنحاء الدنيا حتى أن أعماله وإنجازاته العظيمة لم يضاهيها شيء في تاريخ البشرية.

٢ ـ لقد أكد عيسى المسيح نفسه أنه لم يكن سيداً لداود كما بيّن أن المخلّص المنتظر لن ينحدر من نسل داود، وهكذا فإنه فلم يبق سوى محمد من بين جميع الأنبياء سيداً لداود، وعندما نقارن بين الثورة الدينية التي حققها حفيد إسماعيل العظيم في العالم وبين ما حققه آلاف الأنبياء مجتمعين نخرج بنتيجة تفرض نفسها وهي أن محمد وحده قد استحق لقب (أدون) سيد الأنبياء والمرسلين.

٣ ـ كيف عرف داود أن (يهوه) قال لسيده (أدون): (اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك مسنداً لقدميك)؟ ومتى سمع داود كلام الله هذا؟ لقد أعطانا المسيح الجواب على ذلك بقوله (إنّ روح داود كتبت ذلك) ذلك أن داود رأى الأدون محمد كما رآه دانيال (سفر دانيال ٧)، وكما رآه بولس (٢ الكورنتيين ١٢)، وكما رآه آخرون كثيرون. وبالطبع إن لغز (اجلس عن يميني) غامض بالنسبة لنا ومع ذلك نستطيع أن نستنتج باطمئنان أن هذا التكريم الخاص

لمحمد أي شرف جلوسه عن يمين عرش الله ورفعه إلى مصاف سيد الأنبياء والخلائق أجمعين قد حدث ليلة الإسراء والمعراج.

٤ ـ إن اعتراض الكنيسة الرئيسي الوحيد على بعثة محمد وتفوقها هو تنديدها بتعاليم الثالوث، ولكن العهد القديم لا يعرف إلهاً سوى الله الأحد، إن سيد داود لم يجلس على يمين إله ثلاثي ولكن على يمين إله واحد.

الفصل الثامن

السـيد ورسـول العهد

يطلق على آخر أسفار العهد القديم اسم (ملاخي) مما يعني (ملاكي) أو (رسولي)، والكلمة العبرية (ملاخ) كالعربية (ملاك) وكاليونانية (أنغيلوس Anghelos) التي اشتق منها الاسم الإنجليزي (Angel) وتعني المرسَل المكلَّف بإبلاغ رسالة أو خبر.

غير أنه ليس معروفاً من هو(ملاخي) المشار إليه في السفر كما لا نعرف فترة ظهوره ونبوءته في التاريخ اليهودي إذ لا يزودنا سفر ملاخي ولا أي جزء آخر من أجزاء العهد القديم بهذه المعلومات. يبدأ سفر ملاخي بالكلمات التالية: (**خطاب يهوه إله إسرائيل على يد ملاخي**) ويحتوي على أربعة فصول قصار.

والخطاب موجَّه إلى يهود القدس الذين كانوا يقدمون على المذابح أحقر أنواع الأضاحي والقرابين من الغنم والماشية، العمياء منها والعرجاء، ويهملون دفع الأعشار وإذا اختاروا دفعها فهي من أسوأ الأصناف، ولم يكن الكهنة يكرّسون وقتهم لأداء واجبهم لأنه يستحيل عليهم الأكل من شرائح لحم البقر وقطع الضأن المشوية المأخوذة من الأضاحي العجفاء كبيرة السن مشلولة القوائم ولم تكن تكفيهم الأعشار الضئيلة على أية حال، وأما (يهوه) الذي يخاطب هؤلاء القوم المتعذر إصلاحهم فإنه يهدد حيناً ويمتنع عن الوفاء بالوعود حيناً آخر ويتذمر أحياناً، ويبدو أن النبي ملاخي قد أورد هذه النصوص في أوائل القرن الرابع قبل

المسيح عندما كان شعب إسرائيل يتأفف من يهوه وكان من عادة اليهود قولهم: (إن مائدة الرب يهوه بغيضة ووجبات الأكل التي يقدمها مزرية) (ملاخي ١/١٢) كما كانوا يقولون: (كل من يفعل الشر فهو صالح في نظر يهوه وهو يُسرّ به، أو: أين إله القضاء؟) (ملاخي ٢/١٧).

يرجع سفر ملاخي إلى ما بعد فترة الأسر البابلي وقد كتبت بأسلوب عبري جيد، ولكن يستحيل الادعاء بأن هذا السفر قد وصل إلينا سليماً دون تحريف وهناك العديد من الجمل المشوهة فيه يكاد يستحيل فهم المعنى المراد منها.

وموضع بحثنا في هذا الفصل هو النبوءة الشهيرة في سفر ملاخي التي تقول (**ها أنذا أبعث برسولي، وسوف يمهد السبيل أمامي، وسوف يأتي فجأة إلى هيكله السيد الذي تبحثون عنه، ورسول العهد الذي ترغبون، هو ذا يأتي، هكذا يقول رب الجموع**) (ملاخي ٣/١).

هذه واحدة من النبوءات المسيحانية الشهيرة عن مجيء المخلّص المنتظر، غير أن جميع القديسين والآباء والباباوات والبطاركة والقسس والرهبان وحتى أطفال مدارس الأحد سيقولون لنا إن كلمة (رسولي) المذكورة في النص تشير إلى يحيى المعمدان وإن عبارة (رسول العهد) التي حرفتها نسخهم الوطنية إلى (ملاك العهد) تشير إلى عيسى المسيح.

إن معرفة المعنى الصحيح لهذه النبوءة أمر في غاية الأهمية لأن الكنائس المسيحية اعتقدت أن المقصود بها شخصان مختلفان، وسبب ذلك هو الخطأ الكبير الذي وقع فيه القديس متّى، ذلك أن من خصائص إنجيله الحرص على إثبات تحقق نبوءات العهد القديم فيما يتعلق

بكل حدث تقريباً مـن أحـداث حيـاة عيسى المسـيح، وفـي سبيل ذلـك لـم يكترث أن يقـع فـي التناقضات ولم يدقق في اقتباسه من الكتب العبرية المقدسة ومن الواضح أنـه لـم يكـن متمكنـاً من قواعد لغته، وفي مقالة سابقة أشرت إلى أحد أخطائـه الهامة حـول الحمـار المفترض أن يمتطيه عيسى المسيح.

كل ذلك مما هو في غاية الخطورة فهو يمس صـحة الأناجيل ومصـداقيتهـا، فهـل يُعقل أن يجهـل الحـواري متّـى حقيقـة نبـوءة ملاخـي (١/٣) إلـى درجـة تجعلنـا نضـع إنجيلـه موضـع التساؤل؟ وماذا نقول عن مؤلف الإنجيل الثاني القديس مرقس الـذي ينسـب العبـارة الموجـودة في ملاخي إلى أشعيا؟ (مرقس ٢/١)! كما أن متّى (١/١١ ـ ١٥) قد نسـب إلـى عيسـى قـولاً نقله لوقا أيضاً (لوقا ١٨/٧ ـ ٢٨) وهو أن عيسى أعلن على المـلأ أن يحيـى كـان أكـثر مـن نبي وأنه هو الذي كُتب عنه:

(إنني مُرسل ملاكي أمام وجهك، وإنه سوف يمهد طريقك أمامك) وإنه (لم يوجد بين مـن ولدتهم النساء من هو أعظم من يحيى، لكـن أقلّ مـن فـي ملكـوت السـموات أعظـم منـه)، إن تحريـف نـص ملاخـي واضـح ومتعمـد فـالنص الأصـلي يقـول لنـا أن يهـوه سَبئوت (أي إلــه الجموع) هو المتكلم وإن المؤمنين هم الشعب المخـاطب، وهـذا واضـح مـن كلمـات (الـذي تبحثون عنـه.. والـذي ترغبـون) ولكـن الأنـاجيل حرفـت النـص بـأن حذفـت ضـمير المتكلـم واستبدلته بالمخاطب (أمامك) و(وجهك) لكي تبرهن لليهود أن الله كان يخاطب عيسى المسيح (ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك أمامك) (متى ١١/١٠)، ويرغـب متّـى أن يبيّن أن هذا الملاك أو الرسول كان يحيى فينقل على لسان عيسى قولـه أن يحيى فوق كل نبـي

وأعظم من ولدته امرأة ومع هذا فإن أصغر من في ملكوت السماء ـ التي يقصد أن يكون عيسى ملكها ـ هو أعظم من يحيى.

إنني لا أصدق ولا لثانية واحدة أنه يمكن لعيسى أو أياً من حواريه استخدم عبارات كهذه لتحريف كلام الله، ولكنه أحد الرهبان المتعصبين أو الأساقفة الجهلة الذي زيّف هذا النص ووضع على لسان عيسى هذه الكلمات التي لا يمكن أن تصدر عن أي نبي من الأنبياء.

إن الفكرة التقليدية القائلة أن الرسول المكلف بتمهيد الطريق أمام (السيد) و(رسول العهد) هو خادم وتابع له، والاستنتاج أن هناك نبوءة بشخصين مختلفين، كل ذلك سببه الجهل بشخصية ذلك الرسول وأهمية رسالته وضخامة العمل المسند إليه، لنمعن النظر إذا في هذه النبوءة وحقيقة تفسيرها:

١ ـ يجب أن نفهم جيداً أن الرسول بشر مثل غيره وأنه ليس ملاكاً أو كائناً فوق البشر، كما أنه لم يكن مرسلاً لتمهيد الطريق أمام رسول آخر يسمى (السيد) أو (رسول العهد) ولكنه مكلف بتأسيس وإقامة دين قويم سليم صالح، ومكلف أيضا بإزالة كافة العقبات والوسطاء بين الله ومخلوقاته، ومن البدهي أن هذا الرسول الرفيع الشأن لم يكن قادماً لإصلاح الطريق أو الدين من أجل مجموعة من اليهود فقط، ولكن من أجل إقامة دين عام وثابت للناس كافة، ومع أن الديانة اليهودية تقول بوجود إله واحد حق، إلا أن مفهوم الله عند اليهود مشوّه فهم يظنون أنه إله قومي لشعب إسرائيل فقط، كما أن كهنوتهم وطقوسهم وعدم وجود عقيدة قاطعة لديهم عن القيامة ويوم الحساب والحياة الآخرة ونقاط نقص أخرى كثيرة غير ذلك، كلها تدل على عدم صلاحية عقيدتهم لكل العصور والشعوب والأجناس.

أما النصرانية فإن انحرافها لدرجة اعتقادها بالخطيئة الأصلية وبتجسد الإلـه وبثالوث من الآلهة وطقوسها السبعة عديمة المعنى ثم عدم وجود إنجيل حقيقي بين أيدينا، كل ذلك لـم ينفـع البشرية في شيء بل على العكس سبّب الانقسامات بين الطوائف والكراهيـة والحقد بين بنـي البشر.

إذن كان الرسول مكلفاً بتقويم هذين الدينين وإقامة دين إبراهيم وإسماعيل القديم ودين الأنبياء الآخرين على أسس وتعاليم بسيطة ومباشرة تصلح للبشر أجمعين، ذلك هو أقصر الطرق للوصول إلى الله وأسهل الديانات لعبادته، وأسلم العقائد التي تبقى على طهارتها ونقائها على مر العصور بلا كهنوت ولا تدخل من الوسطاء والأدعياء.

وفوق كل شيء كان على الرسول أن يأتي فجأة إلى مسجده سواء كان في القدس أو في مكة وكان عليه أن يقتلع جذور الوثنية من تلك البلاد، ليس بتحطيم الأصنام والأنصاب فحسب، بل وبتعليم المشركين عقيدة التوحيد والإيمان بالإله الحق.

إن إنجاز هذا العمل العظيم كان بمثابة تحقيق منحى فكري جديد وتأسيس دين عالمي شامل يدعو إلى إلغاء الوساطة بين الله والعباد فلا قسيس ولا قديس ولا سر مقدس، وقد تحقق ذلك على يد الرسول (محمد المصطفى ﷺ).

٢ ـ إن يحيى لم يكن النبي الذي تنبأ عنه ملاخي وذلك واضح لعدة أسباب، فمن جهة نلاحظ أن القصص التي ترويها الأناجيل الأربعة عن يحيى متضاربة جداً ولكنها تتفق على نقطة واحدة وهي أن يحيى لم يمهد طريقاً قط إذ لم يوحَ إليه كتاب مقدس ولم يؤسس ديناً

جديداً ولم يصلح الدين القديم، ويُروى أنه ترك أبويه ومنزله عندما كان يافعا وعاش في البرية على العسل والجراد حتى ناهز الثلاثين من عمره ثم ظهر للجماهير على ضفاف الأردن حيث اعتاد أن يعمّد التائبين الذين كانوا يجيئون إليه معترفين بخطاياهم، ومن المدهش أن متّى لم يعرف شيئا عن علاقة يحيى بعيسى أو أنه عرفها ولم يحفل بنقلها، أما لوقا فقد كتب في إنجيله عن الطاعة التي قدمها يحيى لعيسى عندما كان كل منهما جنيناً في رحم أمه (لوقا ٣٩/١ ــ ٤٦) كما ذكر أن عيسى تعمد كغيره في مياه الأردن على يد يحيى!

ويروى أن يحيى قال: **(يأتي بعدي من هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أنحني وأحل رباط حذائه)** (مرقص ٧/١)، وحسب ما هو مذكور في الإنجيل الرابع فيفترض أن يحيى قال عن عيسى (إنه حمل الله الذي يمسح خطايا العالم) (يوحنا ٢٩/١) ولو كان ذلك صحيحا فلماذا احتاج يحيى وهو في السجن أن يبعث إلى عيسى مستوضحاً عن حقيقة شخصيته بقوله (هل أنت النبي الموعود المفترض أن يأتي، أم ننتظر واحدا غيرك؟) (متّى ٣/١١)، وقد استشهد يحيى في السجن لأنه وبّخ الملك هيرودس على زواجه بزوجة أخيه.

وهناك وصف لموعظة يحيى في الفصل الثالث من إنجيل متّى والتي أعلن فيها اقتراب مملكة السماء وقدوم الرسول العظيم الذي سوف يُعمّد المؤمنين ليس بالماء ولكن (بالنار والروح القدس).

والعجيب أن اليهود لم يقبلوا يحيى كنبي، والعجيب أيضاً أن إنجيل برنابا لا يأتي على ذكر يحيى، أما العبارة التي يقال أن يحيى تحدث بها عن عيسى، فإن برنابا ينسبها إلى عيسى

متحدثاً بها عن محمد رسول الله، وقد ذكر القرآن معجزة ميلاد يحيى لكنه لم يُشر إلى التعميد الذي كان يمارسه.

ولو صحّ أن يحيى المعمدان هو الرسول الذي بعثه الله لتمهيد الطريق أمام عيسى المسيح، ولو كان يحيى هو المبشّر بعيسى والتابع له، فلا معنى لأن يشغل نفسه بتعميد الجماهير في مياه الأردن إذ كان من واجبه أن يتبع عيسى فوراً وأن يلازمه عندما رآه وعرفه ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا، بل على العكس فإنه عندما سُجن كان لا يزال في شك من أمر عيسى فبعث إليه يسأله: **(هل أنت الرسول الموعود المفترض أن يأتي، أم ننتظر واحدا غيرك؟)** (متّى ١١/٣).

٣ ـ إن يحيى المعمدان لم يكن النبي إيليا Elijah (على النقيض من القول المنسوب إلى المسيح) ذلك أن ملاخي يتكلم عن "إيليا" يفترض قدومه قبل يوم القيامة ببعض الوقت وليس قبل ظهور رسول العهد (ملاخي ٤/٥ ـ ٦)، وحتى لو قال المسيح إن يحيى كان هو إيليا فإن الناس لم يعرفوه، وقد يكون ما قصده عيسى أن الاثنين متشابهين في حياتهما الزاهدة وإقبالهما على الله وشجاعتهما في نصح وتوبيخ الملوك والزعماء المنافقين.

ولن أستطرد في مناقشة ادعاء الكنائس المتهافت بأن يحيى كان الرسول القادم لتهيئة الطريق أمام عيسى، ولكن يجب أن أضيف أن يحيى لم يرفض شيئاً ولو يسيراً من شريعة موسى ولم يضف إليها شيئاً. أما المعمدانية التي مارسها فهي (المعموديثا) اليهودية القديمة أو الوضوء، ولا يمكن أن نعتبر الغسل أو الوضوء ديناً جديداً أو طريقة جديدة وهو ما بلورته الكنيسة فيما بعد بطقوس التعميد الغامضة.

٤ ـ وأخيراً إذا قلت أن عيسى المسيح لم يكن المقصود بنبوءة ملاخي، فإنني أطرح مناقشة بدهية لأن أحداً لن يناقض كلامي فقد آمنت الكنائس دوماً أن (رسول الطريق) هو يحيى المعمدان وليس عيسى، غير أن اليهود لا يقبلون أياً من الاثنين، ولكن بما أن النبوءة تتحدث عن شخص واحد وليس شخصين فإنني أقول أن عيسى لم يكن ذلك الشخص ويستحيل أن يكُونه، لأنه لو كان عيسى إلهاً كما يدّعون لما أمكن استخدامه لتمهيد الطريق أمام (يهوه سبَئوث) أي إله الجموع! ولو كان عيسى هو نفسه (يهوه سبَئوث) الذي قال هذه النبوءة فمن هو(يهوه سبَئوث) الآخر الذي ستُهيأ الطريق أمام وجهه؟ أما إذا كان عيسى بشراً من لحم ودم وعبداً لإله الجموع (يهوه سبَئوث) فعندئذ لا يمكن أن يكون عيسى مؤسس الكنائس التثليثية التي جعلته إلهاً. وسواء نظرنا إلى الدين المسيحي من وجهة النظر الأرثوذكسية أو الكاثوليكية أو البروتستانتية أو المخلصية أو الكويكر أو أياً من الملل والنحل العديدة فإنه لا يمكن لأي منها أن تكون (الطريق) أو (الدين) الذي أشار إليه ملاخي كما أن عيسى لا يمكن أن يكون ممهداً أو مؤسساً لأي منها. وما داموا ينكرون الوحدانية المطلقة لله فهم خاطئون ولا يمكن لعيسى أن يكون صديقاً لهم أو قادراً على مساعدتهم.

٥ ـ إن الشخص المشار إليه في النبوءة، حسبما ورد في (ملاخي ٣/١)، ذو صفات ثلاثة، فهو(رسول الله، والسيد الآمر، ورسول العهد)، كما أنه مميز بشروط ثلاثة وهي: (أنه يأتي فجأة إلى مسجده، ويبحث عن الناس ويسعون إليه، كما أنه موضع محبة شديدة منهم).

فمن يمكن أن يكون هذا الرسول العظيم الذي تنطبق عليه كل هذه الصفات سوى رسول الإسلام محمد عليه صلوات الله وسلامه. لقد أسري به فجأة من المسجد الحرام إلى المسجد

الأقصى، وبعث إلى العالم بالقرآن المعجزة، وبدين الإسلام الذي هو أكثر الأديان عقلانية وبساطة ونفعاً للبشر، وكان وسيلة لهداية الملايين الذين دخلوا في أخوة عالمية تكونت منها (مملكة الله) الفعلية في أرضه على الشكل الذي نادى بها كل من عيسى ويحيى.

الفصل التاسع

الأنبياء الحقيقيون يبشّرون بالإسلام فقط

لم يعرف التاريخ شعباً كشعب إسرائيل ابتلي خلال فترة تقل عن أربعمائة عام بعدد كبير من مُدّعي النبوة، ناهيك عن الأعداد الكبيرة من المشعوذين والعرافين والسحرة، وكان أدعياء النبوة على نوعين: النوع الأول من المنتسبين لشريعة (يهوه) وادعوا النبوة باسمه.

والنوع الثاني ممن ادعوا النبوة باسم بعل أو إله وثني آخر وكان ذلك يتم بحماية بعض من ملوك إسرائيل الوثنيين.

وكان من النوع الأول من عاصر الأنبياء الحقيقيين من أمثال (ميخا) و(إرميا)، ومن النوع الثاني من سبب المتاعب لإيليا وسبب مذابح الأنبياء والمؤمنين كما حدث خلال حكم آحاب ملك إسرائيل (وزوجته جيزابيل) (٨٩٦ ــ ٨٧٤ ق.م). وكان أخطرهم على الدين الحق أدعياء النبوة من النوع الأول لأنهم كانوا يتظاهرون أنهم يتلقون الوحي من الله ويقيمون المراسم الدينية في المعابد والمصفايات، ولم يلق نبي من الاضطهاد والمشاق على أيديهم مثلما لقي النبي إرميا منهم.

بدأ إرميا رسالة النبوة في شبابه في الربع الأخير من القرن السادس ق.م عندما كانت مملكة يهوذا مهددة بغزو الكلدان وكان اليهود وقتئذ متحالفين مع فرعون مصر ولكن الكلدان بقيادة نبوخذ نصر هزموا فرعون مما جعل سقوط القدس أمرا محتوماً وخلال تلك الأيام

العصبية كان إرميا يحث اليهود وزعمائهم على الخضوع لملك بابل نبوخذ نصر على أمل إنقاذ القدس من الدمار وإنقاذ اليهود من الأسر والنفي، وكان يوجه مواعظه البليغة للملك والكهنة وكبار القوم دون جدوى حتى سقطت القدس (٥٨٦ ق.م) وكانت النتيجة أن نفى نبوخذ نصر إلى بابل الكثير من الأسرى بمن فيهم الملك والأمراء كما استولى على كنوز الهيكل، ثم صار يعين على القدس أمراء من اليهود واحداً بعد الآخر ويجعلهم ملوكاً تابعين له، وكثيراً ما كان هؤلاء يثورون ضده و إرميا يحضهم على البقاء موالين للكلدان، لكن أدعياء النبوة كانوا يخطبون في الهيكل قائلين: (هكذا يقول رب الجموع، انظروا لقد حُطم نير ملك بابل، وخلال عامين سيعود جميع الأسرى وكنوز بيت الله إلى القدس).

وهنا وضع إرميا نيراً خشبياً حول عنقه وأخبر الناس أن الله سوف يضع نير ملك بابل حول رقاب جميع اليهود، لكن حنانيا وهو أحد خصومه ومن أدعياء النبوة المنافقين للملك لطمه وألقى به في سرداب مليء بالوحل حيث كان طعامه اليومي رغيفاً جافاً من خبز الشعير، وكان أن عاد الكلدانيين لحصار القدس حتى سيطرت عليها المجاعة ومات مدعي النبوة حنانيا كما تنبأ بذلك إرميا (إرميا ٢٨)، وعندما سقطت المدينة نُهبت وأضرمت فيها النار ووقع الملك المتمرد سدقيا وحاشيته في الأسر وأُخذ مع الكثير من الأهالي أسرى إلى بلاد بابل ولم يُترك في القدس سوى الفقراء وكان إرميا من جملة الذين سمح لهم بالبقاء وتم تعيين جداليا حاكماً على القدس من قبل نبوخذ نصّر ولكن اليهود الباقين ثاروا عليه وقتلوه وهربوا إلى مصر حاملين معهم إرميا، وحتى في مصر كان إرميا يتنبأ ضد الهاربين ويبدو أن حياته انتهت في مصر.

إن سفر إرميا كما نعرفه الآن يختلف كثيرا عما هو موجود في الطبعة السبعينية للعهد القديم، ويبدو أن النسخة اليونانية التي اعتمد عليها تراجمة الإسكندر الكبير كانت ذات ترتيب مختلف.

يعتبر نُقاد التوراة (والكاتب من رأيهم) أن إرميا كان المؤلف (أو على الأقل الجامع) للكتاب الخامس من الأسفار الخمسة في العهد القديم والمسمى سفر التثنية Deuteronomy. ولذا فإن هذا السفر يشتمل على الكثير من تعاليمه مما لا نجده في باقي أسفار العهد القديم. ولكنني في هذا الفصل سأتناول إحدى تعاليم إرميا الواردة في السفر المنسوب إليه مما اعتبرها من النصوص الهامة جداً في العهد القديم.

إن الموضع الهام الذي طرقه إرميا هو: كيف نميز النبي الحقيقي من النبي المزيّف؟ وقد زوّدنا بجواب شاف عن علامة النبي الحقيقي، وهو: (**إنه النبي الذي يبشر بالإسلام**) (سفر إرميا ٢٨/٩).

كما إن سفر التثنية (١/١٣ ـ ٥، ١٨/٢٠ ـ ٢٢) يذكر بعض التعليمات بخصوص الأدعياء الذين يدّعون النبوة بشكل يخفى على الكثير من الناس، ويحدد السفر أن أفضل طريقة للتعرف على أضاليل الكذاب انتظار تحقق نبوءاته ثم قتله بعد أن يُعرف كذبه. ومع ذلك فإن الجهلة يعجزون عن التمييز بين النبي الحقيقي وبين مدعي النبوة كعجزهم هذه الأيام عن معرفة أي من الاثنين: الكاهن الكاثوليكي، أو الكاهن الكَلفني هو التابع الحقيقي لعيسى المسيح، وأحياناً يتنبأ الدعيّ بأحداث ويفعل الخوارق ويقوم بأشياء مشابهة –من حيث المظهر على الأقل– لتلك التي يقوم بها النبي الحقيقي، وما كان التنافس بين النبي موسى وسحرة

فرعون إلا من هذا القبيل، ولذا يحدد إرميا طريقه مثلى لاختبار أصالة أي نبي وهي طريقة الإسلام، والرجاء من القارئ أن يقرأ الفصل التاسع من سفر إرميا بأكمله ثم يمعن التفكير في النص التالي منه:

(إن النبي الذي يتنبأ عن الإسلام (الشالوم) يُعرف أن الله قد أرسله حقاً فور تكلمه بذلك) (إرميا ٩/٢٨)، والترجمة حرفية جداً ذلك أن كلمة (يتنبأ) تعني حرفياً التنبؤ بأحداث غيبية وأن كلمة (نبي) تعني حرفياً الشخص الذي يتنبأ بالمستقبل أو يعرف عن طريق الوحي أحداثاً مضت، غير أن التعريف الصحيح لكلمة نبي هو(الشخص الذي يتلقى الوحي من الله ويبلغه إلى البشر) ومن الواضح أنه ليس من الضروري أن تكون الرسالة تنبؤاً بالغيب أو معرفة أحداث ماضية وبالتالي فإن فعل (يتنبأ) يعني تلقي الوحي من الله وتبليغه للناس وفي القرآن الكريم يأمر الله رسوله محمد أن يقول **﴿إنما أنا بشر مثلكم يُوحى إليّ...﴾** (سورة الكهف الآية ١١٠)، وعليه لا ينبغي أن ننسب لأي من الأنبياء صفة المعرفة والإحاطة بكل المعارف الدنيوية لأن معارف الأنبياء الدنيوية قد تتضمن بعض الأخطاء فالله تعالى لم يبعث الأنبياء ليعلموا الناس الفيزياء أو الرياضيات أو العلوم ولذا يجب أن لا نلوم أي نبي على خطأ معرفي دنيوي لأنه مجرد بشر، ولكن النبي يكون موضع اختبار فقط عندما يبلّغ الوحي السماوي الذي يُنزل عليه.

والآن نعود إلى قول إرميا إنه لا يمكن أن يكون النبي صادقاً إلا إذا بشّر بدين الإسلام ومن أجل فهم أفضل لذلك نقرأ كلامه الذي سبق تلك العبارة حيث يقول إرميا لخصمه حنانيا:

(إن الأنبياء الذين جاؤوا قبلي وقبلك منذ القدم تنبأوا لكثير من البلدان والممالك العظيمة

بالحروب والشرور والوبــاء) (إرميا ٢٨/٨)، ثم يقول: (إن النبي الذي يتنبأ عن الإسلام (الشالوم) يُعرف أنه مُرسل من الله حقاً فور تكلمه بذلك) (إرميا ٢٨/٩).

وقد يعترض البعض على ترجمة كلمة (الشالوم) التي ترجمتها (عن الإسـلام) باعتبار أن حرفي (ال) قبل (شالوم) معنا (عن) أو(فيما يتعلق بـ).

لكن الحقيقة المسلّم بهـا أن كلمـة (شـالوم) فـي العبريـة و(شـلاما) فـي السـريانية و(سـلام) و(إسلام) في العربية كلهـا مـن نفس الجذر السـامي (شَلَمْ) وتحمـل نفس المعنـى وهذا أمـر معروف لدى جميع علماء اللغات السامية، وفعل (شَلَم) يدل على القبول أو الاستسـلام وتحقيق السلام، حتى يكون المرء مسالماً هادئاً مع نفسه ومع الآخرين. ولا يوجـد أي نظـام دينـي فـي العالم يحمل اسما أو وصفا أفضل وأشمل وأكثر هيبة وسموا من الإسلام، فديـن اللـه الحـق لا يمكن أن يسمّى باسم أي من العباد أو البلاد، إن هذه القداسة والعصمة لكلمة "إسلام" هي التـي توقع الرعب والخوف والهيبة في قلوب أعدائه حتى عندما يكون المسلمون ضعافاً خائعين[1]، إنه اسم الدين الذي يأمر بالخضوع والاستسلام المطلق لله تعالى ممـا يعطـي السـلام والهدوء الداخليين للمسلم مهما كانت الاضطرابات والمصائب العابرة التي تهدده، إنـه الإيمـان الجـازم بوحدانية الله وبرحمته وعدالته مما يميز المسلم عن غيره، ولـذا فـإن مـا يهاجمـه المنصـّرون ويحاولون التغلب عليه دون جدوى هو تعلق المسلم بتعاليم القرآن والسنة النبوية.

---

(١) من المهم أن نلاحظ كيف أن تعليقات المؤلف تتطابق مع ملاحظات قيصـر ألمانيـا السـابق الـذي خطـب عنـد الاحتفال بعيد ميلاده السبعين في مدينة (دورن) في هولندا قائلاً: (اعلموا بأن المسلمين إذا اعتـبروا أن أمـر الله ⟸

إن فحوى كلمات إرميا أن النبي الذي يعظ ويتكلم عن الإسلام كدين وطريقة حياة يُعرف فورا أنه مرسل من الله، ولمزيد من الشرح عن ذلك لنلاحظ النقاط التالية:

١ ـ إن إرميا هو النبي الوحيد قبل المسيح الذي استخدم كلمة (شالوم) بمعنى الدين وهو النبي الوحيد الذي استخدم هذه الكلمة بهدف إثبات صدق النبي الحقيقي، وحسب النص القرآني فإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وجميع الأنبياء كانوا مسلمين وإن كلمة الإسلام ومرادفاتها (شالوم وشلاما) كانت معروفة لليهود والنصارى في الجزيرة العربية عندما ظهر محمد لإكمال ونشر دين الإسلام بين الناس كافة، ولو كان المقصود بالتبوءة النبي الذي يتنبأ بحدوث السلام (عكس الحرب) لكان هذا مجرد شرط مؤقت لا يمكن أن يؤيد أن النبي مرسل حقاً من الله، والواقع أن نقطة الخلاف الحساسة التي اختصم فيها إرميا وحنانيا (إرميا ٢٨) لا يمكن البت بها بإثبات أو إنكار وقوع كارثة وشيكة، ولو كان تنبؤ إرميا (بالسلام) عندما كان طيلة الوقت يتنبأ بالكارثة القومية العظيمة ـ سواء باستسلام الملك سدقيا أو بمقاومته للحاكم الكلداني ـ فإن ذلك كان سيعني تناقضاً صارخاً في منطقه لأن سلامه المزعوم في كلتا الحالتين لن يكون سلاماً حقيقيا بل على العكس فلو قاوم اليهود الجيش الكلداني لتسبب ذلك بالدمار الكامل لهم ولو استسلموا لوقعوا تحت عبودية غير مشروطة، لذلك من الواضح أن إرميا استخدم كلمة شالوم بمعنى نظام ملموس حقيقي يجسده الإسلام.

هو الزحف على الغرب المتداعي وإخضاعه لمشيئته، فإنهم سوف يزحفون كموجة مد هائلة يعجز أمامها حتى أعتى البلاشفة وأشدهم رغبة في القتال). جريد الأيفننج ستاندارد في ١٩٢٩/١/٢٦ لندن.

لقد حمل إرميا في قلبه دعوة الله ودينه دين السلام، ومن أجل المصالح الحيوية لدين السلام أو الإسلام فقد نصح الملك ورجال حاشيته بالولاء للكلدان لأنه ليس من سبيل آخر مفتوح أمامهم، لقد هجروا رب أجدادهم ودنسوا هيكله وسخروا من أنبيائه وارتكبوا الخطايا والخيانة (٢ سفر الأيام ٣٦.. وغيره) ومن سنة الله في خلقه في مثل هذه الأحوال أن يقعوا تحت طغيان عدوهم وهذا ما أيقن به إرميا، وبالنسبة لنبي حقيقي مخلص مثل إرميا فإنه تجب التضحية عندئذ بالحكومة والأمة من أجل الدين وليس العكس لا سيما بعد أن تخلت كل من الحكومة والأمة عن الله، أما حنانيا فقد كان يحاول إرضاء سيده الملك وممالقته بإسماعه ما يحب أن يسمع فكان دوما يتنبأ بالنصر وعودة الأسرى من بابل واسترجاع كنوز الهيكل خلال عامين من الزمن فقط، ولا شك أن القارئ يستطيع اعتمادا على ما سبق أن يحكم بنفسه أي النبيين المذكورين إرميا أو حنانيا كان النبي الحقيقي الذي تهمه مصلحة الدين والأمّة؟ إنه إرميا بكل تأكيد.

٢ ــ إن دين السلام (الإسلام) وحده القادر على تحديد خصائص النبي الحقيقي، إن الله واحد، ودينه واحد، ولا يوجد دين آخر في العالم سوى الإسلام يتبنى ويعلم الوحدانية المطلقة لله، لذلك فإن من يضحي بكل مصلحة أخرى من أجل قضية هذا الدين يكون هو النبي الحق، وبالمقابل فإنه إذا لم يكن دين الإسلام معياراً ومقياساً نقيس به صدق النبي فإنه ليس هنالك مقياس آخر يفي بذلك الغرض، إن عمل المعجزات ليس وحده بالبرهان الكافي، لأن المشعوذين أيضا يفعلون العجائب، كما أن تحقق النبوءة عن المستقبل ليس برهانا كافيا بذاته فكما أن الروح القدس قد يكشف أحداث المستقبل للنبي الصادق فإن الروح الشريرة أيضاً قد

تكشف ذلك للدجال، ومن هنا يتضح (أن النبي الذي يتنبأ عن الإسلام –باعتباره اسماً للعقيدة ومنهجاً للحياة ـ فسيعرف بأنه نبي حقيقي فور تلقيه الرسالة من الله وفور تكلمه بها)، تلك كانت الحجة التي اعتمد عليها إرميا والتبي حاول عن طريقها إقناع سامعيه بكذب حنانيا، ولكن الملك الشرير والحاشية من حوله كانوا يفضلون سماع الكلام المعسول الذي يؤيد ضلالهم بدلا من الاستماع للحقيقة وقبولها.

٣ ـ لاحظنا في الفقرة السابقة أنه لا تحقق النبوءة عن المستقبل ولا القيام بعجائب يعتبر كافياً لإثبات صدق أي نبي، وأن (شالوم) استخدمت للتعبير عن دين السلام ذلك أن (شالوم) ليس إلا (الإسلام) ونحن نطالب أولئك الذين يعارضون هذا التفسير أن يأتوا بكلمة عربية إضافة إلى الإسلام والسلام تقابل كلمة شالوم وأن يجدوا كلمة أخرى في العبرية إضافة إلى (شالوم) تعني الإسلام، ولما كان ذلك مستحيلاً فنحن مضطرون للتسليم بأن شالوم هي السلام بالمعنى المجرد، وهي الإسلام والعقيدة بالمعنى الملموس.

٤ ـ يذكر القرآن في سورة البقرة بوضوح أن إبراهيم وأبناءه وأحفاده كانوا مسلمين وأنهم لم يكونوا يهوداً أو نصارى وأنهم بشروا بعبادة الله الواحد إله جميع البشر ولذلك فإن اليهود والأمم الأخرى التي انحدرت من نسل إبراهيم والقبائل العديدة التي اعتنقت دينهم كانوا جميعاً مسلمين أي مؤمنين بالله ومستسلمين لمشيئته. كان هناك قوم عيص والأدوميون Edomites والمديانيون Medianites والكثيرون غيرهم ممن عاشوا في بلاد العرب وعرفوا الله وعبدوه وكان لهم أنبياؤهم مثل أيوب Jacob وجيثرو Jethro (حمي النبي موسى) وبلعام

وهود وغيرهم كثير، ولكن هذه الأقوام ارتدت إلى الوثنية كاليهود إلى أن بُعث أمير الأنبياء محمد ﷺ.

لقد أنتج اليهود بعد عودتهم من الأسر البابلي في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد معظم كتبهم المقدسة المعترف بها ضمن العهد القديم بعد أن كانت ذكريات فتح أرض كنعان على يد يوشع (١١٣٠ ق.م) وذكريات هيكل سليمان (٩٣٥ ق.م) والقدس قد عفا عليها الزمن، وقد سيطرت على من تبقى من بني إسرائيل روح قومية عنصرية وانتشر بينهم الاعتقاد بقدوم المخلّص العظيم المفترض أن يعيد عرش داود مع أنهم نسوا المعنى القديم لشالوم الذي يعني دين إبراهيم ودين الشعوب التي انحدرت من نسله.

ومن وجهة النظر هذه فإنني اعتبر هذه العبارة التي قالها إرميا واحدة من النصوص الذهبية في العهد القديم.

الفصل العاشر

الإسلام مملكة الله في أرضه

عندما درسنا رؤيا دانيال الرائعة (سفر دانيال، الفصل السابع) رأينا كيف رافقت الحشود السماوية النبي محمد وهو في طريقه إلى الحضرة الربانية المجيدة حيث حظي بالتكريم الذي لم يحظ به مخلوق (رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس، الفصل ١٢) وتُـوّج سلطاناً على الأنبياء وخُول السلطة لتدمير الوحش الرابع والقرن الكافر، كذلك رأينا كيف منحت له السلطة لإقامة مملكة الله على الأرض، ولا عجب فإنه من بين كل الأنبياء والرسل يبرز محمد وحده كعملاق فوقهم جميعاً بسبب العمل العظيم الذي أنجزه، وليس بوسع الإنسان أن يقدر قيمة الإسلام وأهميته في مناهضة الوثنية والشرك ما لم يسلم بوحدانية الله المطلقة ويدرك أن الله هو الإله الذي عرفه آدم وإبراهيم وموسى وعيسى، وعندئذ يتقبل الإسلام على أنه الدين الصحيح الوحيد ويعترف بمحمد على أنه أمير الأنبياء والرسل.

ومن العبث تصور الله تعالى (كأب) حيناً و(كابن) حيناً آخر و(كروح قدس) تارة أخرى أو نتصوره ثلاثة أشخاص معاً يخاطب بعضهم بعضاً بضمائر أنا أنت هو، إن ذلك من شأنه ضياع كل مفهوم حقيقي للكائن المطلق، كما إننا لا نضيف شيئاً لقدسية الدين بافتعال بعض الطقوس والأسرار، بل على العكس إن ذلك يشوه الدين الصحيح وينتهي بالكفر.

كما أننا لا نرفع من قدر محمد إذا تصورناه إلهاً أو ابن إله لأننا بذلك نفقد نبي مكة الحقيقي ونسقط في هوة الشرك، إن عظمة محمد تأتي من كونه أقام الدين البسيط الصحيح بممارسة مبادئه وتعاليمه بصورة عملية، مما أكسب المسلم قناعة بدينه ومنعه من قبول أية عقيدة أخرى سوى عقيدة (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) وهي عقيدة كل مؤمن حقيقي حتى يوم الدين.

إن الرسول العظيم الذي دمر القرن الحادي عشر (قسطنطين وكنيسة التثليث) لم يكن (ابن الله) ولكن (ابن الإنسان) محمد المصطفى الذي أقام فعلاً مملكة الله على الأرض، ونحن نعلم أنه عند مثول سيد الأنبياء بين يدي الله صدر الوعد الإلهي التالي: (إن المملكة والسلطان تحت كل السماء سوف تعطي لعباد الله تعالى وأوليائه، وسيكون الملكوت أبديا يخدمه ويطيعه الجميع) (دانيال ٧/٢٢، ٢٧).

وقد دلت هذه النبوءة بوضوح أن الدين الإسلامي الذي اكتملت رسالته بخاتم الأنبياء ليس مجرد دين منفصل عن الدولة وإنما هو دين ودولة معاً لأنه مملكة الله في أرضه ولنقارن ذلك مع ما كان عليه الإسلام قبل أن تكتمل أسسه بصورة نهائية على يد رسول الله محمد!

١ ـ لقد كان الإسلام منذ الأزل دين الله الحقيقي ولكنه بعد محمد أصبح مملكة الله على الأرض:

إن الذين يعتقدون أن دين الله الحق اقتصر على ما أوحي به إلى إبراهيم فقط وأن بني إسرائيل وحدهم حفظوه لا بد أن يكونوا جهلة بالعهد القديم، ذلك أن أيوب وبلعام وعاد و هود ولقمان وكثيرين غيرهم من الأنبياء لم يكونوا يهوداً، وإن مختلف القبائل والشعوب كبني

إسماعيل والمؤابيين والعمونيين والأدوميين وغيرهم ممن انحدروا من سلالة إبراهيم ولوط عرفوا الله تعالى رغم أنهم كاليهود ارتكسوا بعد ذلك إلى الوثنية والجهل، غير أن نور الإسلام لم ينطفئ أبداً ولم يُفسح مكانه للوثنية.

لقد عبد اليهود وذوو قرباهم من الشعوب الأخرى الأوثان والأصنام وآلهة المنازل التي كانت تدعى بالعبرية (ترافيم) (سفر التكوين ٣١) وهي في رأيي المتواضع من نفس طبيعة التماثيل والأصنام التي يقتنيها ويعبدها النصارى الكاثوليك والأرثوذكس في بيوتهم ومعابدهم، كانت الأصنام في تلك الأيام الجاهلية تمثل نوعاً من بطاقات الهوية أو جوازات السفر حتى أن لابان (والد راحيل وهي زوجة يعقوب) كان يقتني الأوثان وكانت راحيل تسرق أوثان والدها حسبما يذكر سفر التكوين (التكوين ٩/٣١) مع أن لابان ويعقوب كانا مسلمين أقاما (مصفا) مكرسة لعبادة الله.

لقد حفلت هجرة اليهود من مصر إلى فلسطين بالعجائب والخوارق التي كانت تحدث ليل نهار وكان معسكرهم مظللاً بغيمة أثناء النهار ومُضاءاً بعمود من النار ليلاً، وكانوا يأكلون المن والسلوى مما يتنزل عليهم، ومع ذلك سرعان ما صنعوا عجلاً من الذهب وعبدوه عندما غاب موسى عنهم أربعين يوماً في جبل الطور بسيناء، وقد حفل تاريخ هذا الشعب المعاند منذ موت يوشع وحتى تتويج طالوت (شاؤول Saul) ملكاً بسلسلة من الانتكاسات المخزية نحو الوثنية، ولم يكف اليهود عن عبادة الأصنام إلا بعد انتهاء الوحي واكتمال شريعتهم في القرن الثالث قبل الميلاد وبعد ذلك فقط بقوا على التوحيد سوى أنهم لم يستحقوا صفة مسلمين لأنهم رفضوا بعناد بعثة كل من عيسى ومحمد عليهما السلام، ولا يستطيع المرء أن يصبح مسلماً

إلا إذا استسلم لله وآمن بكافة أنبيائه ورسله، وإلا فإن الإيمان مع العصيان يشبه إيمان الشياطين الذين يؤمنون بوجود الله ولكنهم مزعزعون.

لقد وُجد دين الإسلام عند شعب إسرائيل وعند الشعوب العربية القديمة وكان يذبل أحياناً ويتألق حينا آخر كالفتيلة التي ترتجف أو الشرارة الخافتة التي تلمع في غرفة مظلمة، فبعد أن آمنت به بعض الأقوام ارتكست عنه إلى الوثنية ولكن بقي من الأفراد والجماعات في كل زمان ومكان من آمن بالله الإيمان الصحيح وعبّده العبادة الصحيحة.

ومن الواضح أنه لم يكن لدى جمهور اليهود فكرة حقيقية عن الله والدين كما هي فكرة المسلمين، إذ كان اليهود يعترفون بـ (يهوه) ويعبدونه أيام الرخاء، أما أيام البؤس فكانوا يتخلون عنه ويتبعون إله أمة أقوى وأكثر ازدهاراً ويعبدون أصنامها وأوثانها، ويتضح من دراسة الكتب الدينية العبرية أن اليهودي العادي يعتبر إلهه أقوى من آلهة بقية الأمم أحيانا وأضعف منها أحيانا أخرى، وإن ارتكاس اليهود المتكرر إلى الوثنية يدل على أن فكرتهم عن الإله (إل) أو (يهوه) تشبه فكرة الآشوريون عن إلههم (آشور)، والبابليون عن (مردوخ)، والفينيقيين عن (بعل)، وباستثناء الأنبياء والمتصوفين منهم فإن مسلمي التوراة - يهود الشريعة الموسوية - لم يسموا إلى مستوى الإسلام ولم يصلوا إلى فهم حقيقي له، ولم يتأصل في نفوسهم إيمان جازم بالله ولا بالحياة الآخرة. ما أكبر التباين إذن بين مسلمي القرآن المؤمنين بالشريعة (المحمدية)[1] وبين مسلمي التوراة المؤمنين بشريعة موسى، لقد ظل الدين غير

---

(١) إن كلمة (المحمدية) هنا مستخدمة لتمييزها عن الشريعة الموسوية وكلتاهما من عند الله تعالى. (المؤلف).

ناضج وغير متكامل في عقلية اليهود رغم أنه سطع أيام خُدّام (يهوه) الصادقين، ونلاحظ أنه خلال عهود بعض القضاة المتدينين وبعض الملوك التقاة من بني إسرائيل كانت الدولة والدين يزدهران تحت أحكام الشريعة، لكن دين الله لم يتخذ شكل مملكة الله في الأرض إلا في ظل النظام القرآني فقد قضى الله بحكمته غير المحدودة أن دول الظلام الأربع الكبرى يجب أن تتعاقب بعضها وراء بعض قبل تأسيس مملكة الله الحقيقية فظهرت وازدهرت الحضارات والإمبراطوريات العظيمة للآشور والكلدان والفرس واليونان والرومان والتي كانت أمجادها مبنية على عبادة الشيطان فاضطهدت المؤمنين ونشرت جميع الشرور والآثام التي يمكن أن يبتدعها الشيطان قبل أن تتحقق مملكة الله في الأرض.

٢- عيسى وتلاميذه بشروا بملكوت الله:

لا شك أن عيسى المسيح وتلاميذه كانوا من الرواد المبشرين بمملكة الله على الأرض، ذلك أن خلاصة إنجيل عيسى تركزت في العبارة الشهيرة من صلاته (ليأت ملكوتك)، ولمدة عشرين قرناً ما زال النصارى من جميع الملل والنحل يصلون ويرددون هذا النداء (ليأت ملكوتك) والله وحده يعلم كم سيستمرون في هذا النداء وينتظرون قدوم الملكوت عبثاً، إن هذا التوقع المسيحي لمجيء مملكة الله، التي جاءت ولم يفطنوا إليها أو لم يعترفوا بها، يشابه توقع اليهود لظهور المسيح الذي جاء ولم يعرفوه، ومن العجب أنهم يتمسكون بهذا الأمل العقيم. وإذا سألت قسيساً نصرانياً عن ذلك فإنه سوف ينمق الأقوال العديمة المعنى ويؤكد أن مملكة الله سوف تتحقق بتغلب الكنيسة على بقية الكنائس الملحدة.

وسيحدثك قسيس آخر عن الفترة الألفية السعيدة أي فترة الألف عام المثالية المفترض أن تلي عودة المسيح المنتظر، أما الذي يتبع الكنيسة المخلصية أو الكويكرية فقد يقول لك أن كنيسة الله سوف تتألف من النصارى الحديثي المولد والأبرياء من الخطايا الذين غسلهم ونظفهم دم الحمل وما إلى ذلك!!

إن مملكة الله لا يمكن أن تكون كنيسة كاثوليكية منتصرة على بقية الكنائس ولا دولة مطهّرة معصومة من الخطأ كما أنها ليست مملكة خيالية (للفترة الألفية السعيدة) ولا مملكة مؤلفة من كائنات سماوية تشتمل على أرواح الأنبياء والمؤمنين يحكمهم حمل مقدس، شرطتها وقُضاؤها من الملائكة وزعماؤها من الباباوات والبطاركة والأساقفة والوعّاظ.

إن مملكة الله على الأرض هي دين واقعي قوي يؤمن مجتمعه بالله الواحد وهو مسلح بالإيمان وبالسيف للقتال من أجل وجوده ضد مملكة الظلام وضد الذين لا يؤمنون بوحدانية الله وضد الذين يؤمنون بأن له ولداً أو أباً أو أماً أو شركاء.

إن كلمة Evangelion اليونانية التي أصبحت Gospel بالإنجليزية (إنجيل بالعربية) تعني (البشارة السارة) والبشارة هي الإعلان عن مملكة الله القادمة التي سيكون أصغر مواطنيها أعظم من يحيى المعمدان، يحيى الذي قام والمرسلون من بعده بوعظ اليهود وتبشيرهم بمملكة الله طالبين إليهم أن يؤمنوا ويتوبوا لكي يدخلوها، إن عيسى عليه السلام لم يُبطل شريعة موسى ولم يغيرها بل فسرها بمعنى روحي وقد رحل عنا وهي غير نافذة، وعندما أعلن أن الكراهية أساس القتل وأن الشهوة أصل الزنا وأن الجشع والنفاق من الآثام البغيضة كعبادة الأوثان، وأن الرحمة والإحسان أفضل من تقديم القرابين ومن المراعاة

الشديدة ليوم السبت، فإنه عملياً ألغى المعنى الحرفي لشريعة موسى من أجل معناها الروحي. إن الأناجيل الحالية المحرفة المشكوك في صحتها تتضمن كثيراً من حِكَم المسيح وإشارته إلى مملكة الله وإلى (ابن الإنسان) ولكنها مشوهة ومحرفة لدرجة أنها نجحت في تضليل النصارى بحيث جعلتهم يعتقدون أن عيسى لم يقصد بمملكة الله سوى الكنيسة وأنه هو نفسه (ابن الإنسان).

وسوف نبحث هذه النقاط الهامة بالتفصيل في الفصول التالية وأكتفي الآن بالقول أن الملكوت الذي بشّر به عيسى كان الإسلام لأن الإسلام هو مملكة الله وأن محمداً كان (ابن الإنسان) الذي بُعث للقضاء على الوحش وتأسيس دولة قوية تقوم على الجماعة المؤمنة بالله الواحد المؤلفة من أولياء الله وعباده الصالحين (دانيال٧/٢٢،٢٧).

لقد كان دين الله محصوراً في بني إسرائيل بشكل رئيسي حتى مجيء عيسى عليه السلام، وكان متسماً لدى اليهود بالمادية والقومية، وقد شوه المشرّعون والكتّاب والأحبار هذا الدين بأن نسبوا إليه كتابات أسطورية من تأليفهم وتأليف أجدادهم وقد ندد المسيح بذلك وباليهود وبزعمائهم ووصفهم بأنهم (منافقون) و(أبناء الشيطان).

لقد أصلح عيسى المسيح الدين القديم وأعطاه حياة وروحاً جديدين وشرح بمزيد من الوضوح خلود الروح البشرية والقيامة والحياة في الآخرة وأعلن على الملأ أن المخلّص المنتظر الذي يتوقعه اليهود لن يكون يهودياً ولا من سلالة داود بل من سلالة إسماعيل واسمه أحمد وأنه سوف يقيم مملكة الله على الأرض بسلطة دين الله وقوة السيف. وهكذا أمدّ عيسى المسيح دين الإسلام بنور وروح جديدين وكان يحث أتباعه على التواضع والتسامح والصبر

وأخبرهم سلفاً عن الاضطهادات والاضطرابات والقتل والسجون التي سيتعرضون لها وبالفعل لقي النصارى الأوائل اضطهادات مروعة تحت حكم أباطرة الرومان ثم جاء قسطنطين الكبير وعقد مجمع نيقية عام ٣٢٥ م وأعلن مبدأ التثليث وأعطى الحرية للكنيسة المنحرفة وكان أن تعرض المسلمون الموحّدون[1] إلى المزيد من الاضطهاد على يد أنصار التثليث بصورة أشد من ذي قبل حتى جاء محمد عليه الصلاة والسلام.

٣ ـ طبيعة وتكوين مملكة الله:

هنالك نداء إسلامي ينادى كل يوم خمس مرات من مآذن المساجد في كل أنحاء العالم تُقام الصلاة بعده وهذا النداء هو(الأذان)، وبالإضافة لذلك فإن المسلم يبدأ كل عمل مهما كان بسيطاً بعبارة (باسم الله) وينتهي بـ (الحمد لله) مما يعني الثناء لله وحده، ذلك أنّ رابطة الإيمان التي تصل المسلم بربه قوية وقريبة قال تعالى ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ (سورة ق الآية: ١٦) ولا يوجد أي فرد يحمل من المحبة والولاء والاحترام لسيده قدر ما يحمل المسلم لربه. إن الله ملك السماوات والأرض وملك الملوك وسيد السادة وهو ملك كل مسلم بصورة خاصة لأن المسلم وحده الذي يشكر ويحمد مليكه الله تعالى في مواجهة كل ما يحدث خيراً أم شراً.

ومن هذا يتضح أن الإسلام مكون في جوهره من مملكة دينية كاملة حقيقية على الأرض، وقد انتفت الحاجة بعده لمرسلين أو أنبياء جُدد كما كانت عليه الحال بالنسبة لإسرائيل والشعوب الأخرى لأن مشيئته تعالى منزلة في القرآن الكريم بصورة كاملة.

---

(١) لم يفوض عيسى أتباعه بأن يسمّوا أنفسهم مسيحيين ولا يوجد لقب أفضل للموحدين الأوائل من لقب (مسلمين). (المؤلف).

ولنلاحظ النقاط التالية فيما يتعلق بتكوين ودستور مملكة الله:

أ) يكوّن المسلمون بجملتهم أمة واحدة وأسرة واحدة وأن آيات القرآن الكريم والحديث الشريف حول هذه النقاط كثيرة، ومن الخطأ أن نحكم على المجتمع الإسلامي كما يطرح نفسه الآن بل يجب النظر إليه كما كان في عصر النبي والخلفاء الراشدين بعده.

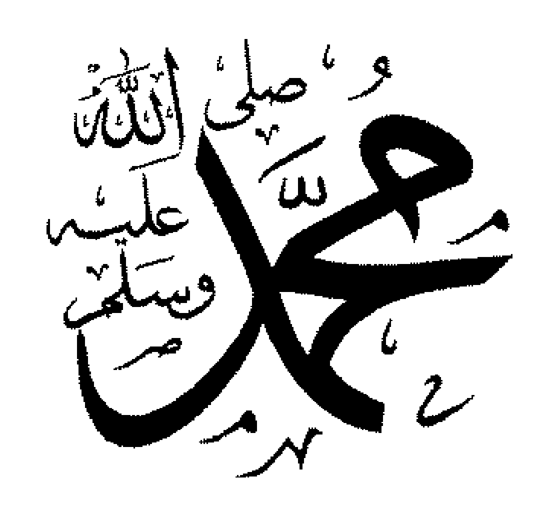
إن اسم (مسلم) يعني حرفياً (صانع السلام) فيفترض لذلك أن يكون المسلم هادئا مسالما كريما وهو في نفس الوقت خصم عنيد لمن يعتدي على دينه ومقدساته وشرفه وأملاكه، إن الجهاد في الإسلام ليس حرباً عدوانية ولكنه حرب دفاعية، والقرآن الكريم واضح تماماً إذ يقول: **﴿ولا تعتدوا﴾** ولا يمنع من ذلك أن بعض المسلمين يفتقدون أخلاق الإسلام الحميدة والعمل بموجبها والسبب في ذلك افتقارهم إلى المعرفة الدينية الصحيحة والتدريب الديني السليم.

ب) حسب وصف النبي دانيال فإن مواطني مملكة الله هم (جماعة القديسين) أي عباد الله الصالحون وأولياؤه، وفي النص الكلداني أو الآرامي الأصلي يوصفون بأنهم أمة القديسين وهي صفة تليق فقط بأمير الأنبياء وصحابته وتابعيه من المهاجرين والأنصار الذين قضوا على الوحش الروماني واقتلعوا الوثنية من معظم قارتي آسيا وأفريقيا.

إن المسلمين الذين يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن الخير والشر كليهما من الله ويؤدون فروضهم الدينية قدر المستطاع يعتبرون أولياء مكرمين ومواطنين مباركين في هذه المملكة، ولا حاجة عندهم للاعتقاد المصطنع بوجود كيان اسمه الروح القدس يملأ قلوب الذين يتعمدون باسم آلهة ثلاثة كل منهم ثالث الثلاثة.

فالمسلم لا يؤمن بوجود (روح قدس) واحدة متميزة ولكن بأرواح قدس لا حصر لها من مخلوقات الله المسخرة لطاعته، والمسلم لا يطهر بالتعميد أو الوضوء بل تزكو نفسه بالرغبة والمشاركة في الدفاع عن الدين والقتال من أجله. قال يحيى المعمدان: (**إني أعمدكم بالماء من أجل التوبة، ولكن الذي يأتي بعدي أقوى مني والذي لست جديراً بحمل حذائه، وسوف يعمّدكم بالروح القدس والنار**) (متّى ١١/٣) (وفي إنجيل برنابا ينسب هذا القول إلى عيسى عليه السلام) وهكذا بالروح القدس والنار طهر محمد الوثنيين والبدو الرحل أنصاف البرابرة وحوّلهم إلى جيش من المؤمنين الذين حوّلوا بدورهم الكنيس المتداعي والكنيسة المهترئة إلى مملكة الله الدائمة في الأرض الموعودة وبقية أنحاء الدنيا.

القسم الثاني



كما جاء في العهد الجديد

الفصل الحادي عشر

الإسلام والأحمديات التي أعلنتها الملائكة

سجل اثنان من كُتّاب الأناجيل حادثين غريبين فيما يتعلق بمولد سيدنا عيسى (عليه صلوات الله وسلامه)، **الأول**: سجله كاتب إنجيل متّى في روايته عن رحلة حكماء المجوس برئاسة الملك كاسبار وحسب الرواية فقد كان يوجههم نجم من بلاد فارس نحو إسطبل في بيت لحم كان يرقد فيه سيدنا عيسى عليه السلام وقت ولادته، إن هذه القصة الخيالية المكونة من عدة عجائب اختلقتها الكنيسة تعتبر أسطورة مستساغة لديها، والمفترض أن هؤلاء المجوس كانوا ملهمين حتى عرفوا أن الطفل الصغير في بيت لحم كان (إلها وحملاً وملكاً) ولذلك قدموا له البخور كما يقدمونه للآلهة، وقدموا المُرّ ليدفن معه قرباناً، وقدموا الذهب من أجل خزينته الملكية.

والمفترض أيضا أن هذه الرحلة الطويلة من بلاد فارس إلى فلسطين قد تمت بسرعة خارقة بينما الطفل لم يزل في الإسطبل (لوقا ٢/٤-٧) وأن المسافرين المجوس كانوا يهتدون بالنجم الذي كان يظهر ويختفي ثم يظهر أخيراً فوق بيت لحم ليقودهم إلى البقعة التي ولد فيها المسيح ومن الأعاجيب أيضا ارتجاف سكان القدس وملكها اليهودي هيرودس لدى سماع خبر مولد الملك الجديد الذي لم تُعرف مكان ولادته مما أدى بهيرودس أن يذبح مئات الأطفال حديثي الولادة في بيت لحم وضواحيها على أمل التخلص منه، وأن الوحي نزل على المجوس

بعدم العودة إلى هيرودس، إلى آخر ذلك من الخرافات التي ابتدعتها الكنيسة، ناهيك عن اعتمادهم على عبارة غامضة غير متماسكة وردت في كتابات النبي ميخا (ميخا ٥/٢) لحل مشكلة المكان الذي ولد فيه عيسى المسيح. وأخيرا وليس آخراً هنالك المعجزة التي يجري التلميح إليها في هذه القصة والمفترض أنها تحقق نبوءة إرميا (إرميا ٣١/١٥) حيث يصورون راشيل - زوجة يعقوب - وهي تنتحب بسبب مذبحة الإفراميين Ephramites في راماح - وليس في بيت لحم - التي حدثت قبل حوالي سبعمائة عام عندما تم نفي ذرية راشيل إلى بلاد الآشوريين في الوقت الذي كانت هي نفسها متوفية قبل نزول زوجها يعقوب في مصر بزمن طويل.

إن القديس متّى وهو الوحيد بين الحواريين والمؤرخين الذي روى هذا الحادث لم يذكر شيئاً عن عقيدة الملك كاسبار ومنجِّميه بعد زيارتهم للإسطبل في بيت لحم، وهل آمنوا برسالة عيسى أم لا؟ فلو أنهم آمنوا بها فلا معنى أن تضطهد فارس النصرانية لمدة ستة قرون أخرى حتى يجيء الإسلام وتتحول إليه في القرن السابع الميلادي.

إنني لا أقصد الإنكار التام لقصة زيارة بعض المجوس لمهد عيسى عليه السلام ولكنني أقصد إظهار رغبة الكنيسة الشديدة في المبالغة بالحوادث البسيطة في حياة عيسى المسيح وإضافة التفاصيل الخارقة لها.

أما الحدث الثاني الذي لا يقل عجباً وهو يتعلق بموضوعنا الحالي، فقد ورد في الإنجيل الثالث الذي تعتقد الكنائس أن مؤلفه هو الطبيب لوقا (كولوسي ٤/١٤) الذي رافق القديس بولس في رحلاته التنصيرية وكان أسيراً معه في روما (٢ تيموثي ٤/١١ ـــ فيلمون ٢٤..

إلخ)، وليس هذا مجال مناقشة تأليف الكتاب ولكن نكتفي بالقول أن المؤلف سجل الكثير من حكم وتعاليم المسيح، وقد روى أيضاً قصة الرعاة الذين كانوا يرعون أغنامهم قرب بيت لحم في الليلة التي ولد فيها سيدنا عيسى إذ ظهر أمامهم ملاك لكي يعلن مولد (السيد المخلّص) ثم ظهر حشد من الملائكة في السماء ينشدون بأصوات عالية الترنيمة التالية (لوقا ٢/١ ــ ٢٠):

المجد لله في الأعالي

وعلى الأرض السلام

وفي الناس المسرّة (Good will).

(لوقا ٢/١٤)

هذه الترنيمة الملائكية المعروفة بـ (Gloria in Excelsis Deo) والتي ترتّل في الكنائس خلال احتفالها بالمراسم المقدسة، ليست لسوء الحظ سوى ترجمة غامضة عن النص اليوناني الذي لا يمكن الاعتماد عليه أصلاً لأنه لا يتضمن الكلمات الأصلية باللغة التي رتل بها الملائكة والتي فهمها الرعاة العبرانيون، ومن البديهي أن الملائكة رتّلت أنشودتها المفرحة بلغة الرعاة وأن تلك اللغة لم تكن اليونانية بل العبرية العامية أو الآرامية، لأنّ تخيل الملائكة ترتّل باليونانية أمام الرعاة اليهود الذين يجهلون تلك اللغة هو مثل تخيل الملائكة فوق جبال كردستان مثلاً تنشد باليابانية أمام بعض الرعاة الأكراد الذين لا يعرفون سوى اللغة الكردية، ومن المهم أن نعلم أن جميع أسماء الله والملائكة والأنبياء والسماوات قد نزلت علينا بإحدى اللغات السامية فقط العبرية أو الآرامية أو العربية لا غير.

إن ظهور الملائكة إلى الرعاة البسطاء في بيت لحم وإعلان مولد النبي العظيم في تلك الليلة حيث سمع الرعاة وحدهم التهليلة الملائكية (هللويا) دون أن يسمعها الأحبار والكتبة Scribes المتعجرفون، كل ذلك يعتبر من المعجزات الكثيرة المسجلة في تاريخ شعب إسرائيل، وقد نقول أن القصة ليست مستغربة إذ يمكن أن يظهر ملاك لأحد الأنبياء ويبلغه رسالة من الله بحضور آخرين دون أن يفهم الآخرون ذلك، والرعاة الطيبون ذوو قلوب سليمة وإيمان صادق فكانوا أهلاً للتكريم الإلهي بسماعهم تلك الترانيم، ومن وجهة نظر دينية ليس هناك ما يدعو للاستغراب أو عدم التصديق لهذا الحدث المدهش علماً أن كاتب الرواية حريص ودقيق في عباراته وقد استخدم في إنجيله أسلوباً يونانياً جدياً جداً وبما أنه كتب كتابه بعد فترة طويلة من موت جميع الحواريين فمن المفترض أنه اطلع على الأناجيل المنسوبة إليهم وراجعها كما اطلع على أسطورة المجوس ومع ذلك لم يذكر شيئاً عنها في كتابه، وقد ذكر في النصوص الأربعة الأولى التي بدأ بها إنجيله[1] أن الحواريين الذين دعاهم (شهود العيان وكهنة الكلمة) لم يتركوا شيئاً مكتوباً عن المسيح وتعاليمه إنما اكتفوا بنقل رسالته وتعاليمه شفهياً إلى أتباعهم، كما ذكر بوضوح أن إنجيله استند على القصص التي سمعها من الأشخاص الذين سمعوها من الحواريين وغيرهم ممن كانوا شهود عيان لتلك الأحداث، وأنه تفحص مصادره بعناية واختار منها فقط ما اعتبره جديرا بالثقة والواضح من هذا الكلام أن لوقا لم يدّعِ نزول أي وحي عليه ولم ينسب لإنجيله أي علاقة بالوحي كلّ ذلك مما يقنع أي قارئ محايد أن ما يسمى بالأناجيل الأربعة المعتمدة Canonical gospels لا تتسم

---

(١) ننصح القراء بأن يقرؤوا مقدمة إنجيل لوقا بكل عناية. (المؤلف).

بالخصائص الضرورية التي لا بد منها في أي كتاب مقدس يزعم بأنه وحي أو تنزيل إلهي، فأين هو الإنجيل الحقيقي إذن؟ وهل من الممكن أن عيسى ورسله لم يتركوا لنا الإنجيل الحقيقي باللغة التي أنزل بها؟ وإذا كان هنالك إنجيل صحيح كهذا فما الذي حصل له؟ وهل ترجم أصلاً إلى اليونانية أو إلى لغة أخرى؟ وإذا كان الجواب على ذلك بالنفي فإننا نسأل لماذا لم يكتب هؤلاء الحواريون اليهود أناجيلهم بلغتهم الأم ولماذا كتبوا جميعاً باليونانية؟ وأين تعلم الصياد شمعون كيفا (سمعان الصفا أي بطرس) ويوحنا (جون) ويعقوب (جيمس) والجابي متّى، أين تعلم كل هؤلاء اللغة اليونانية من أجل كتابة سلسلة من الكتب المقدسة؟ وإذا ما قال أحدهم أن الروح القدس علّمهم فإنه يعرّض نفسه للسخرية، فما هو المبرر وما هي الحكمة من نزول الوحي باللغة العبرية أو الآرامية على يهودي من الناصرة – وهو عيسى عليه السلام – ثم ضياع ذلك الوحي ثم تعليم بعض الحواريين وغيرهم من اليهود اللغة اليونانية لكي يكتب كل منهم باليونانية ما سمعه بعضهم عن المسيح؟!

وإذا قيل لنا أن الأناجيل والرسائل الإنجيلية كتبت من أجل فائدة اليهود المشردين الذين كانوا يعرفون اليونانية فإننا نسأل: ما الفائدة التي جناها اليهود المشردون من العهد الجديد، ولماذا لم تُعدّ نسخ لأجل يهود فلسطين بلغتهم الخاصة علماً أن القدس كانت مركزاً للدين الجديد وإن جيمس (يعقوب) (الأخ المزعوم لعيسى) (سفر غلاطية ١٩/١) كان رئيس الكنيسة ومقيماً في القدس (أعمال الرسل ١٥)، (سفر غلاطية ١١/٢ ـ ١٥).

إنه من المستحيل العثور على نص واحد من الوحي المنزل على عيسى المسيح بلغته الأصلية، ولذا فإن مجمع نيقية يتحمّل إلى الأبد مسؤولية جريمة ضياع الإنجيل الأصلي باللغة

الآرامية وهي خسارة لا تعوّض، فالترجمة مهما كانت أمينة لا يمكن أن تحتفظ بالدقة والمعنى الذي تحتويه الكلمات والتعابير الأصلية، وكل نسخة مترجمة عرضة للمناقشة والنقد.

أضف إلى ذلك أن الأناجيل الأربعة المعتمدة لم تصل حتى إلى درجة الترجمة عن الأصل إذ أنّ النسخة اليونانية هي أقدم ما لدينا وقد تعرضت منذ البداية إلى تحريف وتشويه شديدين.

والآن نعود إلى كتاب لوقا وبالذات إلى الأنشودة الملائكية التي لاشك أن الملائكة أنشدتها بلغة سامية ـ عبرية أو آرامية ـ لكنها كتبت بترجمة يونانية.

ومن الطبيعي أن نحاول كشف الكلمات الأصلية التي أنشدت بها الملائكة؟ مثلاً ما هي الكلمة السامية الأصلية التي جعلوها باليونانية (Eudokia) وبالإنجليزية (Good will أي النية الحسنة) وبالعربية (المسرّة).

إن الترنيمة مؤلفة من ثلاث فقرات:

١ـ موضوع الفقرة الأولى هو(الله) Allaha بالآرامية وقد ترجم إلى Theos باليونانية.

٢ـ وموضوع الفقرة الثانية هو(السلام) ـ شلاما ـ بالآرامية وترجمت إلى اليونانية بكلمة Eiriny .

٣ـ وموضوع الفقرة الثالثة (المسرّة) Eudokia باليونانية وترجمت إلى اللاتينية Bona Voluntas الكاثوليكية، وإلى الآرامية Sobhra Tabha (والتي تلفظ

أحياناً Sovra Tava) في الترجمة الآرامية - باللهجة السريانية ـ المسماة بشيتا Peshitta.

وقد عجزت الترجمتان اللاتينية والآرامية وجميع التراجم الأخرى التي تلتها عن نقل المعنى الدقيق لكلمتي أيريني ويودوكيا وبالتالي ظلت الفقرتان الثانية والثالثة من الأنشودة دون معنى.

واستناداً على تفسير الكنائس المسيحية لهذه الأنشودة فإن إيمان الفرد بألوهية عيسى المسيح والتصديق بافتدائه الناس من الخطيئة وبالتالي من نار جهنم بموته على الصليب واستمرار اتصال المرء بالروح القدس يجلب (السلام) للقلب ويجعل المؤمنين يحملون (النية الحسنة) تجاه بعضهم البعض بالإضافة إلى الإحسان والمحبة المتبادلة، لكن الكنائس عن حكمة متعمدة لا تتوقف عند هذا التفسير لأنه لا يوجد بينها ولا بين أتباعها سلام ولا اتفاق ولا وفاق ولا نية حسنة ولا حب متبادل، ولذلك تختلف الكنائس عن بعضها البعض في استكمال التفسير وتحاول افتعال وسائل أخرى للتوصل إلى هذا (السلام) و(النية الحسنة)، فمثلاً يُصر الطقوسيون Sacramentarians على الاعتقاد بالطقوس السبعة وبتعاليم عديدة لا يمكن فهمها وليس لها علاقة من قريب أو من بعيد بعقيدة عيسى فيقولون إن الكنيسة بعد أن تطهرت بدم الفادي من خلال مياه المعمودية، التي تقدست بصورة غامضة، أصبحت عروس الحمَل وجسده أي أن الكنيسة نفسها تحولت إلى لحم العريس ودمه الحقيقيين وأصبحت جسم الحَمَل، وهي أيضاً تتغذى من جسده بخبز ونبيذ مقدسين بطريقة غير مفهومة، والعروس - الكنيسة ـ متفانية بشكل خاص تجاه (القلوب المقدسة) لعيسى ومريم والقديس يوسف والمراحل الأربع

عشرة للصلب وتجاه تماثيل مئات عديدة من القديسين والشهداء وآلاف العظام والبقايا الحقيقية أو المزيفة لهؤلاء، ناهيك عن عبادة القطيرة المقدسة كما يُعبد اللـه تعالى، كل هذه الطقوس وكل هذا التعقيد وما زال السلام بعيداً، وفوق كل ذلك يجب الاعتراف بجميع الخطايا صغيرها وكبيرها أمام الكاهن، ذلك أن الغفران الذي يحصل عليه الخاطئ من "الأب الروحي" هو الذي يأتي بـ (السلام) والطمأنينة إلى القلب ويملأه بـ (النية الحسنة: المسرّة)!!

ويحاول النصارى أيضا الحصول على (السلام) الداخلي عن طريق الصلاة لثلاثة آلهة كلٍّ على حدة: أحياناً لعيسى، وأحيانا للروح القدس، وأحيانا للأب، ثم يعتقدون بعد ذلك أنهم مملؤون بالروح القدس وأنهم في حالة سلام، ولكنني أؤكد للقارئ أن هؤلاء النصارى "التائبين" الذين يتظاهرون بأنهم حصلوا على (السلام) وعلى (النية الحسنة: المسرّة) تجاه جيرانهم هم في الحقيقة شديدي التعصب عديمي التسامح وسواء كان المسيحي ملتزماً أو غير ملتزم فإنه عندما يخرج من الكنيسة بعد أن يشارك في "العشاء الرباني" الذي يسمونه "القربان المقدس"[1] يصبح متعصباً ضيق الأفق حتى أنه يفضل لقاء كلب على لقاء مسلم أو يهودي؛ لأنهما لا يؤمنان بالثالوث وبالعشاء الرباني، وقد عرفت ذلك لأنني كنت أحمل نفس المشاعر عندما كنت قسيسا كاثوليكيا حيث كنت أعتقد بأنني روحاني منزه عن الأخطاء وكانت كراهيتي تزداد للهراطقة المزعومين من غير المؤمنين بالثالوث.

---

(١) إن إنجيل لوقا حسب الترجمة الآرامية القديمة المسماة Peshitta لا يحتوي على الجمل (١٧ – ١٩) من الفصل (٢٢) وكذلك لا يوجد ما يسمى بـ (الكلمات الأساسية) الموجودة في طقس القربان المقدس الخاص بالنساطرة (المؤلف).

وعندما يتحمس النصارى ولا سيما قساوستهم في صلواتهم وطقوسهم وممارستهم فإنهم يصبحون عدوانيين تجاه خصومهم الدينيين، والمعروف أن جميع القديسين النصارى بعد مجمع نيقية كانوا طغاة في كتاباتهم ومواعظهم وأعمالهم ضد مخالفيهم، وإن محاكم التفتيش الرومانية هي الشاهد الخالد على هذا الطغيان وعلى عدم تحقق ترنيمة (على الأرض السلام وفي الناس المسرّة).

ومن الواضح إن السلام الحقيقي لا يتحقق بالطقوس المصطنعة ولكن بثلاث وسائل فقط:

الأولى: الاعتقاد الجازم بوحدانية الله المطلقة.

والثانية: الخضوع الكامل والاستسلام لمشيئته المقدسة.

والثالثة: أن تكون آيات الله وإبداعه هي محور التأمل والتفكير باستمرار.

فمن يحقق هذه الوسائل الثلاث فهو مسلم حقيقي وعملي، والسلام الذي يحرزه عن طريقها يكون سلاماً حقيقياً غير مصطنع فيصبح متسامحاً أميناً رحيماً ولكن في نفس الوقت يكون مستعداً للدفاع عن دين الله.

على أن الملائكة بكل تأكيد لمن تنشد تكريماً للسلام الفردي الذي يحصل عليه عدد محدود من عباد الله، كما أنها لم تقصد سلاماً وهمياً بمعنى نزع السلاح من الدول أو إيقاف الحروب والأعمال العدوانية بين الشعوب، ولم تقصد سلاما اجتماعيا أو سياسيا مقتصرا على شعب إسرائيل فقط لأن تاريخه في العشرين قرناً الأخيرة يدل على العكس من ذلك تماماً، لذلك فنحن مضطرون تجاه الحقائق التاريخية من جهة، وأهمية المناسبة والمصدر الذي جاء منه

هذا الإعلان من جهة أخرى إلى الاستنتاج أن هذا السلام على الأرض لم يكن سوى تأسيس مملكة الله على الأرض وهو أمر قد تحقق ألا وهو الإسلام، ذلك أن كلمة Eiriny اليونانية مرادفة للكلمات السامية (شالوم) في العبرية و(شلاما) في الآرامية و(إسلام) في العربية، هذا كل ما في الأمر.

وإن مجرد ذكر (الحشود السماوية الكثيرة) يعطي للأنشودة طابع الانتصار والتبشير بقرب نشوء مملكة الله على الأرض، تلك المملكة التي كان أعظم روادها الطفل الحديث الولادة في بيت لحم.

وقد سبق أن شرحنا أن السلام بمعناه العملي الحسي يدل على دين سليم ونافع عكس الدين الشرير السيء المؤذي المدمر المؤدي إلى البؤس والهلاك، وبهذا المعنى فإن الله تعالى في رسالته إلى قورش من خلال نبوءة إشعيا استعمل كلمة (شالوم) كمرادف للخير (عكس الشر) (سفر إشعيا ٤٥/٧)، هذا هو بالضبط التفسير الحرفي واللغوي والعملي لكلمة إسلام كدين صحيح كفيل بإقامة مملكة ربانية قوية على الأرض لها شرائعها وتوجيهاتها الدائمة الصالحة التي يتضمنها القرآن الكريم.

إن الإسلام يعني حرفياً (صنع السلام) وإن أي تفسير آخر أو سلام خيالي أمر غير وارد بالمعنى الذي وردت به كلمة Eiriny في تلك الأنشودة الملائكية، وقد قصد سيدنا عيسى المسيح هذا المعنى

الإسلامي بالضبط عندما ألقى موعظته البليغة على الجبل: (طوبى للمسلمين - أي صانعي السلام - لأنهم يُدعون أبناء الله)[1] (متى ٥/٩).

وإن السلام الوهمي هو ما رفضه عيسى المسيح عندما قال: (لا تظنوا أنني جئت لإقامة السلام على الأرض، إذ لم آتِ لوضع السلام، بل لإقامة السيف) (متّى ١٠/٣٤)، أو كما قال: (جئت لأشعل النار في الأرض، أتظنون أنني جئت لأعطي سلاماً على الأرض؟ أقول لكم لا، بل انقساماً...) (لوقا ١٢/٤٩،٥١).

وما لم تفهم كلمة Eiriny على أنها دين الإسلام، فإن هذه الأقوال الخطيرة لسيدنا عيسى تبدو لغزا يحمل في ثناياه التناقض والتشويه لرسالته الصحيحة.

---

(١) سنعالج فيما بعد تعبير أبناء الله. (المؤلف).

الفصل الثاني عشر

يودوكيا *Eudokia* تعني أحمد (لوقا ٢/١٤)

لو كان هناك مخطوطة أو مخطوطتان على الأقل للقديس لوقا باللغة العبرية فإنه قد يمكن إعادة ترجمة إنجيله إلى اللغة العبرية بصعوبة أقل نسبياً مما لو لم يكن لدينا أياً من مخطوطات لوقا العبرية، ولكن هذا الافتراض غير متحقق فقد ضاعت جميع الكتابات القديمة (بلغة المسيح) التي ترجم منها النشيد الملائكي إلى اليونانية كما أنه لم يصلنا عن لوقا أي كتاب بلغة سامية، عبرية أو آرامية، ولمزيد من الإيضاح ولتمكين القارئ من تقدير أهمية هذه النقطة فإني على سبيل المثال أتحدى أعظم علماء الأدب الإنجليزي أو الفرنسي أن يعيدوا ترجمة النص الفرنسي لمسرحيات شكسبير إلى الأصل الإنجليزي دون الرجوع إلى النص الإنجليزي الأصلي بحيث يعيدوا جمال وتناسق ودقة النص الأصلي.

لقد كتب الفيلسوف المسلم الكبير ابن سيناء مؤلفاته باللغة العربية وأعيدت بعد ذلك ترجمة بعض كتاباته من اللاتينية إلى العربية لأن الأصول العربية فُقدت، فهل كانت النصوص العربية المترجمة مطابقة لتلك التي كتبها ابن سيناء بنفسه والجواب بالنفي طبعاً.

تحدثنا في الفصل السابق عن معنى كلمة Eiriny اليونانية ووجدنا أن الكلمة التي تقابلها في العبرية هي كلمة (شالوم) علماً أن الكلمتين متطابقتان تماما في نصوص الترجمتين:

١) السبعينية[١] Septuagint (اليونانية).

٢)والترجمة العبرية للعهد القديم.

ولكن الكلمة اليونانية المركبة (يودوكيا) على ما أعلم لم ترد في الترجمة السبعينية ومن الصعب جداً إيجاد تعبير يماثلها أو يرادفها في الأصل السامي أضف إلى ذلك أن أناجيل متّى ومرقص ويوحنا وبرنابا لم تذكر هذه الأنشودة الملائكية ولم يرد ذكرها أيضاً في أي من رسالات Epistles العهد الجديد.

ومن أجل اكتشاف الكلمة السامية الأصلية التي سمعها الرعاة والتي صاغها النص اليوناني لإنجيل لوقا في كلمة (يودوكيا) فإنه يجب متابعة جذورها اليونانية، ولكن قبل ذلك سوف نستعرض تراجم الكتاب المقدس المليئة بالأخطاء التي حجبت المعنى الصحيح لكلمة (يودوكيا) وأخفت منحاها التنبؤي عن أحمد أو محمد.

هنالك نصان رئيسيان قديمان للعهد الجديد منقولان عن النسخة اليونانية، الأول باللغة السريانية (الآرامية)[٢] ويسمى البشيتا Peshitta، والثاني باللغة اللاتينية ويسمى فالجيت Vulgate، وكلاهما يحملان عنوان Simplex بمعنى البسيط وهو معنى كلمتي بشيتا

---

(١) السبعينة هي الترجمة اليونانية للعهد القديم وسميت كذلك نسبة إلى اثنين وسبعين عالماً يهودياً (يفترض أن يكونوا ستة من كل سبط من الأسباط الاثني عشر) قاموا بترجمته إلى اليونانية في الإسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد.

(٢) إن ترجمة البشيتا Peshitta لم تستعمل مطلقاً كلمات Syria وسرياني Syriac بل كانت تستعمل كلمتي آرام Aram وآرامي Aramaic ذلك أن اللغة السريانية تعتبر لهجة من اللهجات الآرامية التي كانت منتشرة في منطقة الرها.

وفالجيت، وقد ظهر الكثير من المعلومات الحديثة حول هذين النصين الرئيسيين مما يسبب حرجاً لأعظم اللاهوتيين والمؤرخين النصارى، ويكفي أن نذكر الآن أن النسخة الآرامية المسماة بشيتا Peshitta هي أقدم من الترجمة اللاتينية Vulgate للكتاب المقدس، ومن المعروف أنه خلال القرون الأربعة الأولى بعد المسيح لم يكن لدى كنيسة روما كتب مقدسة ولا طقوس دينية باللغة اللاتينية وإنما باللغة اليونانية فقط كما أنه قبل المجمع المسكوني المنعقد في نيقية سنة ٣٢٥م لم يكن قد تم تجميع الأسفار التي تكوّن منها كتاب العهد الجديد، وبالأحرى لم يكن هنالك وجود للعهد الجديد بل كان هناك الكثير من الأناجيل gospels والرسائل epistles التي تحمل أسماء مختلفة لتلامذة وصحابة عيسى والتي اعتبرت كتباً مقدسة من قبل العديد من المجتمعات المسيحية آنذاك لكن المجمع المسكوني في نيقية رفضها معتبراً إياها غير شرعية.

ولما كانت الرها Edessa (الواقعة في جنوب شرق آسيا الصغرى) هي عاصمة اللغة السريانية ومقرها التعليمي، فقد كانت كتب العهد الجديد تترجم من اليونانية إلى السريانية في الرها –وليس في أنطاكية– بعد انعقاد المجمع الكنسي المشؤوم في نيقية.

والواضح من دراسة الأدب والتاريخ المسيحي القديم أن الحواريين وأوائل المبشرين بالإنجيل كانوا من اليهود الذين تكلموا الآرامية أو السريانية، ومن المؤكد أن النصارى الأوائل كانوا يؤدون صلواتهم وطقوسهم باللغة الآرامية لأنها كانت اللغة الدارجة التي تحدث بها اليهود والسريان والفينيقيون والكلدان والآشور، وأن الأناجيل المتعددة والرسائل وكتب

الصلاة والطقوس الدينية كانت في الأصل مكتوبة باللغة الآرامية (السريانية)[1] حتى أن الأرمن ـ قبل اختراع الألفباء الأرمنية في القرن الخامس ـ كانوا يستعملون الحروف السريانية.

غير أن الذين دخلوا النصرانية في وقت متأخر من غير الساميين وغير اليهود، كانوا يقرأون العهد القديم باللغة اليونانية (الترجمة السبعينية)، كما أن الفلاسفة وكهنة الأساطير اليونانية (بعد تحولهم إلى النصرانية) لم يجدوا صعوبة في إنتاج (عهد جديد) باليونانية يستكمل العهد القديم خاصة أن النسخة السبعينية من العهد القديم كانت أمامهم.

والنتيجة أن إنجيل المسيح قد تحول ليصبح مصدراً لاتجاهين فكريين؛ أحدهما سامي، والآخر إغريقي، ثم استطاع الفكر المُشرك الإغريقي أن يتغلب على العقيدة التوحيدية السامية بمساعدة قسطنطين الكبير أعتى وأطغى الأباطرة الإغريق - اللاتين وبمساعدة أشد القساوسة تعصباً وتعسفاً من ذوي عقيدة التثليث في بيزنطة وروما.

يضاف إلى ذلك مشاكل وحدة العقيدة والمذهب والنص المُنَزّل، ذلك أنه لمدة أكثر من ثلاثة قرون لم يكن لدى الكنيسة أي (عهد جديد) كالذي نراه في صورته وشكله الحاليين، ولم تكن أي كنيسة من الكنائس السامية أو الإغريقية أو كنائس أنطاكية أو الرها أو بيزنطة أو روما تملك جميع أسفار العهد الجديد بل لم تكن تملك حتى الأناجيل الأربعة قبل انعقاد مجمع نيقية، وإني لأستغرب كيف كانت عقيدة أولئك النصارى الذين لم يكن في حوزتهم غير إنجيل

---

(١) انبثقت اللغة السريانية عن الآرامية وكلاهما مكونتان من نفس الأبجدية وهي عبارة عن ٢٢ حرف، وعادة ⇐

لوقا، أو إنجيل مرقس، أو إنجيل يوحنا، فيما يتعلق بتعاليم القربان المقدس، أو المعمدانية، أو التثليث، أو الولادة المعجزة لسيدنا المسيح، وغير ذلك من المعتقدات والمبادئ.

إن نسخة (البشيتا) السريانية لا تحتوي على ما يسمى (بالكلمات الأساسية أو التنظيمية) الموجودة الآن في إنجيل لوقا (١٧/٢٢ – ١٩)، كما أن الجمل الاثني عشر الأخيرة من الفصل السادس عشر من إنجيل مرقس لم تكن موجودة في المخطوطات اليونانية القديمة، وأن ما يدعى (بصلاة الرب) (متّى ٩/٦، لوقا ٢/١١) ليست معروفة لدى مؤلفي الإنجيل الثاني (مرقس) والرابع (يوحنا)، وفي الحقيقة إن الكثير من التعاليم الهامة التي قد توجد في أحد الأناجيل لم تكن معروفة لدى الكنيسة التي لم تكن تملك ذلك الإنجيل وبالتالي لم تتحقق الوحدة في طرق العبادة وفي الانضباط والسلطة والعقيدة وفي الوصايا والقوانين لدى الكنيسة الأولى ناهيك عن أن الوحدة في هذه الأمور لم تتحقق حتى أيامنا هذه.

والخلاصة أن الكتب اليهودية المقدسة كانت بمثابة الإنجيل للنصارى في عهد الحواريين بالإضافة إلى الإنجيل المتضمن الوحي الحقيقي الذي أنزل على سيدنا عيسى والذي كان جوهره مطابقاً لأنشودة الملائكة عن الإسلام والرسول الملقب بأحمد (محمد).

إن الرسالة المحددة التي بعث بها المسيح كانت هداية اليهود وإعادتهم عن ضلالهم وانحرافهم وتصحيح اعتقادهم الخاطئ عن مسيح منحدر من سلالة داود ولإقناعهم بأن ملكوت الله على الأرض الذي كانوا ينتظرون تحقيقه لم يكن ليتحقق بوساطة مخلّص منحدر من

ما يطلق اسم اللغة السريانية على اللهجة الآرامية التي كانت دارجة في الرها وما حولها.

سلالة داود ولكن من نسل إسماعيل واسمه أحمد وهو الاسم الصحيح المطابق للاسم الذي نصت عليه الأناجيل اليونانية بصيغة يودوكسوس Eudoxox وبركليتوس Periqlytos (وليس باراكليت Paraclete كما شوهته الكنائس).

غير أن موضوع البيركليتوس Periqlytos سوف يكون واحداً من أكثر الأبحاث أهمية في سلسلة هذه المقالات (الفصل ١٨)، ومهما تكن أهمية الباراكليت Paraclete الذي ابتكرته الكنائس (انظر يوحنا ١٤/١٦،٢٦) و(١٥/٢٦) و(١٦/٧) وأهمية الأصل الصحيح لتلك الكلمة، فإن الحقيقة تشهد أن عيسى خلّف بعده ديانة ناقصة من المفترض أن تكتمل بعده بواسطة من أطلق عليه يوحنا (أوبي سوبرا) ووصفه (لوقا ٢٤/٤٩) بـ "الروح"، هذه "الروح" ليست ولم تكن إلهاً ولا ثالث ثلاثة لكنها روح "أحمد" الطاهرة التي وجدت مع أرواح الأنبياء الآخرين في الجنة (إنجيل برنابا).

فإذا كانت روح المسيح بشهادة الحواري يوحنا (يوحنا ١٧/٥) قد وجدت قبل أن يُخلق رجلاً فإن روح محمد قد وجدت أيضاً قبل خلقه رجلاً بشهادة حواري آخر هو برنابا. وسوف أبحث هذه النقطة في الحلقة التالية، غير أنني الآن أوجه السؤال التالي إلى جميع الكنائس المسيحية: هل كان الإنجيل الرابع (يوحنا) موجوداً لدى جميع الكنائس المسيحية في آسيا وإفريقيا وأوروبا قبل انعقاد المجمع المسكوني في نيقية بآسيا الصغرى عام ٣٢٥م؟ فإذا كان الجواب نعم فالرجاء إبراز براهينكم، وإذا كان الجواب بالنفي عندئذ يجب الاعتراف أن قسماً كبيراً من النصارى لم يكن يعرف شيئاً عن الباراكليت Paraclete المذكور في الإنجيل

الرابع، فالباراكليت كلمة مبهمة لا تعني (المعزّي) ولا (الوسيط) ولا أي شيء آخر، كل ذلك يشكل اتهامات خطيرة جداً ضد الكنيسة.

ونعود إلى الموضوع، إن (البشيتا) ترجمت الكلمة اليونانية (يودوكيا) التي يلفظها اليونانيون (إيفدوكيا) إلى (سوبرا تابا) ـ وتلفظ سوفرا تافا ـ ، وهي تعني (الأمل الطيب) أو(التوقع الطيب) في حين أن الترجمة اللاتينية Vulgate ترجمت (يودوكيا) إلى (بونافولانتاس) Bona Voluntas أي (النية الحسنة).

ومع أن الترجمتين لهما أثر بسيط جدا من الصحة إلا أن ذلك لا يبرز ترجمتهما إلى كل من السريانية واللاتينية على هذا النحو وإني أتحدى جميع علماء اليونان أن ينقضوا قولي بأن مترجمي النصين السرياني واللاتيني قد ارتكبوا غلطة هائلة في تفسير (يودوكيا)، وأنا لا أتهم المترجمين بأنهم حرفوا هذا التعبير اليوناني عمداً فمن المحتمل أنهم لم يدركوا المعنى التنبؤي الصحيح للكلمة السامية الأصلية التي اشتقت منها كلمة (يودوكيا) اليونانية.

إن المعنى الصحيح والحرفي المطابق لعبارة (الأمل الطيب) باللغة اليونانية ليس يودوكيا بل هو Euelpis أو Euelpistia وهي تلفظ (إيفلبستيا)، أما التعبير الدقيق والصحيح المطابق للتعبير اللاتيني (بونا فولانتاس) أو (النية الحسنة أو الطيبة) باللسان اليوناني فهو بالتأكيد ليس (يودوكيا) ولكن (يوثيليما) Euthelyma ، وإن هذا الشرح القاطع هو من الوضوح بحيث يكفي لتقريع كهنة الفاتيكان وكانتربوري الذين يرتلون أنشودة الملائكة Gloria in Excelsis في صلواتهم.

١- الأصل اللغوي لكلمة يودوكيا Eudokia:

عندما نبحث عن المعنى الحقيقي لكلمة يودوكيا Eudokia نرى أن مقطع (Eu) الذي يسبقها معناه: (جيد، حسن، أكثر، والأكثر) كما هو في يودوكيميو Eudokimeo أي المحترم، المقبول، المحبوب، وكذلك صاحب المجد، وهنالك كلمة يودوكيموس Eudokimos التي تعني عظيم الاحترام، ذائع الصيت والمجد، وكلمة يودوكسوس Eudoxos التي تعني ذا الشهرة الواسعة والمجد، وكلمة يودوكسيا Eudoxia معناها مشهور ومعروف. أما مقطع دوكسا Doxa المستعمل في الأسماء المركبة مثل: (Doxology, orthodox) فهو مشتق من الفعل دوكيو Dokeo، وإن كل من يدرس الأدب الإنجليزي يعرف أن كلمة دوكسا doxa تعني المجد، الشرف، الشهرة، كما أن هناك تعابير عديدة في الأدب الكلاسيكي الإغريقي تستعمل كلمة دوكسا Doxa لتشير إلى المجد، مثلا: (Peri doxis makheshai) تعني (أن يحارب من أجل المجد). ومع أنني على علم بأن كلمة (doxa - دوكسا) تستخدم في أحيان نادرة للتعبير عن: أ) الرأي أو المعتقد. ب) المبدأ والمذهب. جـ) التوقع أو الأمل. لكن معناها العام هو (المجد) وفي الحقيقة أن القسم الأول من أنشودة الملائكة يبدأ بـ "دوكسا (المجد) لله في الأعالي".

إن القاموس اليوناني - فرنسي الذي نشره في باريس R. C. Alexandre عام ١٨٤٦ يعطي كلمة يودوكيا Eudokia معنى (لطيف، حسن، ودمث) كما يقدم المؤلف كلمة دوكيو Dokeo على أنها أصل كلمة doxa دوكسا بمختلف معانيها التي ذكرت أعلاه، وبينما أجمع أساتذة اليونان في القسطنطينية الذين تعرفت على عدد كبير منهم أنهم يفهمون من كلمة

يودوكيا Edokia معنى (السرور، المحبة، الرضى، والرغبة) إلا أنهم يقولون أيضاً إن معناها الأصلي هو (الشهرة، المعرفة، والشرف).

٢- الأصل اللغوي للكلمات العبرية (مَحْمَد) و(حِمْده) ومعانيهما:

إن السبيل الوحيد لفهم الكتاب المقدس هو دراسته من وجهة النظر الإسلامية، عندئذ فقط يمكن فهم الوحي الإلهي وعندئذ فقط يمكن الكشف عن الزيف والخداع والتحريف في أوضح مظاهرها ومن ثم التخلص منها، ومن وجهة النظر هذه فإنني أرى في الكلمة اليونانية يودوكيا Edokia اتفاقاً عجيباً في معناها الصحيح والحرفي مع الكلمات العبرية (مَحْمَدْ، مَحَمُد، حِمْدَه، حِمِدْ) التي تستعمل بصورة متكررة في العهد القديم.

أ) (حَمَدْ): يتألف هذا الفعل من الحروف الساكنة السامية (ح م د) وحيثما جاءت هذه الحروف في الكتابات المقدسة اليهودية فإنها تعني (يحب، يشتاق، ويرغب) هذا هو بالضبط معنى الفعل حَمَدْ في المخطوطات العبرية، وقد ورد في إحدى الوصايا العشر من التوراة ما يلي: (لو تحمد إِش رايخـه) أي (لا تشتهِ زوجة جارك) (سفر الخروج ١٧/٢٠).

ب) حِمِدْ بالمذكر، وحِمْدَه بالمؤنث يدلان على الرغبة، الرضى، البهجة، التلهف، والجمال (حجي ٧/٢ وإرميا ٣٤/٢٥ إلخ).

ج) مَحْمَدْ، مَحَمَدْ (مراثي إرميا ٧/١، ١٠) و(٤/٢): هاتان الصيغتان مشتقتان من الفعل حَمَدْ ومعناها: (المرغوب فيه جداً، البهيج، الرائع، اللطيف، الجذاب، القيّم، المحبوب). وليس هناك ذرة من الشك بأن الصيغة العربية (مُحَمَدْ) والعبرية (مَحْمَدْ) و(مَحَمَدْ) كلها

مشتقة من ذات الأصل والجذر رغم الفروق البسيطة في التشكيل وقد أوردت معاني الصيغ العبرية كما فهمها اليهود ومؤلفو المعاجم.

د) نلاحظ إذاً أن الكلمة اليونانية يودوكيا تعطي حرفياً معنى الاسم العبري (حِمْدَه) وبالمقابل فإن الكلمة المماثلة في اليونانية لكلمة (مَحَمُدْ) لا يمكن إلا أن تكون يودوكسوس Eudoxos وهي بمعنى الشيء الذي يُتاق إليه والمُتطلّع إليه واللطيف والبهيج والنفيس والمحبوب والمحترم.

٣- إنها معجزة فريدة في تاريخ الأديان أن يطلق اسم مُحَمّد لأول مرة من بين جميع البشر على نجل عبدالله وآمنة.

ولا يمكن أن تكون هناك حيلة أو زيف أو تزوير في ذلك لأن والديه وأقرباءه كانوا وثنيين لم يعلموا شيئاً عن التنبوءات في الكتب العبرية والمسيحية عن النبي العظيم المقدّر له أن يأتي لكي يعيد ويقيم دين الإسلام، وإن اختيار عبد الله وآمنة لاسم (محمد) أو (أحمد) لا يمكن تفسيره بأنه كان مصادفة أو حدثاً عارضاً، لقد كان الأمر بلا ريب إعجازاً يتعلق بالإلهام الإلهي والخطة الإلهية.

إن الاسم المبني للمجهول للفعل (حُمّدَ) في العربية هو (مُحَمّد) ويقابل ذلك في العبرية (مَحْمَدْ) أو (مَحَمُدْ)، وليس هنالك أدنى شك في التطابق والتشابه بين الصيغتين.

لقد عرضت بكل أمانة معنى الصيغ العبرية كما قدمها كتّاب المعاجم والمترجمون وتبين أن المعنى الجوهري والورحي لكلمتي حِمْدَه ومَحَمُدْ هو الثناء والمستحق للثناء، المجد والمجيد، فمن بين كل المخلوقات من يمكن أن يكون الأكثر مجداً وحسن ثناء غير ذلك الذي

يحبه ويتطلع إليه الناس؟ ومن منطلق هذا المعنى الواقعي استعمل القرآن الكريم كلمة (الحمدُ) والتي يشتق منها (أحمد ومحمد)، وكلمة الحَمدُ هي نفس الكلمة العبرية حِمدْ. وقد أوضح دانيال (سفر دانيال، الفصل ٧) أن مجد محمّد يتفوق على مجد كل مخلوق آخر لأن الشرف والمجد الأكبر قد منحه الله إلى أعظم أنبيائه لإقامة دين الله وتصحيح مفاهيمه تحت اسم (الإسلام) الذي يعني: السلام والأمان والسلامة والطمأنينة والخلاص، وكذلك الخير في مقابل الشر، ناهيك عن الخضوع والإذعان لمشيئة الله تعالى.

لقد كانت الرؤيا التي شاهدها الرعاة بمناسبة ميلاد سيدنا المسيح ذات توقيت رائع؛ لأنه ولد في تلك الليلة رسول عظيم من رسل الله المبشرين بالإسلام، لقد كان المسيح هو المبشّر بملكوت الله على الأرض كما كان إنجيله تمهيداً للقرآن وبداية لعصر جديد في تاريخ الأديان والأخلاق.

إن عيسى نفسه لم يكن (مَحْمَدْ) المقدر له أن يأتي فيما بعد لتحطيم مملكة الشر والوثنية في الأراضي الموعودة، إذ كانت القوة الرومانية الجبارة في عهده ما تزال تنمو وتتوسع وكان مقدراً للقدس مع هيكلها الرائع أن تُدمّر على يديها بعد مجيء المسيح، لقد جاء المسيح إلى قومه ولكنهم رفضوه وأعرضوا عنه.

وأما الذين آمنوا به فقد جُعلوا (أبناء للمملكة) وتشتّت الباقون في الأرض، وتبع ذلك الاضطهادات العشرة الرهيبة تحت حكم أباطرة الرومان العشرة الأوائل ثم جاء الإمبراطور قسطنطين الكبير فثبّت عقيدة الثالوث وقضى على النصارى الموحّدين، ثم كانت بعثة محمد عليه الصلاة والسلام الذي لم يكن إلهاً أو ابن إله ولكنه كان النبي الموعود الذي تحققت فيه

فعلياً كل الصفات التي يعنيها اسمه فقد كـان محمد ابن الإنسـان المنتظـر (البارناشا) الأحمد الجدير بالثناء الذي جاء وقضى على الوحش الكبير.

وهكذا تكون الأنشودة الملائكية في معناها الحقيقي كما يلي:

المجد والحمد لله في الأعالي.

أوشك أن يجيء الإسلام للأرض.

يقدمه للناس أحمد.

الفصل الثالث عشر

يحيى المعمدان يعلن عن نبي قوي

كان يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان)، حسب روايات الحواريين الأربعة ابن خالة عيسى وكان معاصراً له إذ ولد قبله بستة أشهر. ولا يذكر القرآن شيئاً عن حياة هذا النبي سوى أن الله أوحى لزكريا أنه سينجب ولداً اسمه يحيى ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا﴾ (سورة مريم، الآية: ٧)، وسيكون شطاهرا مريفاً صدقًا بكلمة من الله ومن الأنبياء الصالحين﴿إن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين﴾ (سورة آل عمران، الآية: ٣٩).

كان يحيى من الناصرة عاش في البرية يأكل الجراد والعسل البري ويرتدي كساء من وبر الجمال ويُعتقد أنه كان من طائفة دينية يهودية تسمى الأسينيين Essenes التي ظهر منها النصارى الأوائل (الإيبونيون Ebionites) الذين اشتهروا بالانصراف عن الملذات الدنيوية، والواقع أن الوصف القرآني لهذا النبي بكونه ﴿حَصورا﴾ تدل على أنه عاش حياته عازباً، ولم يكن معروفاً في باكورة شبابه حتى بلغ نحو الثلاثين من عمره حين بدأت بعثته وأخذ يدعو الناس للتوبة وصار يعمّد اليهود التائبين في نهر الأردن، واجتذب الجماهير إلى برية يهودا حيث كانوا يسمعون مواعظه البليغة وصار يوبخ الفريسيين Pharisees والقُسُس المتعصبين وأنذر السدوقيين Saducees المتعلمين الفلاسفة بالكارثة المقبلة، وأعلن أنه كان يعمّد الناس بالماء كرمز لتطهير القلوب بالتوبة ولكن نبياً آخر قادماً بعده سوف يعمّدهم بالروح القدس والنار وسوف يجمع القمح إلى مخزنه ويحرق القش بنار لا تُخمد.

كما أعلن أن القادم بعده سيكون أعلى منه مكانةً من حيث السلطة والكرامة لدرجة أن يحيى قال عن نفسه أنه (لا يستحق شرف الانحناء وحل رباط حذاء ذلك النبي) (متّى ٣/١١).

وحسب رواية مرقص ولوقا فإن عيسى كان من جملة الذين تعمدوا في ماء الأردن على يد يحيى كأي شخص آخر (مرقص ١/٩) و(لوقا ٣/٢١)، أما متّى فإنه يُضيف إلى روايتي مرقص ولوقا أن يحيى قال لعيسى (إنني بحاجة لأن أعمّد على يديك فهل جئت أنت إلي؟) (متّى ٣/١٤)، ويقال أن عيسى أجاب بقوله: (دعنا نحقق الاستقامة) ثم تعمد على يد يحيى.

أما كاتب الإنجيل الرابع فهو لا يعرف شيئاً عن تعميد عيسى على يد يحيى ولكنه يقول لنا أن يحيى عندما رأى عيسى صاح قائلاً (انظروا هذا حَمَل الله...إلخ) (يوحنا ١/٢٩)، ويدّعي هذا الإنجيل أن (أندراوس) كان تلميذاً ليحيى ثم ما لبث أن هجر معلّمه وأحضر أخاه سمعان بطرس (الصفا) إلى عيسى (يوحنا ١) وهذه القصة تناقض بشكل صارخ أقوال الإنجيليين الآخرين (متّى ٤/١٨-١٩) و(مرقص ١/١٦-١٨)، أما القديس لوقا فيذكر أن عيسى كان يعرف (سمعان بطرس) قبل أن يصبح حوارياً (لوقا ٤/٣٨ - ٣٩)، ويضيف لوقا أن عيسى أضاف أولاد يونس وزبدي إلى مجموعة تلاميذه (لوقا ٦/١ - ١١) الأمر الذي لم يرد في كتابات بقية الحواريين.

كما يذكر الإنجيل الرابع أن يحيى لم يتعرف على شخصية عيسى إلا بعد أن نزلت عليه روح كالحمامة بعد ان تعمّد (يوحنا ١) بينما يقول لنا لوقا إن يحيى عندما كان جنيناً في رحم أمه كان يعرف عيسى ويعبده -وذلك عندما كان عيسى بدوره جنيناً أصغر في رحم مريم-

(لوقا ١/٤٤)، ثم يقال لنا ثانية أن يحيى عندما أُودع السجن حيث استشهد لم يكن على علم بالطبيعة الحقيقية لرسالة عيسى (متى ١١/٢ – ٣).

وهكذا فإن الأناجيل الأربعة للكنائس التثليثية تحتوي على العديد من الأقوال المتضاربة حول عيسى المسيح ويحيى عليهما السلام.

وقد وردت إشارة مبهمة في الأسئلة التي وجهت إلى النبي يحيى من قبل الكهنة واللاويين، فقد سألوه ثلاثة أسئلة على التوالي (هل أنت المسيح؟ هل أنت إيليا؟ هل أنت ذلك النبي؟) وعندما أجابهم على كل سؤال بالنفي قالوا له: (إذا لم تكن المسيح ولا إيليا ولا ذلك النبي، إذن فلماذا تُعمّد؟) (يوحنا ١/١٩ – ٢٥) وهكذا فإنه حسب الإنجيل الرابع لم يكن يحيى المعمدان هو المسيح ولا إيليا ولا ذلك النبي. وإنني أسأل الكنائس المسيحية التي تؤمن أن مُلهم جميع هذه الأقوال المتضاربة هو الروح القدس، أي ثالث الآلهة الثلاثة، من يعني أولئك الأحبار اليهود واللاويون بقولهم (وذلك النبي؟) فإذا كانت الكنائس تدعي عدم المعرفة عن (ذلك النبي) فما هي الفائدة من هذه الأناجيل المحرّفة المشكوك بصحتها؟ أما إذا كانت الكنائس تعرف من هو(ذلك النبي) فلماذا تبقى صامتة؟

لقد ذكر النص أعلاه صراحة أن يحيى قال أنه لم يكن ذلك النبي، بينما يُروى أن عيسى قال: (لا يوجد ابن أنثى أعظم من يحيى) (متى ١١/١١) فهل قال عيسى ذلك حقيقة؟ وهل كان يحيى أعظم من إبراهيم وموسى وداود وعيسى المسيح نفسه؟ وإذا كانت هذه الشهادة من عيسى عن يحيى بن زكريا صحيحة فإن عظمة "آكل الجراد في البرية" اقتصرت على نكرانه

المطلق لذاته وعزوفه من الدنيا بكافة ملذاتها ومباهجها ورغبته الشديدة في دعوة الناس إلى التوبة وبشارته السارة عن (ذلك النبي).

أم أن عظمته نتجت عن كونه ابن خالة عيسى وشاهداً عليه؟ إن قيمة وعظمة أي رجل أو نبي تقدر بأعماله وإنجازاته ولم يصل إلى علمنا عدد الأشخاص الذين اهتدوا من خلال مواعظ يحيى وتعميده الناس في النهر، كما أن أثر تلك الهداية على موقف اليهود التائبين – على فرض وجودهم– وسلوكهم تجاه عيسى المسيح لم يكن ذي بال.

وفي مكان آخر يُروى أن المسيح أعلن أن يحيى المعمدان كان النبي إيليا نفسه (متّى ١٤/١١، و١٢/١٧) أو أنه تجسداً جديداً للنبي إيليا (لوقا ١٧/١) في حين صرّح يحيى للوفد اليهودي إنه لم يكن إيليا ولا المسيح ولا ذلك النبي (يوحنا ١٩/١ – ٢٥).

فماذا يستنتج المرء من هذه الأناجيل الحافلة بالمتناقضات؟ وهل يستطيع معرفة الحقيقة منها؟ إن التهمة خطيرة جداً لأن الأشخاص المعنيين اثنان من الأنبياء خُلقا في رحمي أميهما على يد الروح وكانت ولادة كل منهما معجزة، أحدهما وُلد بدون أب والثاني وُلد من أبوين عقيمين عجوزين في التسعينات من عمريهما، والأخطر من ذلك أن رواة هذه القصص هم الحواريون الذين يُزعم أنه يُوحى إليهم من الروح القدس وأن ما كتبوه هو الوحي! ومع ذلك فهنالك أكذوبة أو تزييف في مكان ما، فالمفروض أن إيليا (أو إلياس) يجيء قبل (ذلك النبي) (ملاخي ٥/٤ – ٦) وينسبون إلى عيسى القول (يحيى هو إيليا)، ولكنّ يحيى يقول (أنا لست إيليا)، كل هذه المتناقضات وردت في الكتاب المقدس!

فمن المستحيل إذاً الوصول إلى الحقيقة والدين الحق من هذه الأناجيل إلا إذا قُرأت من وجهة نظر إسلامية، عندئذ فقط يمكن استخلاص الصدق من الكذب وتمييز الحقيقي عن الزائف، ولا يمكن غربلة الأناجيل وتمييز الغث من السمين فيها إلا بمقياس الإسلام وعقيدته، وقبل أن أثبت أن النبي الذي تنبأ عنه يحيى (متّى ٣/١١) لا يمكن أن يكون سوى محمد فإنني ألفت انتباه قرائي إلى نقطتين هامتين:

١ – يكنّ المسلمون أعظم الاحترام لجميع الأنبياء ولا سيما أولئك الذين وردت أسماؤهم في القرآن الكريم مثل عيسى المسيح ويحيى، ويؤمنون أن الحواريين كانوا رجالاً أبراراً مطهّرين، ورغم أن كتاباتهم الأصلية ليست موجودة فإن المسلمين لا يمكن أن يقبلوا أن أياً منهم يمكن أن يناقض الآخر، وهناك أمر آخر جدير بالملاحظة وهو الصمت الغريب من قبل إنجيل برنابا عن يحيى المعمدان، هذا الإنجيل لا يذكر اسم يحيى قط وينسب النبوءة عن (النبي الأقوى) إلى عيسى المسيح، كما يذكر أن عيسى قال عن روح محمد أنها خلقت قبل أرواح الأنبياء الآخرين وأخبر أنها على درجة من المجد والرفعة بحيث أنه عندما يأتي (ذلك النبي) فإن عيسى سوف يعتبر نفسه غير جدير بالانحناء وحلّ رباط حذائه.

٢ – اعتاد يحيى في البرية ـ أثناء مواعظه للجماهير ـ أن يصرخ بصوت عالٍ ويقول: (أنا أعمّدكم بالماء من أجل التوبة وغفران الخطايا، ولكن هناك شخص قادم بعدي أقوى مني لدرجة أنني لا أستحق حل رباط حذائه، وهو سيعمدكم بالروح والنار) (متّى ٣/١١). هذه الكلمات رويت بصور مختلفة في الأناجيل ولكن بنفس المعنى، مما يدل على أكبر قدر من الاحترام والتقدير للشخصية القوية ذات الكرامة الرفيعة التي يتمتع النبي القوي المتنبأ عنه.

وهذه الكلمات الصادرة عن يحيى المعمدان تصف الأسلوب الشرقي في استضافة وتكريم الضيف عند دخوله منزل مضيفه حيث يسارع المضيف أو أحد أفراد عائلته لخلع حذاء ضيفه ومرافقته إلى مجلس مريح، وعندما يغادر الضيف يتكرر التكريم حيث ينحني المضيف ثانية لعقد رباط الحذاء.

والذي قصده يحيى المعمدان من قوله أنه لو قدر له أن يقابل ذلك النبي العظيم فإنه سوف يعتبر نفسه غير جدير بشرف الانحناء وحل رباط حذائه، ومن هذا الولاء الذي قدّمه يحيى سلفا يبدو أن النبي الذي بشّر بقدومه كان معروفاً لدى كافة الأنبياء بأنه سيدهم وسلطانهم وكبيرهم وإلا لما قال نبي من أنبياء الله –مثل سيدنا يحيى– هذا القول المتواضع.

والآن لتحديد هوية (ذلك النبي) نقسم البحث إلى جزئين:

أ) النبي الذي جرى التنبؤ عنه لم يكن عيسى المسيح.

ب) النبي الذي جرى التنبوء عنه هو محمد بالذات.

اعتبرت الكنائس النصرانية يحيى المعمدان تابعاً لعيسى ومبعوثاً له وهكذا فإن المفسرين والمعلقين النصارى يظهرون عيسى وكأنه المقصود بنبوءة يحيى، ومع أن المزيّفين شوهوا نصوص الأناجيل في ذلك الاتجاه إلا أن الزيف لا يمكن أن يخفى عن فكر القارئ المحايد، إن عيسى لا يمكن أن يكون موضوع نبوءة يحيى للأسباب التالية:

١– إن كلمة (بعدي) تستبعد عيسى أصلاً لأن عيسى ويحيى ولدا في سنة واحدة وعاصر أحدهما الآخر، يقول يحيى (إن ذلك الآتي بعدي أقوى مني) وكلمة (بعدي) هذه تدل على

مستقبل غير محدد وبلغة النبوءة فهي تعبر عن دورة أو كثر من دورات الزمن، ومن المعروف جيداً لدى المتصوفة أنه في كل دورة زمنية تقدر بنحو خمسة أو ستة قرون يظهر نبي لامع يمتد أثره في أنحاء العالم وتدوم إصلاحاته عدة أجيال إلى أن يحين ظهور نبي آخر، وهكذا فقد ترصّع تاريخ الدين الحق من إبراهيم إلى محمد بأسماء بارزة منها إبراهيم وموسى وداود و زيروبابل وعيسى ومحمد، لقد وجد يحيى أمته تعاني من حكم الإمبراطورية الرومانية وملوك اليهود الأشرار، وشاهد رجال الدين الفاسدين يضللون الشعب اليهودي ويفسدون الكتب المقدسة ويروّجون الأساطير الخرافية حتى فقد اليهود كل أمل إلا أملهم بأن أباهم الأكبر إبراهيم سيخلصهم، فقال لهم يحيى إنهم لا يستحقون أباً مثل إبراهيم وأن الله قادر على إنهاض سلالة لإبراهيم من الحجارة (متّى ٩/٣)، وكان اليهود آنئذ -كما هم اليوم- ينتظرون مسيحاً من سلالة داود ليأتي ويعيد لهم مملكة داود في القدس، وعندما وجّه الوفد اليهودي السؤال إلى يحيى: (هل أنت المسيح؟) أجاب يحيى بالنفي على هذا السؤال وما تلاه من أسئلتهم (يوحنا ١/٢٠ – ٢١).

وإذا أهملنا المبالغات الواضحة التي أضيفت إلى الأناجيل فمن المؤكد أن يحيى قدّم عيسى إلى الجماهير على أنه المسيح الحقيقي ونصح الناس بطاعته واتباع تعليماته وقبول إنجيله، كما أخبرهم أن هنالك نجماً أخيراً، من العظمة عند الله وفي الدنيا، بحيث أنّ يحيى لا يستحق حلّ رباط حذائه.

٢- لو كان عيسى المسيح هو المقصود بعبارة يحيى فالمفروض أن يلتحق يحيى بعيسى ويخضع له كتلميذ وتابع، ولكنه لم يفعل ذلك بل على العكس كان يعظ ويعمّد ويستقبل التلاميذ

ويوبّخ الملك هيرودس ويقرّع الطبقات اليهودية الحاكمة ويتنبأ بمجيء نبي آخر أقوى منه دون أن يعير أدنى التفات لوجود ابن خالته عيسى المسيح في يهودا أو الجليل.

٣ – لقد جعلت الكنائس النصرانية من عيسى المسيح إلهاً أو ابن إله رغم كونه مختوناً مثل كل الإسرائيليين ومعمداً على يد النبي يحيى مثل اليهود العاديين مما يثبت عكس ذلك، والكلمات التي قيل أنه جرى تبادلها بين يحيى وعيسى في نهر الأردن تبدو تحريفاً وابتذالاً واضحاً فلو كان عيسى حقيقة هو الشخص الذي تنبأ به يحيى على أنه (أقوى) منه لدرجة أنه لم يكن أهلاً للانحناء وحل رباط حذائه وأنه (سوف يعمدُ بالروح والنار) لو كان الأمر كذلك لما كان هناك أي معنى لتعميد عيسى في النهر كأي يهودي آخر على يد شخص أقل منه، أما التعبير المنسوب لعيسى (دعنا نحقق الاستقامة) أو (يجدر بنا أن نحقق كل العدالة) فهو غير مفهوم بتاتاً فلماذا تتحقق كل العدالة لمجرد تعميد عيسى؟ هذا التعبير تحريف وتشويه واضح ومتعمّد، ومن وجهة نظر إسلامية فإن المعنى الوحيد لهذا التعبير أنّ يحيى بنظرته الصوفية الثاقبة أدرك الطابع التنبؤي لعيسى واعتقد لبرهة وجيزة أنه النبي العظيم خاتم رسل الله وبالتالي أحجم عن تعميده ولكن حينما أخبره عيسى بهويته الحقيقية وافق يحيى على تعميده.

٤ – عندما كان يحيى في السجن أرسل تلاميذه إلى عيسى يسألونه: (هل أنت النبي الموعود؟ أم ننتظر واحداً غيرك؟) (متى ١١/٣) مما يظهر بجلاء أن يحيى لم يكتشف نبوءة عيسى إلا بعد أن سمع عن معجزاته وهو في السجن، وهذه الشهادة من متىّ تناقض الإنجيل الرابع (يوحنا ١/٢٩) الذي يدّعي أن يحيى عندما رأى عيسى قال: (انظروا حَمَل الله الذي

يمسح ـ أو يتحمل ـ خطيئة االعالم) كما يبدو أن كاتب الإنجيل الرابع لم يعرف شيئاً عن استشهاد يحيى (متّى ١٤/١٠ – ١٢، مرقص ١٤/٦ – ٢٩).

ومن وجهة نظر إسلامية بحتة فإنه يستحيل على نبي كيحيى أو أي نبي آخر أن يستخدم تعبيراً إلحادياً كهذا عن عيسىالمسيح، لقد كانت الفحوى من رسالة يحيى الحض على التوبة والمعنى أنّ كل شخص مسؤول عن خطيئته وعليه أن يتحمل وزرها أو أن يمحوها بالتوبة، فالمعمودية كانت عبارة عن وضوء يرمز إلى طرح الخطايا بالإضافة إلى الإقرار بالذنوب وتعويض من تضرر بها، أو طلب السماح منه، والعزم على عدم ارتكاب الذنوب ثانية، ولو كان عيسى (حَمَل الله) الذي ـ يمسح خطايا العالم ـ لكان وعظ يحيى بالتالي سخيفاً وعديم الجدوى، إن الخطأ الذي شوه دين الكنائس هو نظرية التضحية التي تتم نيابة عن الآخرين وهي نظرية سخيفة، فهل مسح (حمَل الله) خطايا العالم؟ إن صفحات التاريخ الكنسي المظلمة تجيب على ذلك السؤال بالنفي القاطع و(الحُمْلان) في مقصورات الاعتراف يخبرون أن النصارى رغم علمهم وحضارتهم يرتكبون من الخطايا وأعمال القتل والسرقة والانغماس في الشهوات والزنا والحروب والمظالم وحب المال ما هو أشد هولاً مما ترتكبه بقية البشرية جمعاء.

٥– لا يمكن ليحيى المعمدان أن يكون السلف المبشر بعيسى على النحو الذي تفسره الكنائس فالأناجيل تقدمه لنا على أنه (صوت يصرخ في البرية) كتحقيق لعبارة جاءت في (سفر إشعيا ٤٠/٣)، وكممهد لبعثة عيسى المسيح استنادا إلى قول النبي ملاخي (ملاخي ٣/١) ولو كانت مهمة يحيى إعداد الطريق لعيسى الذي سيجيء فجأة إلى هيكله فاتحاً منتصراً

حيث يقيم دين (السلام) ويجعل القدس بهيكلها أكثر مجداً من ذي قبل (حجي ٢/٧ –٩) فإن تلك المهمة قد لاقت الفشل الذريع والإحباط الكامل، فبدلاً من أن يستقبل يحيى أميره مظفّراً في القدس عند بوابة الهيكل بين جموع اليهود فإن يحيى يستقبله عارياً مثله في نهر الأردن ثم يقدم سيده بعد تغطيسه في الماء إلى الجماهير بقوله: (هذا هو ابن الله) أو في قول آخر (انظروا حَمَل الله) مما يعني التحقير لشعب إسرائيل أو السخرية منه أو السخرية من عيسى أو الكفر، أو يعني كل هذه الأمور معاً، أو أنه يجعل من نفسه أضحوكة أمام الناس.

لقد أساءت الكنائس فهم الطبيعة الحقيقية لرسالة يحيى وأخطأت المعنى الحقيقي لمواعظه، وسوف أبين في الفصل التالي أن طبيعة رسالة يحيى من جهة، وهدف بعثة المسيح إلى اليهود من جهة ثانية، أمران مختلفان تماماً عمّا تحاول الكنائس اعتقاده.

الفصل الرابع عشر

محمد هو النبي الذي تنبأ به يحيى

هنالك ملاحظتان مهمتان جداً أبداهما سيدنا عيسى المسيح عن يحيى المعمدان ولكنهما مسجلتان بطريقة غامضة.

الأولى: هي التي يقول فيها أن يحيى هو تجسّد لإيليا (إليجاه) المذكور في العهد القديم، ثم صمت عيسى الواضح عن هوية الشخص الذي كان من المفترض أن يعلن عنه إيليا (وليس إلياس) ويقدمه للعالم على أنه آخر الأنبياء، كما أن كلام عيسى المسيح في هذا الصدد غامض ومبهم جداً، فلو كان يحيى هو إيليا كما هو مذكور بوضوح تام بلا خوف ولا تردد فلماذا لا يَذكر اسم الشخص المفترض أن يكون إيليا مبشراً به؟ وإذا كان عيسى هو ذلك الشخص أي (رسول العهد) و(الأمر) كما تترجم الترجمة اللاتينية Vulgate للكتاب المقدس كلمة (أدون) (ملاخي ٣/١)، فلماذا لا يقول عيسى بصراحة (إن يحيى هو إيليا الذي أرسل ليمهد لي الطريق) وإذا لم يكن الأمر كذلك فالمفروض أنه قال بصراحة (إن يحيى هو إيليا الذي أرسل ليمهد السبيل أمام محمد) ولكن هنالك أيدٍ شيطانية تلاعبت بالنص وأزالت كلمات عيسى من الإنجيل الأصلي، حتى صارت الأناجيل الحالية هي المسؤولة عن هذا الغموض وعن تضليل بلايين النصارى لقرون عديدة من الزمن؛ لأن أقل ما نتوقعه من سيدنا عيسى عليه السلام أن يذكر بوضوح من هو النبي الذي جاء يحيى ليبشر به ونحن قطعاً لا يمكن أن ندّعي أن

عيسى كان غامضاً في تعاليمه ولا يمكن أن ننسب إليه حب الغموض ولكن هنالك عدة أمثلة في الأناجيل تضع على لسان عيسى أجوبة أو أقوالاً غير مفهومة البتة.

أما الملاحظة الثانية فهي مبطنة بغموض أشد إذ يقول عيسى: (لا يوجد ابن أنثى أعظم من يحيى المعمدان، ولكن أقل من في مملكة السماء أعظم شأناً من يحيى) (متى ١١/١١)، فهل قَصدَ عيسى المسيح أن يحيى وجميع الأنبياء والأتقياء جميعاً كانوا خارج مملكة السماء؟ ومن هو ذلك الأقل الذي كان أعظم من يحيى؟ وبالتالي أعظم من كافة البشر الذي يعتبر يحيى أعظمهم؟ فهل قصد عيسى نفسه بكلمة الأقل؟ أم هو الأقل بين النصارى المعمدين؟ قطعاً لا يمكن أن يكون قَصدَ نفسه؛ لأن تلك المملكة لم تكن قد نشأت على الأرض في زمنه وحتى لو كانت نشأت في عهده ـ وهو الشيء الذي لم يحدث ـ فإنه لا يمكن أن يكون هو الأقل فيها لأنه يُفترض أن يكون مؤسسها، ولذا فقد اكتشفت الكنائس حلاً سخيفاً جداً لهذه المشكلة وذلك الحل هو أن أقل مسيحي مغسول بدم عيسى من خلال طقس المعمودية يصبح أعظم من يحيى ومن كل البشر بمن فيهم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وداود وإيليا ودانيال! وسبب هذا الادعاء العجيب أن المسيحي مهما كان خاطئاً أو مجرماً أو منحطاً فله حق التمتع بامتيازات لا حصر لها شريطة أن يؤمن بأن عيسى هو مخلّصه، ومن هذه الامتيازات التطهر من الخطيئة الأصلية عن طريق المعمودية والاعتقاد بالثالوث والأكل من لحم عيسى ودمه في طقوس القربان المقدس ورسم إشارة الصليب، وامتياز مفاتيح الجنة وجهنم الموضوعة تحت تصرف الكاهن الكبير، والنشوة العارمة لطوائف البيوريتان والكويكرز والإخوان وبقية النحل الأخرى التي تدّعي هذه الامتيازات لأتباعها كل منها بطريقتها كما تدّعي أن كل مسيحي جيد

سوف يصبح يوم القيامة كعذراء طاهرة تقدم نفسها (لحَمَل الله)، فهل يعقل أن يصدق النصارى أن (أقل) واحد منهم هو (أعظم) من كافة الأنبياء؟ وكيف يمكن الاعتقاد أنهم أعظم مكانة من آدم وحواء لمجرد أنّ لغز الثالوث قد انكشف لهؤلاء الحمقى ولم ينكشف لآدم وحواء؟ أو كيف يمكن الادعاء أنّ أميرا بريطانياً مثلا أو زنجياً إفريقياً هو أعظم من يحيى لمجرد أنهما مسيحيان؟ أليس هذا الاعتقاد أبعد ما يكون عن الحصافة في هذه الأيام المتميزة بالرقي وتقدم العلوم والعقول؟

ومع ذلك فإن جميع هذه المعتقدات والمتناقضات منبثقة من العهد الجديد ومن الكلمات المنسوبة إلى سيدنا عيسى عليه السلام وحوارييه، ولكن ثمة شرارات متألقة موجودة في الأناجيل تكفينا نحن المسلمين لاكتشاف الحقيقة عن عيسى الحقيقي وابن خالته يحيى.

يحيى المعمدان تنبأ بمحمد

١- حسب شهادة عيسى لا يوجد ابن أنثى أعظم من يحيى ولكن (أقل) من في مملكة السماء أعظم من يحيى، إن المقارنة هي بين يحيى وجميع الأنبياء في مملكة السماء، وحسب الترتيب الزمني فإنّ آخر الأنبياء هو أصغرهم جميعاً، وإنّ كلمة (زعَيرا) الآرامية مثل كلمة (صغير) العربية تعني الصغير أو اليافع، وتستخدم البشيتا وهي نسخة الكتاب المقدس الآرامية كلمة (زعيرا) مقابل كلمة (ربّا) التي تعني الكبير أو كبير السن، إن كل نصراني يعرف أن عيسى ليس آخر الأنبياء ولذلك لا يمكن أن يكون أصغرهم إذ إنه بحسب سفر أعمال الرسل لم تقتصر هبة النبوة على الحواريين فقط ولكن كان هناك رجال صالحون كثيرون في عصرهم تمتعوا بها أيضا (سفر أعمال الرسل ١١/٢٧ -٢٨، ١٣/١، ١٥/٣٢، ٢١/٩ -

١٠)، وبما أننا لا نستطيع أن نحدد الرسول الأخير من بين رسل الكنيسة الكثيرين فإننا مضطرون لأن نبحث عن نبي يكون الأخير قطعاً ويكون خاتم الأنبياء، هل نستطيع أن نتصور ما هو أقوى وأبلغ في الدلالة على نبوءة محمد من تحقق بشارة المسيح المدهشة في شخص محمد وحده دون غيره من الأنبياء؟

إن محمداً بلا شك هو الأصغر سناً في سلسلة الأنبياء، إنه "بنيامين" الأنبياء ومع ذلك فهو صفوتهم وسلطانهم وسيدهم، وإن إنكار نبوة محمد هو إنكار لكل الوحي الإلهي وكافة الرسل الذين بشروا به لأن جميع الأنبياء معاً لم ينجزوا العمل الهائل الذي قام به نبي مكة وحده في فترة قصيرة لم تتجاوز ثلاثة وعشرين عاماً من بعثته النبوية.

إن لغز الوجود المسبق لأرواح الأنبياء لم يكشف لنا ولكن المسلم يؤمن به، ويروي إنجيل برنابا على لسان عيسى أن روح محمد خُلقت قبل كل شيء ومن هنا يقول يحيى عن النبي الذي بشّر به: (ذلك الذي يجيء بعدي قد خُلق قبلي لأنه كان قبلي) (يوحنا ١/١٥)، ومن العبث تفسير هذه الكلمات المدهشة ليحيى عن محمد على أنها تشير إلى عيسى كما يحاول أن يفعل مؤلف الإنجيل الرابع.

وفي كتاب "حياة المسيح" لمؤلفه إرنست رينان يوجد فصل هام عن يحيى المعمدان وقد قرأته بإمعان منذ أمد طويل وتبيّن لي أنه لو كان لدى الكاتب الفرنسي المذكور أدنى درجة من الاعتبار للنبي محمد من بين جميع الأنبياء لكانت أبحاثه ودراساته قد أوصلته إلى نتيجة مغايرة تماما لما توصل إليه، ولكن للأسف فإنه مثل غيره من نقاد الكتب المقدسة الذين بدلاً

من أن ينجحوا في الوصول إلـى الحقيقـة فـإنهم ينتهون إلـى انتقـاد الديـن ـ لأنـهم يحصـرون اهتمامهم بدراسة الكتاب المقدس فقط دون القرآن ـ فيساهمون في إضلال قرائهم.

ويسعدني ويشرفني أنني تمكنت بعون الله مـن كشـف الغمـوض الـذي خيّـم علـى عبـارة (الأقل في مملكة السماء).

٢- لقد أدرك يحيى المعمدان أن خاتم الأنبياء والرسل محمد سيكون أعلى منه قدرا وأكثر مقدرة، وفي ذلك التصريح الهام الذي أعلنه يحيى على الجماهير اليهودية والـذي مفـاده (ذلـك الذي يجيء بعدي) يُذكّر اليهود بمن فيهم النساخ والفريسين والقـانونيين بـالنبوءة القديمـة التـي قالها جدهم الأكبر يعقوب الذي استعمل صفة (شيلوه) بمعنى (رسول الله) وهي صفة كثيراً ما وصف عيسى بها محمد كما ورد في إنجيل برنابا وعند كتابـة حلقتـي السـابقة عـن (شـايلوه) قلتُ: إن الكلمة قد تعني تحريفاً لـ (شيلواح) والتي تعني (رسول الله) وأضيف الآن أن القديس جيروم قد فهم الصيغة العبرية بذلك المعنـى أيضـاً لأنـه ترجمهـا بعبـارة (ذلـك الـذي أرسـل). عندما أتخيل النبي يحيى وهو يوجه مواعظه بصوت عالٍ في البريـة أو علـى ضفـاف الأردن إلى جماهير اليهود الذين وراءهم حوالي أربعة آلاف عام مـن التـاريخ الدينـي، ثم أسـتعرض الأسلوب الهادئ المنظم الرزين الذي كان يعلن فيه محمـد الآيـات السـماوية مـن القرآن علـى العرب الجاهليين، ثم عندما أتفحص تأثير كل من هاتين الدعوتين فـي ضـوء النتيجـة النهائيـة لكل منهما حينئذ أتفهم ضخامة البعد الشاسع بينهمـا وأدرك أهميـة الكلمـات القائلـة (إنـه أقـوى

مني). وعندما أتخيل قصة القبض على يحيى المعمدان الأعزل من قبل هيرودس أنتيباس[1] ثم قطع رأسه بصورة وحشية وعندما أتابع الروايات المضطربة والمأساوية لجلد عيسى (أو يهوذا الإسخريوطي) من قبل بيلاطس وتتويجه بتاج من الشوك على يد هيرودس وما تبع ذلك في كالفاري، وبالمقابل أتأمل الدخول المظفر لسلطان الأنبياء إلى مكة وتدميره جميع الأصنام وتطهير الكعبة، ومنظر أعدائه المدحورين بقيادة أبي سفيان وهم على قدمي (الشيلواح) رسول الله المظفر يطلبون منه العفو والرحمة ويعلنون إيمانهم بالدين الجديد وعندما أفكّر في خطبة الوداع لخاتم الأنبياء ﴿اليوم أكملت لكم دينكم..﴾، عندئذ أفهم تماماً معنى كلام يحيى حين قال: (إنه أقوى مني).

٣ – (الغضب القادم): من يستطيع أن يجد تفسيراً معقولاً أو مقنعاً لهذه العبارة في أي من الشروح العديدة للأناجيل؟ ماذا يقصد يحيى أو ماذا يريد من مستمعيه أن يفهموا من قوله (انظروا لقد وقعت البلطة على جذور الشجرة؟) أو عندما قال (إنه يمسك المروحة بيده ليطهّر بيدره) أو عندما مسخ لقب (أبناء إبراهيم) إلى لا شيء!

لن أثقل عليكم طويلاً في عرض أوهام المفسرين لأنها أوهام خيالية لم يحلم بها يحيى ولا مستمعوه، ولكن هل كان بإمكان يحيى أن يقنع الفريسيين المتغطرسين والسدوقيين العلمانيين الذين أنكروا القيامة الجسدية أصلاً، هل كان بإمكانه أن يقنعهم بغضب الله القادم في الآخرة؟ وبنار جهنم التي سوف تحرقهم كالأشجار اليابسة؟ إن نبي التوبة والبشارة لم يتحدث عن

---

(١) ثمة خلط في الأناجيل في رواية استشهاد يحيى وفيما يتعلق بعائلة هيرودس الكبير (متّى ١٤ وغيره) ⇐

الغضب البعيد الذي لا شك أنه ينتظر الكفرة الفاسقين فـي الآخرة ولكنـه تحدث عـن الكارثة الوشيكة للأمة اليهودية وقد هدّد بغضب الله الذي ينتظر اليهود في الدنيا إذا مـا استمروا فـي عصيانهم ورفضهم لرسالته ورسالة عيسى المسيح، كانت الكارثة القادمة التي أشار إليها هـي دمار القدس وتشتت بني إسرائيل نهائياً، وهو ما حدث تماماً بعد ذلك بثلاثين سنة خـلال حياة كثير من الذين حضروا موعظة يحيى، لقد أعلن كل من يحيى وعيسى عن قـدوم رسـول اللـه العظيم الذي تنبأ به يعقوب وأنه عند قدومه سوف تُنزع السلطة والنبـوءة مـن اليهـود الأمـر الذي تحقق بعد ستة قرون عندما قام محمد بتدمير آخر معاقلهم وأخرجهم من جزيرة العرب.

٤ – دأب اليهود والمسيحيون على اتهام النبي محمد أنه أقام دين الإسلام بالقوة والإكراه ويحاول المسلمون دوماً دحض ذلك ولكن هذا لا يعني أن محمد لم يستخدم القوة مطلقـاً، لقد اضطر لاستخدامها للدفاع عن دين الله لأن الفرصة التـي تكـرم اللـه بإعطائها لليهـود ولغير اليهود وللعرب دامت أكثر من أربعة آلاف سنة ثم أرسل الله رسـوله الأخير بعد هـذه المـدة ومعه السلطة والسيف والنار والروح لمجابهة الكفرة الأشرار وأبناء إبراهيم الجاحدين سـواء كانوا من بني إسمـاعيل أو بني إسرائيل.

إن العهد القديم بكامله ليس سوى قصصاً عن الحكم الديني مع قصص الارتداد إلى الوثنية وبين الحين والآخر كانت تلمع شرارة صغيرة للإسلام (أي دين اللـه) فـي القـدس وفـي مكـة، ولكنها كانت دوماً موضـع اضطهاد قوى الشيطان فقد تعاقبت الوحوش الشيطانية الأربعـة فـي

وبإمكان القارئ الرجوع إلى (جوزيف فلافيوس) في كتابه (Antiquities) حول الموضع. (المؤلف).

اضطهاد القلة المؤمنة ثم جاء محمد ليسحق الأفعى السامة ويعطيها اللقب الكريه (إبليس) أي (الشيطان المقهور) ومن المؤكد أن محمد كان نبياً محارباً ولكن الهدف من حربه كان النصر لا الانتقام، وهزيمة العدو لا إبادته، وباختصار: إقامة دين الإسلام كمملكة الله على الأرض، والحقيقة أنه عندما نادى المنادي في الصحراء: (مهّدوا الطريق للسيد واجعلوا طرقه مستقيمه) كان يشير إلى محمد الذي سيحقق ملكوت الله في الأرض بعد أن اقترب موعده.

لقد زال الزيف والأوثان أمام هدي محمد وانهارت الإمبراطوريات أمام سيفه وأصبح أبناء مملكة الله متساوين وشكلوا الجماعة المؤمنة التي تمثل (أولياء اللــه تعـالى) ذلـك أن المسـاواة بين البشر لا تتحقق إلا في الإسلام حيث لا كهنوت ولا طقـوس ولا طبقـات، جميـع المؤمنين سواسية لا يتفاوتون إلا بالفضيلة والتقوى وفي ذلك فقط يمكن أن يتفوق بعضهم علـى بعض، إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا يعترف بأي وسيط بين الله وبين الإنسان.

الفصل الخامس عشر

معمدانية يحيى وعيسى ليست

إلا نوعاً من ﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾[1]

من المحزن أن الحواريين لم يتركوا لنا تفصيلاً عن موعظة يحيى وعلى فرض أنهم فعلوا فإن الكنيسة قد أغفلتها، إذ من المستحيل على أكثر المستمعين علماً أن يفهموا العبارت الغامضة المنسوبة إلى يحيى والمحاطة بالألغاز في شكلها الحالي، لقد طلب منه الكهنة والقضاة اليهود أن يشرح لهم أقواله في عدة نقاط (يوحنا ١/١٩-٢٣ و ٥/٣٣) ولا شك أنه قد أوضح هذه النقاط الهامة لسامعيه ولم يتركهم ضحية للغموض لأنه كان (الشمعة المحترقة المضيئة التي تشهد بالحق) (يوحنا ٥/٣٣ - ٣٥) فماذا كانت شهادته بالحق وماذا كانت الحقيقة التي شهد لها؟ إن ما يزيد الأمر غموضاً هو اختلاف نصوص الأناجيل فيما يتعلق بهذا الموضوع، فهل كانت شهادته عن شخص المسيح؟ أم كانت عن رسول الله الذي تنبأ عنه يعقوب؟ (سفر التكوين ٤٩/١٠) وماذا كانت النصوص الدقيقة لشهادته عن عيسى؟ وعن نبي المستقبل الذي كان أعلى منه قدراً؟

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٨: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾.

في فصل سابق برهنت بشكل حاسم أن النبي الذي تنبأ عنه يحيى لم يكن عيسى المسيح وأنا أعتقد دون تردد أن الحقيقة التي شهد به يحيى كانت تتعلق بمحمد. وهذه الحجج هي في رأيي المتواضع وقناعتي الأكيدة منطقية وصحيحة وحاسمة ويمكن لكل منها أن يكون موضوعا لكتاب كبير مستقل، كما أنني على وعي تام بأن هذه الحجج سوف تزلزل تفكير الكثير من النصارى الشديدي التعصب، وعلى أية حال فإن الحقيقة ترفع نفسها وترفع من قدر الذين يعملون على نشرها، لقد أعطى يحيى شهادتين واحدة عن (شليها دا لله)، وكان معناها باللهجة الفلسطينية الدارجة عندئذ (رسول الله) والأخرى كانت عن عيسى الذي أعلن أنه ولد من الروح القدس وليس من أب بشري وأنه المسيح الحقيقي الذي أرسله الله كآخر الأنبياء العظام من اليهود كي يمد شريعة موسى بروح جديدة وليبلغ اليهود أن خلاصهم متوقف على الخضوع لحفيد إسماعيل العظيم، ولكن كما فعل أجدادهم الذين أفسدوا كتابهم المقدس بالتحريف كذلك فعل يهود الكنيسة النصرانية فقد أفسدوا وحرفوا الإنجيل ومع ذلك فإن هذا التحريف لم يستطع طمس الحقيقة.

إن قوة وتفوق أمير رسل الله تنبثق من المعمودية بالروح المقدس وبالنار، وقد اعترف مؤلف الإنجيل الرابع أن عيسى وتلامذته اعتادوا أن يتعمدوا بالماء مع يحيى المعمدان (يوحنا ٣/٢٢ – ٢٣) مما ينقض النص الذي ورد في نفس الإنجيل: (إن عيسى لم يعمّد نفسه ولكن عمّد تلاميذه فقط) (يوحنا ٤/٢)، وحتى لو أن عيسى لم يعمّد نفسه في جداول المياه فلا شك أنه أمر تلاميذه أن يتعمدوا بالماء تماما كما كان يفعل يحيى مما يبين أنه لم يكن الشخص المقصود بنبوءة يحيى– الصارخ في البرية– عن النبي القوي الذي يعمّد بالروح وبالنار (متى

١١/٣)، ولا يحتاج الأمر إلى ذكاء خـارق لفهم هذه الحجـة، وإذا كـانت الكلمـات والمواعظ والنبوءات تحمل أي معنى أو أي هدف أو مغزى فإن كلمـات يحيـى تعنـي أن التعميد سوف يستمر بالماء حتى ظهور الـ (الشايلوه) أي رسول الله وعندئذ يصبح التعميـد بـالروح والنـار، هذا هو الاستنتاج المنطقي الوحيد والمفهوم الذي يمكن استخلاصه من موعظة يحيى كما هـي مدونة في الفصل الثالث من إنجيل متى، ولكن استمرار الكنيسة في التعميد بالمـاء ورفـع هذه العملية إلى مصاف الطقوس يبيـن أن الكنيسة لا تؤمن سـوى بـالتعميد بالمـاء وليس بـالروح القدس والنار.

غير أنّ التعميد بالماء يختلف تماماً عـن التعميد بـالروح والنـار، فـالأول يتـم عـن طريـق التغطيس أو غسيل الجسم بالماء كعلامة على التوبة أما الثاني فلم يعد يتم بالماء ولكن بـالروح القدس والنار وتأثيره يتجلى في تغـير كـامل للقلـب والإيمـان والمشـاعر، الأول يطهـر الجسـم والثاني ينير العقل ويثبت الإيمان، الأول يغسـل السـطح والثـاني يغسـل اللـب، الأول خـارجي وهو اليهودية والثاني داخلي وهو الإسلام، وقد كـان للتعميـد اليهـودي- النصرانـي مـا يـبرره طالما كان التعميد الإلهي - أي **صبغة الله** - مرتقباً ولكن بعدما نزل الوحي القرآني على محمد فقد تلاشـى التعميـد السـابق كمـا يتلاشـى الظـل إذ حـلّ الغسـل والوضـوء فـي الإسـلام محـل المعمودية اليهودية النصرانية وهو أمر لا يحتاج لنبي أو لكاهن كي يؤديه للآخرين ولكن يقوم به المؤمن نفسه، ولذا لم يعد لدى النصارى أي مـبرر للتمسـك بمعموديتهم بالمـاء إلـى مـا لا نهاية طالما أن أناجيلهم تنبأت بأن هذه المعمودية سـوف تلغيهـا معموديـة أخـرى غـير الغسـل بالماء، ولمزيد من الإيضاح أطرح الملاحظات التالية:

أ) إنه من حق المرء أن يوافق أو يختلف مع مبادئ الآخرين ولكن لا يوجد أي مبرر لأن يقوم أحدهم بتشويه مبادئ الغير عمداً كي يتوصل إلى البرهنة على نظرياته، خاصة أنّ تشويه الكتب المقدسة والتلاعب بها لإثبات معتقد ما أو نظرية معينة ليس سوى عملاً إجرامياً لأن الضرر الذي يسببه طويل الأمد ويستحيل إصلاحه، والآن فإن الأناجيل قد وصفت لنا معمودية كل من يحيى وعيسى بوضوح والعجيب أنها منافية تماماً لمعمودية الكنائس.

ليس معروفاً على وجه التأكيد[١][٢] الأصل العبري أو الآرامي لكلمة Baptismos اليونانية، علماً أن نسخة (البشيتا) الآرامية تستخدم كلمة (معموديثا) من الفعل (عِمَد) و(عَمَد) الذي يعني الوقوف كالعمود، وفي صيغة الفعل الذي يتعدّى إلى مفعول به (عامَدَ) يكون المعنى: (يَنصِب، يقيم، يُؤسس أو يثبت) كل ذلك مما ليس فيه أية دلالة على التغطيس أو الرش أو الاستحمام في حين أنّ الأفعال العبرية: (رحصْ) بمعنى يستحم (وتُفل) بمعنى يغمس أو يغطس قد تعطي معنى الكلمة اليونانية Baptismos رغم أن الفعل (عَمَد) في جميع اللغات السامية بما فيها العربية يعني (الوقوف منتصباً كالعمود) ولا يحوي معنى الغسل أو الغطس، ولذلك فإن كلمة (معمودية) لا يمكن أن تكون هي الكلمة الآرامية الأصلية التي تُرجمت إلى Baptismos اليونانية، كما أنه لا داعي لإيضاح أن كلاً من يحيى وعيسى لم يسمعا قط كلمة Baptismos بصيغتها اليونانية وفي نفس الوقت فإنهما لم يستعملا كلمة (تعميد) لأنها لا تؤدي المعنى.

ب) إن الدلالة الكلاسيكية لكلمة Baptismos اليونانية تحمل معنى (صبغة وتلوين وتغطيس) وأن الكلمة المقابلة بالآرامية لا يمكن أن تكون سوى (صَبَأي) وبالعربية (صَبَغ)

ومن الحقائق المعروفة جيداً أن الصابئين ــ أو الصابغين ــ كانوا من أتباع يحيى وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم وعند آباء الكنيسة النصرانية القدامى –مثل إبيفانوس وسواه– وبحسب ما ورد في الفصل السادس من كتاب "حياة المسيح" لمؤلفه الشهير (إرنست رينان) فإنّ اسم الصابئين يعني المعمدانيين الذينَ مارسوا المعمودية وكانوا يعيشون حياة تقشف وزهد كالهسائيين Essenians أو Al-Chassaites والأبيونيين Ebionites وإذا ما تذكرنا أن مؤسس جماعتهم (بوداسب Budasp) كان أحد حكماء الكلدان فإن التهجئة الصحيحة لاسمهم تكون (صباغي) بمعنى الصبّاغين ـ أي المعمدانيين ـ وكان مار شمعون وهو من رجال الدين الكلدان –الآشوريين المشهورين في القرن الرابع يدعى "بارصباغي" ــ أي ابن الصبّاغين ــ ويحتمل أن أسرته كانت تنتمي إلى الصابئة، وفي القرآن الكريم ورد اسم (الصابئين) كما هو في الآرامية الأصلية أي مع همزة بدل الغين لأن القرآن يورد جميع الأسماء الأجنبية على الشكل الذي كان يلفظه العرب، وهناك بعض التفسيرات الأخرى لكلمة (صابئي) فمثلاً يفترض البعض أنها مشتقة من (صابئ بن شيت) ومع أنه لم يكن لدى الصابئة أية أمور مشتركة مع الكنائس النصرانية سوى معموديتهم التي كانوا يسمونها (السبعوثا) إلا أنهم كانوا يُدعون خطأ: نصارى يحيى المعمدان.

لقد كانت هنالك ثلاث صيغ للمعمودية: واحدة لليهود والثانية للصابئة والثالثة للنصارى، أما المعمودية اليهودية التي لم يكن لها أصل في كتب اليهود المقدسة فقد اختُرعت بشكل رئيسي من أجل المعتنقين الجدد لليهودية وكان الكاهن اليهودي يعمد الذي يحوله إلى الدين اليهودي باسم الله، أما الصابئة فكانوا يعمدون باسم الله ويحيى، ولكن القسيس كان يعمد

باسم: الأب والابن والروح القدس ولا يذكر اسم الله وعيسى صراحة، ومن ذلك يظهر التباين بوضوح بين الأنظمة المعمدانية الثلاثة، فاليهودي كموحّد حقيقي لم يكن ليحتمل اقتران اسم يحيى مع اسم (الإلوهيم) أما الصيغة النصرانية فكانت منافية لعقيدة اليهود والصابئة معاً، إن هذه الأشكال المختلفة للمعمودية لم تكن سوى عملية رمزية للتطهير وقد استعملت الماء كمادة لمعموديتها وبأسلوب متشابه وقد أطلق كل من الأديان الثلاثة عليها اسماً مختلفاً عن الآخر، فالصابئة استخدموا كلمة (سبعوثا) الآرامية التي تعني Baptismos اليونانية، ويحتمل أن النصارى من الساميين اتخذوا اسم (معموديثا) الذي لا توجد له أدنى علاقة من ناحية لغوية مع الغسل أو التغطيس أو التطهير لمجرد تمييز معموديتهم عن معمودية الصابئة، وهكذا حلت كلمة معموديثا محل (سبعوثا)، والملاحظ أن ترجمة (البشيتا) الآرامية استخدمت كلمة معموديثا بمعنى بركة أو حوض الغسل (يوحنا ٢/٥) وهناك تفسير آخر قد يؤدي إلى حل المشكلة وهو أن يحيى وأتباعه وعيسى وتلاميذه كانوا يجعلون التائب أو المعتنق الجديد للدين يقف في النهر مستقيماً كالعمود أثناء غسله ومن هنا جاء لفظ (عَمّد) و(معموديثا).

جـ) لقد لعن (مجمع ترنت Gouncil of Trent) كل شخص يقول أن المعمودية النصرانية تشابه معمودية يحيى، وأتجرأ فأقول إن المعمودية النصرانية ليست خالية من الأثر الروحي وحسب بل هي أيضاً دون مستوى معمودية يحيى، وإن مزاعم النصارى عن المعمودية أنها تطهر الروح من الخطيئة الأصلية هو ضرب من الدجل والشعوذة، فالمعمودية بالماء كانت مجرد رمز للمعمودية بالروح القدس والنار وبعد قيام الإسلام كمملكة الله الرسمية لم يعد لوجودها أي مبرر إذ حلت محلها معمودية الله أي صبغة الله.

د) من العبارات المتناثرة في الأناجيل عن التعميد لا يمكننا التوصل إلى تعريف محدد عن طبيعته وماهيته كما مارسه يحيى وعيسى، وإن الادعاء أن الكنيسة هي مستودع الإلهام الإلهي وأنها القادرة على تفسيره هو ادعاء سخيف وعديم المعنى وشبيه بالادعاء أن الطفل أو الشخص البالغ المعمّد يصبح ابناً لله.

ولقد اتضح لنا أن الكلمة اليونانية Baptismos هي المرادف الدقيق لكلمة (سبعوثا) الآرامية أي أن المعمودية ليست مجرد غسيل أو تغطيس أو حمام ولكنها (سبعوثا) أي صبغ وتلوين، وكما يُعطي (الصباغ) لوناً جديداً للثوب بغمسه في غلاية الصبغ فإن يحيى المعمدان كان يعطي التائب أو المعتنق الجديد للدين لوناً روحياً جديداً، وهكذا تكون كلمة (صبغة) في القرآن (سورة البقرة الآية ١٣٨) قد كشفت الغموض عن نبوءة يحيى كما أثبتت أن القرآن تنزيل مباشر من الله وأن الرسول الذي أنزل إليه القرآن هو الذي تنبأ عنه يحيى.

لقد كانت معمودية يحيى وعيسى رمزاً لدخول التائبين في المجتمع الذي تعهد بالولاء لرسول الله الذي تنبأ كل من يحيى وعيسى بقدومه، وكما كان الختان علامة على دين إبراهيم ومن تبعه كذلك كانت المعمودية (السبعوثا) علامة على دين يحيى وعيسى، وكان ذلك تمهيداً لكي يتوقع الجميع قدوم النبي الموعود ويدخلوا دين الإسلام.

هـ) حسب شهادة القديس مرقص (٤/١ – ٨) فإن معمودية يحيى كانت تمحو الخطايا إذ يذكر مرقص أن سكان يهودا والقدس ذهبوا إلى يحيى فعمدهم في نهر الأردن وهم يعترفون بخطاياهم أي أن المعمودية محت خطاياهم، ومن المسلّم به عموماً أن إنجيل مرقص هو أقدم

الأناجيل الأربعة، ومن المعروف أيضاً أنّ العبارات الاثنتي عشرة الأخيرة التي أضيفت إلى الفصل السادس عشر من هذا الإنجيل (مرقص ٩/١٦ – ٢٠) لم تكن موجودة في أي من المخطوطات اليونانية القديمة وحتى في هذه العبارات المضافة لم ترد عبارة (باسم الرب والابن والروح القدس) إذا يقول عيسى ببساطة: (اذهبوا وعظوا العالم بإنجيلي، فمن يؤمن ويعمد ينجو، ومن لا يؤمن سوف يُلعن) (مرقص ١٥/١٦ – ١٦).

وبما أنّ معمودية عيسى كانت نفس معمودية يحيى وطالما أن معمودية يحيى كانت كافية لغفران الخطايا فلا معنى للقول بأن حَمَل الله يتحمل خطايا العالم (يوحنا ٢٩/١)، وإذا كانت مياه الأردن فعالة لدرجة شفاء "نعمان" من الجذام بواسطة دعاء النبي إليجا (سفر الملوك الثاني/٥)، ولدرجة غفران خطايا الجماهير الكثيرة نتيجة تعميدها فلا مبرر لسفك دم (إله) لأجل نفس الغرض.

وقد ظل أتباع عيسى يمارسون معمدانية يحيى حتى ظهور القديس بولس على مسرح الأحداث، والمعروف أن بولس كان فريسياً من أتباع الطائفة اليهودية المعروفة بالفريسيين – وهم مثل السدوقيين– قد ندّد بهم كل من يحيى وعيسى وسمياهم (أبناء الأفاعي)، والملاحظ أيضا أن مؤلف الكتاب الخامس في العهد الجديد المسمى (أعمال الرسل) كان من رفاق بولس وهو يدّعي أن الذين تعمّدوا على يد يحيى لم يتلقوا الروح القدس ولذلك تم إعادة تعميدهم ثم ملئهم بالروح القدس (أعمال الرسل ١٦/٨ – ١٧، ٢/١٩ – ٧) ليس عن طريق التعميد باسم عيسى ولكن بواسطة (وضع الأيدي)! وقد ذكر بوضوح أن معموديتي عيسى ويحيى كانتا متماثلتين في طبيعتهما وفعاليتهما وأنّ التعميد لم ينتج عنه نزول الروح القدس على الشخص

الذي جرى تعميده سواء من قبل عيسى أو يحيى أو باسم أي منهما، ولكن بوضع أيدي الحواريين على الشخص المعمّد فإنّ الروح القدس يمس قلبه فيملأه بالإيمان ومحبة الله، وحتى لو كان ذلك صحيحاً فإن هذه الهبة الإلهية يحتمل أن تكون أعطيت للحواريين فقط ولا يمكن لخلفائهم المزعومين في الكنيسة أن يدّعوها.

و) وإذا كانت الأناجيل في حديثها عن المعمودية تعني أي شيء فإنها تعطي الانطباع أنه لم يكن هنالك فرق بين المعموديتين سوى أنهما كانتا تُمارسان باسم يحيى أو عيسى، ولكن الفريسي الكبير بولس (شاؤول) لم يذكر كلمة واحدة عن يحيى المعمدان الذي وصم طائفة الفريسيين بالوصف الكريه (أبناء الأفاعي) ونلاحظ لمسة من الحقد ضد يحيى ومعموديته في الملاحظات التي أبداها لوقا في (أعمال الرسل) لأن لوقا كان تلميذا ومرافقا لبولس، غير أن إقرار لوقا أنّ المعمودية باسم عيسى لم يكن لها علاقة بالروح القدس يعتبر دليلا حاسما ضدّ الكنيسة التي حولت التعميد اعتباطاً إلى ألغاز وطقوس سرية، إن معمودية عيسى كانت استمراراً لمعمودية يحيى ليس غير، أما المعمودية بالروح القدس وبالنار فقد اختص بها الإسلام، وأن ما كتبه لوقا في أعمال الرسل عن اثني عشر شخصاً من السامرة لم يتلق الروح القدس لأنهم عُمّدوا فقط باسم عيسى (أعمال الرسل ٨/١٦ -١٧) دليل حاسم على بطلان مزاعم الكنيسة.

الفصل السادس عشر

﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾ أو المعمودية (بالروح القدس وبالنار)

كثيراً ما كنت أعجب من الصابئة الذين انتشر مذهبهم في شبه جزيرة العرب وما بين النهرين، كيف أنهم لم يعتنقوا النصرانية إذ المفروض أنّ يحيى أعلن على الملأ أن عيسى كان النبي الأقوى منه وأن عيسى كان المسيح الذي لم يصل يحيى إلى درجة تسمح له بحل رباط حذائه؟ (متى ٣/١١).

فلو كان عيسى هو رسول الله الذي تنبأ به يحيى والذي جاء ليعمد بالروح والنار في الوقت الذي كان عيسى يعمّد الجموع بماء الأردن لو كان ذلك صحيحاً لكان التساؤل: لماذا لم يعمّد بالروح والنار، ولماذا لم يتغلب علىالوثنية في الأراضي التي وعدها الله لسلالة إبراهيم ثم يؤسس مملكة الله بالقوة وبالنار؟ وكيف يمكن تفسير أن أتباع يحيى لم يتبعوا عيسى مع أن المفروض أن يحيى قدم عيسى للجمهور على أنه سيده والأعلى منه مرتبة، وقد يُعفى أتباع يحيى من الدخول في النصرانية فيما لو جاء عيسى المسيح بعد قرن مثلاً من مجيء يحيى، ولكن الأمر لم يكن هكذا فقد عاصرا بعضهما البعض حتى أنهما ولدا في نفس العام وتعمدا بالماء وبشرا أتباعهما بمملكة الله الوشيكة والتي لم تظهر في عهدهما.

لقد كان الصابئة - أو الصبّاغون أو المعمدانيون - أتباع يحيى المخلصين ومن المحتمل أنهم وقعوا ضحية الخطأ والأساطير ولكنهم كانوا يعلمون تماماً أن عيسى لم يكن الشخص

المقصود بنبوءة يحيي وهكذا فقد دخلوا الإسلام عندما جاء محمد، أما أهل حران في سوريا فلم يكونوا من بقايا الصابئة كما يظن البعض، ولكن بما أن المسلمين تسامحوا مع ثلاثة أديان وهي اليهودية والنصرانية والصابئة فقد ادعى الحرانيون أنهم من بقايا الصابئة ولذلك سمح لهم العثمانيون ممارسة دينهم الغريب دون مضايقة.

يختلف المفهوم الإسلامي واليهودي للروح القدس جذرياً عن المفهوم النصراني، فالروح القدس ليس شخصاً مؤلهاً في إله ثلاثي، والاعتقاد النصرني أن الروح القدس أي ثالث الثالوث ينزل من عرشه السماوي رهن إشارة قسيس من أجل تقديس بعض العناصر وتغيير جوهرها وخصائصها إلى عناصر أخرى فوق الطبيعة كتغيير ماء المعمودية إلى دم إله مصلوب ومحو ما يسمى بالخطئية الأصلية أو تحويل العناصر المادية للقربان المقدس إلى دم وجسد إله، إن ذلك مناف لعقيدة كل موحد يهودياً كان أو مسلماً، كما أن هذه الاعتقادات معاكسة تماماً لتعاليم العهد القديم وهي تزوير للعقيدة الحقيقية ليحيي وعيسى، فالاعتقاد بأن بعض القسس يستطيعون تعويذ الأفراد بحيث يحل فيهم الروح القدس ولكنه لا يضمن عصمتهم خال من أي معنى، وفي سفر أعمال الرسل يقال لنا إن حنانيا وزوجته سفيرة عُمّدا وبالتالي امتلئا بالروح القدس ـ الشخص الإلهي الثالث ـ الذي ألهمهما أن يبيعا حقلهما ويضعا ثمنه من النقود تحت قدمي الحواري بطرس ولكن الشيطان أغراهما بالاحتفاظ بجزء من النقود فكانت النتيجة أن أصابهما الموت المفاجئ (سفر أعمال الرسل ٥/١ –١١)، فكيف يمكن لـ "ثالث الآلهة" أن ينزل على البشر ويقدسهم ثم يسمح لهم بعدئذ بالخطأ والكفر والزندقة ويتركهم يقترفوا الحروب والمذابح؟ هل يستطيع الشيطان إغراء الإنسان المملوء بالروح

القدس فعلاً فيحوله إلى شيطان؟ إن القرآن الكريم واضح جداً في هذه النقطة إذ يقول الله تعالى مخاطباً الشيطان: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ (سورة الحجر، الآية: ٤٢).

إن الشخص المستقيم يكافح ضد الخطيئة وضد الشر ما دام في هذا العالم المادي وإذا ما وقع في الزلل ينهض ثانية لأن الندم والتوبة هي من عمل الروح الطيبة التي تعيش فينا، أما الكنائس فتقول إنه إذا عُمّد نصراني بالروح القدس والنار وفق المعنى الذي يتضمنه سفر أعمال الرسل وسواء كان المعمّد لاتينياً أو يونانياً أو حبشياً أو غير ذلك فإنه يصبح ليس فقط قديساً طاهراً بل أيضاً عالم لغات ونبياً موهوباً.

والحقيقة أنه ليس لدى النصارى مفهوم محدد أو دقيق عن الروح القدس المفترض أن يملأ النصراني المعمّد، فلو كان الروح القدس ثالث الآلهة الذي يحلّ في الشخص ـ كما يقولون ـ لما تجرأ الشيطان على الاقتراب من هذا الشخص المقدس أو شبه المؤلّه وإغرائه وغوايته، وأكثر من ذلك: كيف يمكن للشيطان أن يطرد الروح القدس ويحل في قلب المعمّد فيحوله إلى مجرم وزنديق، ولو كان الروح القدس يعني جبريل أو ملاكاً آخر، فإن الكنائس تمعن في الخرافات لأن الملاك ليس دائم الحضور في كل مكان، ولو كانت هذه الروح التي تطهر النصارى المعمّدين وتملؤهم هي الله نفسه كما هو اعتقادهم في الشخص الثالث من الثالوث فمن حق جميع النصارى أن يدعوا أنهم مقدسون أومؤلهون.

وهنالك أيضاً مفهوم البروتستانت عن الروح القدس الذي يملأ قلوب الذين يعتقدون أنهم ولدوا من جديد، ثم يتدهور الكثير منهم بعد ذلك ويعودون كما كانوا من قبل.

والواقع أن الروح القدس مع (الـ) التعريف تعني شخصية ملائكية معينة قد تكون جبريل أو غيره من الأرواح النقية التي أوكل لهـا أداء عمل معين، وإن نزول الروح القدس علـى كائن بشري معناه أنه يلقي إليه الوحي بأمر من الله فيكون بذلك نبياً يستحيل على الشيطان أن يغويه.

إن التعميد ـ الصبغ ـ بالروح القدس والنار الذي جاء به محمد، قد فسّره لنا الوحي الإلهـي في الآية التالية:﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٣٨).

وقد فهم المفسرون المسلمون وهم محقون في ذلك، كلمة صبغة ـ ليس بمعناهـا الحرفـي ـ ولكن بمعناها الروحـي أو المجـازي وهو(الدين) وهـذه الآيـة القرآنيـة تنسخ وتبطـل أديـان (السبعوثا) و(المعموديثا) أي أديان الصابئة والنصارى معاً، إن **﴿صبغة الله﴾** هـي معموديـة دين الله ليس بالماء ولكن بالروح القدس والنار، وإن الدين الذي آمن به كل مسلم وقت البعثـة الإسلامية هو نفس الدين بكافة تفاصيله الذي يعتنقه اليوم كل مسلم، فـي حين لا يمكننـا أن نقول الشيء نفسه عن النصرانيـة، لقد انعقد حتـى الآن أكثر مـن ستة عشـر مجمعـا كنسـيا مسكونيا بغرض تحديد وتعريف الديانة المسيحية وفـي النهاية يكتشف مجمع الفاتيكـان عـام ١٨٥٤م أن السيدة العذراء قد حملت بلا خطيئة ويكتشـف أيضـا فـي العـام ١٨٧٠م أنّ البابـا معصوم عن الخطأ، كل ذلك مما لم يكن معروفا للحواري بطرس ولا للسيدة مريم العذراء!

إن أي دين يعتمد على مداولات وقرارت المجامع - المقدسة أو غير المقدسة - هو دين من صنع البشر.

ونعود إلى موضوع المعمودية: إن المعمودية الروحية ليست سوى الهداية الإلهية، فكما يصبغ الصباغ الصوف أو القطن بصبغة تعطيه لونا جديدا وكما يمحو المعمدان الخطايا السابقة للمؤمن الحقيقي التائب فإن الله تعالى لا يصبغ الجسد بل يصبغ روح الشخص الذي الذي يتولاه برحمته فيهديه إلى الإسلام.

تلك هي صبغة الله - معمودية الله - التي تجعل المسلمين الحقيقيين جادين ومواظبين على واجباتهم تجاه الله وتجاه رفاقهم من البشر وتجاه أسرهم دون أن يدفعهم ذلك إلى حماقة الاعتقاد بأنهم أفضل من معتنقي الديانات الأخرى ليستأثروا عليهم أو يتخذوا لأنفسهم مركز السيادة على الآخرين، فالتعصب والغرور الديني ليسا من صفات الإسلام كما أن المسلم ليس بحاجة إلى وساطة من رجل دين فكل مؤمن متعلم يمكن أن يصبح إماما أو داعية أو واعظا بحسب تعليمه وحماسه الديني، وباختصار فإن كل مسلم سواء ولد على الإسلام أو اعتنقه بعد ذلك يطهر روحيا ويصبح مواطنا في مملكة الله.

لقد نسب يحيى هذه المعمودية بالروح والنار لرسول الله العظيم ليس باعتباره كائناً إلهياً أو إلهاً أو ابن إله ولكن باعتباره رسولا من الله وسيلة عن طريقها يتم الصبغ الإلهي، لقد بلّغ محمد رسالة الله وكان يؤم الصلوات ويؤدي الشعائر الدينية ويخوض الحروب ضد الكفرة الوثنيين للدفاع عن الإسلام ولكن النجاح والنصر اللذين تحققا كانا من عند الله، وبنفس الطريقة وعظ يحيى الناس وعمدهم ولكن قبول التوبة والكفارة وغفران الخطايا لم تكن من

عنده ولكن من عند الله، وإن نبوءة يحيى (إن الذي يأتي بعدي أقوى مني وسوف يعمدكم بالروح وبالنار) (متّى ٣/١١) قد تحققت ونفذت على يد محمد فقط.

ومن الواضح أن شكل ومضمون هذه المعمودية غير حسّي؛ لأنه متعلق بأمور الغيب فنحن نشعر بالآثار المترتبة على مسبب حقيقي لكنه غير ملموس فالماء لم يعد هو المادة الظاهرية المسببة كما أنه لم يعد هنالك حاجة إلى معمدان ولكن الله هو الذي يهدي من يشاء الهداية، وحسب نبوءة يحيى فإن وسائل (صبغة الله) هي الروح القدس والنار أما طريقة الصبغ فهي خاصة بالله وحده ولا نستطيع أن نعزو إليه تعالى عملاً ما سوى قوله للشيء (كن فيكون) ولكننا نستطيع أن ندرس النتائج المترتبة على صبغة الله:

١- إن الروح القدس سواء كان جبريل أو غيره من المخلوقات العليا يبارك روح المسلم عند مولده أو عند دخوله الإسلام وهذه المباركة تعني:

أ) تثبيت الإيمان بإله حقيقي واحد: إن صبغة الله تجعل روح المسلم تؤمن بوحدانية الله المطلقة وتعتمد على الله وتعترف به وحده كسيد ومالك ورب.

ب) صبغة الله تطبع روح المسلم بالحب والخضوع لله وحده، إن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به شيئا أو كائنا ما كان من الكائنات، وحب المسلم لله ليس نظريا أو مثاليا بل واقعيّ يترجم إلى أعمال.

ج) الاستسلام الكامل لمشيئة الله النابع من الإيمان والمحبة والتقوى.

٢- إن المعرفة الحقيقية بالله وبمشيئته بالقدر الذي يمكن للبشر أن يحيطوا بها لا تشاهد إلا عند المسلمين.

إن جوهر الذات الإلهية أمر لا يمكن الإحاطة به ولكن كما أن الرضيع يعجز عن فهم طبيعة والديه وشخصيتهما فإنه مع ذلك يعرف أمه من بين جميع النساء الأخريات وهذا التشبيه دون الحقيقة بكثير، إن كل مسلم يرى في كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة آية تدل على الخالق، فالله حاضر في ذهنه دائما وشهادة أن لا إله إلاّ الله هي إنكار أبدي لأي معبود آخر غير الله واحتجاج أبدي ضد الذين يشركون بالله شيئا أو أشياء، وإقرار وشهادة أن الله وحده هو المستحق للعبادة دون غيره.

٣- إن المعمودية بالنار هي صبغة الله التي تحصّن المسلم ضد الباطل وضد الخرافات وضد الوثنية من كافة الأنواع، وهي التي تذيب نفس المسلم وروحه كي تفصل عنصرها الذهبي الخالص عن الشوائب، وهي قوة الله التي توطّد العلاقة بين العبد وخالقه وتعدّه لنشر رسالته.

الفصل السابع عشر

البرقليط ليس الروح القدس

نناقش الآن "البرقليط" الذي ورد في الإنجيل الرابع (يوحنا ١٤/٦ ، ٢٦/١٤ ، ٢٦/١٥، ٧/١٦) (١يوحنا ١/٢)، لقد أعلن عيسى المسيح - كما أعلن يحيى - قدوم مملكة الله ودعا الناس إلى التوبة وعمّدهم لتكفير الخطايا وبلّغ الرسالة إلى بني إسرائيل ولم يكن هو مؤسساً لمملكة الله ولكنه كان مبشرا بها وقد بلّغ قومه الإنجيل الذي يعني الأخبار السارة فيما يتعلق بمملكة الله والبرقليطوس Periqlytos ليس عن طريق الكتابة ولكن شفاهة بالمواعظ العامة التي انتشرت بين الناس خلال وجوده على الأرض، ثم بعد ذلك صارت التعاليم والأقوال المنسوبة إليه تنتقل بواسطة الكتابة، وتحول عيسى في هذه الكتابات من السيد والمعلم حتى صار الكلمة الإلهية ثم ابن إله، وتحول من سلف البرقليطوس إلى سيده ورئيسه.

وهكذا أخذت كلماته النقية الصادقة تتشوه وتختلط تدريجياً بالأساطير والخرافات وكانو يتوقعون منه أن ينزل في أية لحظة من السحاب مصطحبا معه جيوشا من الملائكة لتحقيق مملكة الله على الأرض، وبالطبع فإن شيئاً من ذلك لم يحدث ثم توفي الحواريون وتأخر المجيء الثاني الذي كانوا يتوقعونه لعيسى، فنشأت عن شخصه وتعاليمه آراء دينية فلسفية جديدة وظهرت الملل والنحل والأناجيل المتعددة والرسائل، وتخاصم المدافعون عن النصرانية وانتقدوا نظريات بعضهم بعضا، ولو كان هناك إنجيل مكتوب أثناء وجود عيسى أو حتى كتاب مُجاز من قبل مجموعة الحواريين بعده لكانت رسالة المسيح قد احتفظت بنقاوتها وصحتها بعده

حتى ظهور البرقليطوس ـ أحمد ـ ولكن الأمر كان على النقيض من ذلك إذ تفرق الكتّاب والحواريون بعد المسيح واتخذ كل منهم منهجا خاصا به فيما يتعلق بعيسى ورسالته ووصفه كل منهم في كتابه الخاص الذي سماه "الإنجيل gospel" أو "الرسالة epistle" وفق أفكاره الخاصة وتصوراته، حتى أننا نلاحظ الخيال البعيد في الإنجيل الرابع حول ما تعنيه "الكلمة" والنبوءة عن "البرقليط" والحديث الغامض المنسوب إلى عيسى عن "لحمه ودمه" وسلسلة من المعجزات والأحداث والأقوال مما لم يكن مسجلا ولا معروفا لدى كُتّاب الأناجيل الأخرى، ناهيك أن ذلك لم يكن معروفا لدى الغالبية العظمى من النصارى الذين لم يروا الإنجيل الرابع في حياتهم ولم يقرؤوه لنحو قرنين من الزمن بعد المسيح.

والإنجيل الرابع مثل بقية الكتب والأسفار في العهد الجديد كُتب باليونانية وليس بالآرامية التي كانت اللغة الأم للمسيح والحواريين معا وبالتالي فإننا نجابه مشكلة كالتي واجهتنا عند البحث في كلمة "يودوكيا Eudokia" الخاصة بـ "لوقا" وهي تتلخص في السؤال التالي: ما هي الكلمة الحرفية التي استخدمها المسيح بلغته الأصلية والتي نقلها الإنجيل الرابع بلفظ "البرقليط" ثم تُرجمت خطأ إلى "المعزّي" في جميع تراجم ذلك الإنجيل؟

وقبل مناقشة اشتقاق كلمة "البرقليط" المحرّفة من الضروري إلقاء بعض الضوء على أحد الملامح الخاصة بإنجيل يوحنا ـ الإنجيل الرابع ـ، إن مناقشة تأليف وصحة هذا الإنجيل هي من المسائل التي تخص علوم نقد الكتاب المقدس، غير أنه يستحيل التصديق أن الحواري يوحنا كتب هذا الإنجيل كما هو موجود بين أيدينا اليوم من حيث شكله ومحتواه، فالمؤلف سواء كان

يوحنا بن زبدي أو غيره يبدو ملمّاً بتعاليم الفيلسوف اليهودي "فيلون Philon" فيما يتعلق ب "الكلمة Logos".

ومن المعروف أن فتح الإسكندر الكبير لفلسطين وتأسيسه الإسكندرية (٣٣٢ ق.م.) بدأ عصراً جديداً في الثقافة والحضارة إذ بدأ تلاميذ النبي موسى يجتمعون مع تلاميذ الفيلسوف اليوناني إبيقور Epicurus ونتج عن احتكاكهم التفاعل الهائل بين التعاليم الروحية التوراتية وبين المادية الوثنية اليونانية، وأصبحت الفلسفة اليونانية موضع إعجاب ودراسة كبار علماء الشريعة اليهودية في فلسطين ومصر مما أصاب أحبار اليهود بالهلع، فاللغة العبرية أصبحت مهملة لدرجة أن كتب العهد القديم صارت تُقرأ بالترجمة السبعينية - اليونانية - مما جعل أحبار اليهود يعيدون دراسة شريعتهم بغرض الدفاع عنها ضد الروح الجديدة الغازية كما حاولوا أن يجدوا طريقة جديدة لتفسير العهد القديم تحقق التقارب وتوفّق بين الشريعة اليهودية وبين الفكر الهلنستي اليوناني لأن أسلوبهم في التفسير الحرفي للشريعة صار يعتبر جامدا ولم يصمد أمام المنطق الجذاب لأفلاطون وأرسطو، غير أن نشاط اليهود وتعصبهم أثار ضدهم حسد وكراهية اليونان وقد تجلى ذلك مثلا في كتابات الراهب المصري "مانيثو Manetho" وافتراءاته ضد اليهودية في زمن الإسكندر الكبير، ثم تجددت تلك الافتراءات وزادت حدتها من قبل الخطيب الشهير "أبيون Epion" في زمن الإمبراطور "طيباريوس Tibaruis"، وهكذا سممت الخطابات والكتابات عقول الناس مما سبب فيما بعد الاضطهاد الوحشي لكل من آمن بإله واحد حق.

وكانت الطريقة الجديدة التي ابتكرها اليهود في تفسير كتبهم مجازية اشتملت على أفكار ورموز سرية سرعان ما تحولت إلى فلسفة يهودية جديدة ادّعت لنفسها مكانة العهد القديم،

وكان أبرز رجل جسّد هذه الفلسفة الجديدة هو "فيلون Philon" الذي ولد من أسرة يهودية ثرية في الإسكندرية سنة ٢٥ ق.م. وقد كتب مؤلفاته المجازية بأسلوب يوناني أنيق وكان ضليعا بفلسفة أفلاطون كما كان يؤمن أن تعاليم الوحي تتفق مع اسمى أنواع المعرفة والحكمة البشرية، وكان أكثر ما يشغل فكره موضوع التعامل الإلهي مع البشر والكائنات الأرضية، وعلى غرار نظرة "الأفكار" لأفلاطون اخترع فيلون سلسلة من الأفكار الوسيطة سماها "الفيض الإلهي" واعتبرها حلقات تصل بين الله والعالم وجعل العنصر الأساسي في هذه الأفكار "الكلمة Logos" التي تشكل حسب رأيه الحكمة العليا المخلوقة في الكون وهي اسمى تعبير عن عمل العناية الإلهية.

وهكذا نشأت المدرسة الإسكندرانية نتيجة انتصار اليهودية على الوثنية اليونانية ولكن كما يقول كبير الأحبار "بول هاجناور" في كتابه الممتع "دليل الأدب اليهودي" ـــ Manuel de Litterature Juive , Nancy 1927 ـــ بالصفحة ٢٤: (لقد انبثق عنها فيما بعد أنظمة مؤذية لليهودية) وفي الواقع أنها مؤذية وهدامة لليهودية والنصرانية معاً.

وهكذا نرى أن أصل نظرية الكلمة Logos يعود إلى فلسفة فيلون، ثم بعده بحوالي قرنين من الزمن قام الحواري يوحنا ـ أو مؤلف الإنجيل الرابع كائنا من كان ــ بتأكيد فلسفة فيلون التي انبثقت في الأصل من الفكر العبقري لأفلاطون.

وكما لاحظنا في الفصل الأول من هذه الحلقات فإن "الكلمة الإلهية" معناها "كلمة الله" وليس "الله الكلمة"، لأن الكلمة هي صفة المتكلم ولا شك أنها ليست المتكلم نفسه، والكلمة الإلهية ليست خالدة فقد كان لها بداية وهي قطعا ليست الأصل، فلو صحّ لنا أن نقول "الله الكلمة" فلماذا

لا ندّعي أيضا أن "الله الرحمة" وأن "الله المحبة" وأن "الله الانتقام" إلى آخر ذلك من جعل الصفات هي الله نفسه؟! إنني أستطيع أن أفهم لقب المسيح بأنه "روح الله" ولقب موسى "كلمة الله" ولقب محمد "رسول الله" ولكنني قطعا لا أفهم ولا أقبل أن الروح أو الكلمة أو الرسول هو شخص مؤلّه ذو صفات إلهية وبشرية معاً.

والآن سوف نكتشف الخطأ المسيحي حول "البرقليط" وسوف أبرهن أن البرقليط ليس الروح القدس كما تعتقد الكنائس المسيحية، وأن كلمة "البرقليط" لا تعني المعزي أو الشفيع، ثم في الفصل التالي سوف أبين أن المعنى الحقيقي لها هو (أحمد) بمعنى أكثر حمدا وأكثر جدارة بالثناء، وتُكتب Periqlite وليس برقليط Paraclete.

١- الروح القدس المذكور في العهد الجديد ليس شخصاً قائماً بذاته:

عندما ندرس العبارات التي وردت في العهد الجديد عن الروح القدس يتبين أنه ليس الشخص الثالث في الثالوث، ناهيك أنه ليس شخصا قائما بذاته في حين أن البرقليطوس الذي تنبأ به عيسى هو شخص قائم بذاته، وهذ نقطة أساسية جداً لأنها تنفي بصورة نهائية فرضية الكنيسة بأن البرقليطوس هو الروح القدس.

أ) ورد في إنجيل لوقا على لسان عيسى أن الروح القدس (هبة) من الله، وعلى سبيل المقارنة يذكر أنه حتى الآباء الأشرار يعطون أولادهم هبات طيبة فبالأحرى أن الله تعالى يعطي الروح القدس لمن يسأله ذلك من المؤمنين، وهذ المقارنة تستبعد بصورة نهائية وجود أي شخصية للروح، إذ هل يعقل أن المسيح كان يقصد إفهام سامعيه أن (الله الأب) يقدم (الله الروح القدس) هبة (لأبنائه) في الأرض؟ فهل قال عيسى أو لمح قط بأن الشخص الثالث في

الثالوث هو هبة للشخص الأول؟ وهل كان ممكنا أن يؤمن الحواريون أن هذه الهبة كانت هي الله تعالى نفسه الذي قدمه الله تعالى للبشر؟ إن مجرد التفكير بذلك يسبب الرجفة لدى المسلم.

ب) يصف سفر الكورنثيين الأول (٢/١١-١٢) الروح القدس بصيغة المحايد (الروح من الله) فهو ليس مؤنثا ولا مذكرا، ويذكر بولس بوضوح ما يلي: (حيث إن روح المرء هي التي تمكنه من معرفة ذاته كذلك فإن روح الله تمكن المرء من معرفة الأمور الإلهية) وهكذا فإن الروح القدس ليس إلها ولكنه وسيلة ينزّل الله بواسطتها العلم والنور والإلهام على من يشاء من عباده أي هو مجرد تأثير من الله على نفس الإنسان وعقله. لقد حدد بولس في هذه العبارة أن الروح الإنسانية لا يمكن أن تدرك كنه الحقائق الإلهية إلا بواسطة روح الله أي بواسطة الإلهام والتوجيه الإلهي.

ج) مرة أخرى في سفر الكورنثيين الأول (٦/١٩) يقول بولس: (ألا تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم والذي تلقيتموه من الله) وهذا دليل آخر على أن الروح القدس ليس شخصا ولا ملاكا ولكن كلمة الله وسلطته ودينه فهو يقارن جسد الإنسان التقي وروحه بالمعبد المخصص لعبادة الله تعالى.

د) في رسالة بولس إلى رومية (٨/٩) يطلق على هذه الروح التي "تعيش" داخل المؤمن اسم "روح الله" وأحيانا "روح المسيح" مما يعني ببساطة العقيدة ودين الله الصحيح الذي أعلنه عيسى المسيح، ومن المؤكد أن هذه الروح لا يمكن أن تعني الفكرة المسيحية للروح القدس أي (ثالث الثلاثة) ومثال ذلك قول المسلمين إنهم يحاولون تنظيم حياتهم وفق "روح محمد" بمعنى الإخلاص لدين الله بنفس الطريقة التي كان عليها خاتم الأنبياء والرسل؛ لأن الروح الطاهرة

في محمد وفي عيسى وفي كل نبي من الأنبياء ليست سوى روح من الله تبارك وتعالى وهي على النقيض من الروح القدس التي يتصورونها فهي ليست إلها ولا شخصا مقدسا وإنما نور إلهي يهدي الله به من يشاء الهداية من عباده.

هـ) حتى لو كانت الصيغة الإنجيلية "باسم الأب والابن والروح القدس" صحيحة ومقبولة من المسيح - وهو الشيء الذي لم يكن - فإن قبولها كصيغة للإيمان يفترض أن يتوقف مع نزول الإسلام الذي هو مملكة الله الحقيقية على الأرض، والله تعالى كونه خالق الجميع يعتبر "مجازاً" أباً لكل البشر وليس أباً لشخص بعينه أيّا كان ذلك الشخص.

والمستشرقون يعرفون جيدا أن الكلمة السامية: (أب) و(أبّا) التي تترجم إلى (والد) معناها (الشخص المثمر أو المنتج) لأن (أبّا معناها الثمار)[1] لكن القرآن الكريم أحجم عن استعمال هذه الكلمة كوصف للخالق؛ لأن النصرانية أساءت استعمالها، ومن وجهة نظر توحيدية إسلامية بحتة فإن الاعتقاد المسيحي بالوجود الأزلي للابن أو ولادته الأزلية ليس سوى كفراً.

وسواء كانت الصيغة التثليثية صحيحة أو زيفاً فإنني أعتقد أنها تتضمن حقيقة ما لأن الإنجيليين لم يسمحوا باستعمالها في أي صلاة أو مناسبة دينية سوى المعمودية وهي نقطة تثير الانتباه إذ إن يحيى تنبأ عن المعمودية بالروح القدس والنار حيث المعمّد المباشر هو الله تعالى، والوسيط هو ابن الإنسان (البرناشا) المذكور في رؤيا دانيال، والروح القدس هو السبب المادي لصبغة الله، ويحتمل أنه جرت الاستعانة بكلمة أب قبل أن تسيء الكنيسة استعمالها.

---

١) قال تعالى: ﴿وفاكهة وأبّا﴾ (سورة عبس، الآية:٣١) المترجم.

إن صبغة الله هي ميلاد جديد في ظل الإسلام حيث المعمّد الذي يسبب هذا الميلاد الجديد هو الله وإن ولادة المرء في ظل الإسلام يعتبر أعظم منّة من الأب السماوي ((حسب التعبير الإنجيلي)).

أما الاسم الثاني في الصيغة التثليثية وهو(الابن) فإن المرء يقع في حيرة لمعرفة ابن من هو؟ فلو كان الله هو(الأب) كما يقولون فأي من أبنائه (مخلوقاته) الذين لا حصر لهم هو المقصود؟ لقد علّمنا عيسى أن نصلي قائلين (أبانا الذي في السماوات) وهكذا فإن جميع البشر أبناؤه بمعنى مخلوقاته وبالتالي فإن ذكر كلمة (ابن) في الصيغة التثليثية يصبح سخيفا غير ذي معنى، أما لقب (ابن الإنسان) أو (البرناشا) فقد ورد ثلاث وثمانون مرة في أحاديث عيسى المنسوبة إليه في الأناجيل، ولكن القرآن الكريم لا يذكر عيسى قط على أنه (ابن الإنسان) بل يدعوه (ابن مريم)، ومن المستحيل أن يكون عيسى قد أطلق على نفسه لقب ابن الإنسان أو ابن الرجل؛ لأنه كان ابن امرأة ولا مفر من هذه المعجزة، بإمكانكم أن تدّعوا أنه ابن إله كما تفعلون بحماقة دائما ولكنكم لا تستطيعون الادعاء أنه ابن الإنسان إلا إذا نفيتم المعجزة وادعيتم أنه ابن يوسف النجار أو غيره مما يضفي عليه - معاذ الله - وصمة اللاشرعية.

وهكذا فقد اقتنعت بداهة أن الاسم الثاني في الصيغة التثليثية هو التحريف المشؤوم لعبارة ابن الإنسان أي (البرناشا) المذكور في الفصل السابع من سفر دانيال وهو ليس سوى النبي الأحمد (البرقليطوس) المذكور في إنجيل يوحنا.

أما الروح القدس في تلك الصيغة فهو ليس شخصاً أو روحاً معينة، بل قدرة الله أو وسيلته التي يولد الإنسان بها مسلماً أو يهتدي بها إلى الإسلام.

٢– ماذا قال الآباء النصارى الأوائل عن الروح القدس؟

أ) يفهم هرماس أن الروح القدس يعني العنصر الإلهي في المسيح - الابن الذي خُلق قبل كل الأشياء - ودون الدخول في نقاش عقيم حول ما إذا كان هرماس يخلط بين (الروح القدس) و(الكلمة) أم أن الروح القدس عنصر خاص قائم بذاته يختص بالمسيح، فإنه يقول إن المسيح خُلق قبل كل شيء أي في البداية وإن الروح حسب اعتقاد هرماس ليست شخصاً.

ب) جوستين - المسمى بالشهيد (١٠٠-١٦٧م) Justin the Martyr – وتيوفيلُس Theophilus (١٢٠-١٨٠م) يفهمان الروح القدس على أنها تعبير غريب عن (الكلمة) وأحياناً (صفة إلهية) ولكنها قطعاً ليست شخصاً إلهياً، ويجب أن نتذكر أن هذين الكاتبين والأبوين اليونانيين اللذين عاشا في القرن الثاني لم يعرفا شيئاً عن الروح القدس الخاص بمعتقدي التثليث الذين ظهروا بعدهما في القرن الرابع.

ج) يعرّف أثيناغوراس Athenagoras (١١٠-١٨٠م) الروح القدس بأنه شعاع من الله يصدر عنه ويعود إليه كأشعة الشمس، ويقول أيريناوس Irenaeus (١٣٠-٢٠٢م): إن الروح القدس والابن خادمان لله تخضع لهما الملائكة، والفرق بين منظور هذين الرجلين عن الروح القدس شاسع لا يحتاج لتعليق، ولكن العجيب أن يقوم مجمع نيقية بعد حوالي قرنين من الزمن برفع هذين الخادمين - أي الابن والروح القدس - إلى رتبة الإله نفسه الذي خلقهما.

د) كان ألمع وأعلم الآباء الناقضين لعقيدة مجمع نيقية (٣٢٥م) التي ظهرت بعده هو أوريجن Origen (١٨٥–٢٥٤م) مؤلف الهكسبلا Hexepla وهو يعطي شخصية للروح القدس غير أنه يجعله من مخلوقات الابن.

والخلاصة أن النظرية المتعلقة بهذه الروح القدس لم تكن متبلورة بصورة كافية سنة ٣٢٥م عندما انعقد مجمع نيقية، ولذلك لم يحددها المجمع، وهكذا تأجل الإعلان عن الشخص الثالث في الثالوث إلى عام ٣٨٦م عندما انعقد المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية فقرّروا أنه مشترك مع الأب والابن في المادة والزمن!!

٣- إن كلمة البرقليط Paraclete لا تعني المعزّي ولا المحامي: وهذه الكلمة غير كلاسيكية وغير معروفة؛ لأن التهجئة اليونانية للكلمة هي paraklytos وقد جعلتها كتابات الكنيسة تعني (شخص يدعى للمساعدة، محام، وسيط) (انظر القاموس اليوناني-الفرنسي تأليف Alexandre)، لكن البدهي أن الكلمة اليونانية التي تقابل معنى المعزّي ليست باراكليتوس paraklytos بل هي باراكالون parakalon وذلك واضح أيضا من الترجمة السبعينية اليونانية التي ترجمت كلمة (مناحيم) العبرية التي تعني المعزّي إلى باراكالون (سفر مراثي إرميا ١/٢، ٩، ١٦، ١٧، ٢١ إلخ) وهنالك كلمة يونانية أخرى مرادفة لكمة معزي وهي باريجوريتس parygorytys مشتقة من أنا أعزّي.

أما المعنى الآخر وهو الوسيط أو المحامي الذي تعطيه الأدبيات الكنسية لكلمة برقليط فإن الكلمة اليونانية التي تؤدي المعنى هي أيضا باراكالون وليست باراكليتوس، وهنالك أيضا كلمة sunegorus اليونانية التي تعني المحامي وكلمة meditia التي تعني الوسيط أو الشفيع.

وبهذه المناسبة أود تصحيح خطأ وقع فيه عالم فرنسي آخر هو إرنست رينان ففي كتابه الشهير "حياة المسيح" يترجم كلمة (برقليط Paraclete) المذكورة في الإنجيل الرابع إلى (المحامي) ويستشهد بالصيغة السريانية الكلدانية Peraklit وهي عكس كلمة المدّعي Ktighra

المشتقة من Kategorus، غير أن الاسم السرياني للمحامي أو الوسيط هو(مسعايا) ولكن في المحاكم يستخدمون كلمة Snighra بمعنى المحامي وهي مشتقة من الكلمة اليونانية sunegorus.

ويعتبر كثير من السريان غير الملمّين باليونانية أن كلمة (برقليطا) المذكورة في ترجمة (البشيتا) الآرامية مكونة من كلمتين هما: (برق) أي ينقذ ويخلّص، و(ليطا) ومعناها الملعون مما يتضمن الفكرة القائلة أن المسيح هو(المخلّص من اللعنة) مما جعل البعض يعتقد أن هذه الكلمة اليونانية هي آرامية في الأصل، كما هي الحال في الجملة اليونانية Maran Atha التي يقابلها في الآرامية (ماران آثي) ومعناها (سيدنا آتٍ) (١ يوحنا ٢٢/١٦) مما يبدو أنه تعبير بين المؤمنين يتعلق بقدوم خاتم الأنبياء والرسل، وإن عبارة (ماران آثي) هذه بالإضافة للصيغة المعمدانية تحويان نقاطا هامة لا يجوز إغفالها وتستحقان دراسة خاصة لأنهما تجسدان علامات ودلائل ليست في صالح تفسير الكنيسة لهما.

ولمدة قرون طويلة كتب الأوربيون واللاتينيون الجهلة اسم محمد على شكل Mahomet واسم موسى على شكل Mushi، فهل من عجب أن يكون أحد الرهبان النصارى أو النسّاخين قد حرّف اسم (أحمد Periqlytos) إلى Paraklytos؟ لأن الحقيقة أن اسم أحمد يعني الأشهر أو الأجدر بالحمد، أما الكلمات المحرفة التي ابتدعوها فلا تعني سوى العار لأولئك الذين جعلوها تحمل معنى المعزّي أو المحامي منذ ثمانية عشر قرناً.

الفصل الثامن عشر

البرقليطوس يعني أحمد

﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ (سورة الصف، الآية: ٦). (وسوف أطلب من الأب وسوف يعطيكم برقليطوس آخر يبقى معكم إلى الأبد) (يوحنا ١٤/١٦).

يلاحظ التفكك في هذه العبارة من إنجيل يوحنا المنسوبة إلى عيسى المسيح إذ توحي بأن (برقليطاً) أو (برقليطات) قد جاؤوا في السابق وأن (برقليطاً) آخر سوف يأتي بناءً على طلب عيسى، كما يظهر من العبارة أن الحواريين كانوا على بينة من هذا الشخص المسمى في النص اليوناني برقليطوس لأنه لو لم يكن الأمر كذلك لكانت كلمة (آخر) - التي تلي اسماً أجنبيا يُذكر لأول مرة - مصطنعة ولا لزوم لها، ومن المؤكد أن النص قد تعرض للتشويه فهو يدّعي أن الأب سوف يرسل (البرقليطوس) بناء على طلب المسيح وإلا فإن (البرقليطوس) لن يأتي مما يدل أن كلمة (أطلب) مصطنعة أيضا لأنها تظهر - بصورة كاذبة - لمسة من الوقاحة من جانب المسيح، وإذا أردنا أن نجد المعنى الحقيقي لهذا النص فعلينا استبعاد التحريف منه ليصبح كما يلي: (وسوف أذهب إلى الأب وهو سيرسل لكم رسولا آخر - أو الرسول الأخير - سيكون اسمه البرقليطوس ويبقى معكم إلى الأبد) وبهذا الشكل يعود تواضع المسيح الذي عُرف عنه كما يتحدد (البرقليطوس) بشكل واضح.

وقد رأينا في الفصل السابق أن (البرقليطوس) ليس الروح القدس ولا شخصا إلهيا ولا جبريل أو غيره من الملائكة وسوف نرى الآن أنه ليس معزّيا ولا محاميا أو وسيطا بين الله والبشر:

١- (البرقليطوس) ليس (المعزّي) ولا (الوسيط)، والمسيح لم يستخدم كلمة (باراكالون parakalon) اليونانية قطعا، كما أن فكرة التعزية أو الوساطة ليست مقبولة أصلا للأسباب التالية:

أ) إن اعتقاد الكنيسة أن موت عيسى على الصليب أنقذ المؤمنين من لعنة الخطيئة الأصلية وأن حضوره الدائم في القربان المقدس سيبقى مع المؤمنين إلى الأبد، هذا الاعتقاد ترك الناس دون حاجة إلى عزاء أو إلى مجيء معزٍّ، وبالمقابل لو أنهم كانوا بحاجة إلى معزٍّ فإنّ جميع الادّعاءات حول تضحية المسيح من أجل إنقاذ المؤمنين تصبح عديمة المعنى ولا لزوم لها، والعجيب أن لهجة الأناجيل والرسائل لا تترك أي مجال للشك بأن المجيء الثاني لعيسى من فوق السحاب كان وشيكا (متّى ٢٨/١٦، مرقص ١/٩، لوقا ٢٧/٩، يوحنا ١٨/٢، ٢ تيموثي ١/٢، تيسالونيكي٣/٢،...إلخ).

ب) إن العزاء لا يعوض الخسارة فالرجل الذي فقد ابنه أو شيئا عزيزا عليه لن يستعيد ما فقده لمجرد التعزية، وإن مجيء المعزّي بعد أن يكون عيسى قد ذهب ليس إلا إحباطا لكافة الآمال بانتصار مملكة الله، والتعزية لو حصلت لوصلت بالحواريين إلى حالة من اليأس والانهيار لأنهم لم يكونوا بحاجة إلى معزٍّ بل إلى محارب مظفّر ينتصر على الشيطان وأعوانه.

ج) أما فكرة الوساطة بين الله والناس فهي أكثر غرابة من فكرة التعزية، لأن الله تعالى لا يحتاج إلى وسيط بينه وبين مخلوقاته وإن وسيطنا الوحيد هو عقيدة التوحيد، لقد نصح المسيح أتباعه أن يدخلوا إلى بيوتهم ويغلقوا الأبواب ويصلّوا إلى الله سرّا وعند ذلك فقط يستمع (أبوهم الذي في السماء) لصلواتهم ويستجيب لدعائهم، فكيف يمكن التوفيق بين ذلك وبين فكرة الوساطة؟

د) إن الأنبياء والملائكة والمؤمنين يصلّون ويدعون لبعضهم البعض في صلواتهم، ومن واجبنا في الصلاة أن ندعو لأنفسنا ولغيرنا بالرحمة والخير ولكن الله تعالى ليس مضطرا لقبول شفاعة أحد، ولو قبل شفاعة عبده محمد لتحول جميع البشر إلى الإسلام.

إن القرآن الكريم ينفي فكرة الشفاعة بتاتا في عدة آيات، ومع أننا لا ندري على وجه اليقين فمن المحتمل أنه تعالى قد يمكّن بعض الملائكة والأنبياء والأولياء من هداية ومساعدة البعض، وقد تكون فكرة محام يدافع عن موكليه أمام محكمة الله فكرة مدهشة (ايوحنا ٢/١) ولكنها خاطئة لأن الله ليس قاضيا بشريا عرضة للانفعالات والجهل والتحيز وهو يعرف نفوسنا وقلوبنا أكثر من معرفتنا بها وبالتالي فلا محل للشفاعة والوساطة ولا داع لهما.

إن الاعتقاد بالوساطة والشفاعة يعكر الصفاء الروحي بين المرء وربه ويقود البعض إلى عبادة الأضرحة والتماثيل وتقديس رجال الدين وصور الأنبياء والأولياء والاعتقاد بالخرافات كل ذلك مما يزيد من نفوذ القديس أوالراهب أوالقسيس أو رجل الدين إذ ينمو عندهم ولدى العوام الشعور بأنهم أولياء الأمر وأصحاب الشأن على الناس ويزداد جشعهم ويقبلون على جمع الأموال الضخمة بدعوى هداية الناس إلى دينهم وينشئون الإرساليات التنصيرية الغنية في حين

أن معظمهم جواسيس لحكوماتهم وقد كانوا سبب المصائب التي حلّت بالأرمن واليونان والآشور والكلدان في تركيا وإيران بسبب تعليمات الخيانة والثورة التي صدرت عن الإرساليات الأجنبية في المشرق.

والآن بعد أن تبين أن (البرقليط) المذكور في إنجيل يوحنا لا يعني ولا يمكن أن يكون معزّيا ولا محاميا ولا وسيطا وأن الكلمة قد جرى تشويهها من كلمة (برقليطوس Periqlytos)، لذا نشرح الآن المعنى الحقيقي للكلمة الأصلية.

٢- إن كلمة (برقليطوس) تعني من الناحية اللغوية البحتة (الأمجد والأشهر والمستحق للمديح) وقد ورد ذلك في القاموس اليوناني-فرنسي لمؤلفه ألكسندر:

Alexandre: Periqlytos = Qu'on peut entendre de tous les cotes ; qu'il est facile a entendre. tres celebre , Periqleitos = tres celebre , illustre , glorieux , = Periqleys , tres celebre , illustre , gloriuex = from Kleitos , gloire , renommee , celebrite ,

والاسم مركب من مقطعين الأول Peri والثاني Kleitos مشتق من التمجيد والثناء ويكتب Periqlytos أو Periqleitos مما يعني تماما اسم أحمد باللغة العربية أي أكثر ثناء وحمدا، ولنا الآن أن نتساءل ما هي الكلمة الأصلية التي استخدمها عيسى المسيح بلغته العبرية أو الآرامية؟ فهو قطعا لم يتكلم اليونانية.

أ) تحتوي ترجمة (البشيتا) السريانية للكتاب المقدس على كلمة (براقليطا) دون تفسير أو شرح أو ترجمة لمعناها، غير أن الترجمة اللاتينية المعتمدة وهي الـ (فالجيت Vulgate) ترجمت هذه الكلمة إلى (المعزّي)، وإذا لم أكن مخطئا فإن الكلمة الآرامية الأصلية لم تكن سوى

(محَمده) أو (حميده) وهي تقابل كلمة (محمد) أو (أحمد) بالعربية كما أنها تقابل كلمة (البرقليطوس) اليونانية.

إن تفسير هذه الكلمة اليونانية بمعنى العزاء والمعزّي لا يعني أن (البرقليط Periqlyte) هو المعزّي ولكن مجرد الأمل والاعتقاد بأنه سوف يأتي لتعزية النصارى الأوائل، لقد خابت توقعاتهم بالمجيء الثاني لعيسى ظافرا منتصرا (قبل أن يكون الكثيرون منهم قد ذاقوا الموت) (متّى ١٦/٢٨)، ولذا تركزت آمالهم بدلاً عن ذلك بمجيء العزاء عن طريق (البرقليط Periqlyte).

ب) في الآية القرآنية ٦ من سورة الصف أعلن عيسى بن مريم قائلاً ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ وهذا من أقوى البراهين على نبوة محمد وعلى أن القرآن تنزيل إلهي فعلا إذ لم يكن في وسع محمد أن يعرف أن كلمة البرقليطوس كانت تعني أحمد إلا من خلال الوحي، وهذه حجة جازمة ونهائية لأن المدلول الحرفي للاسم اليوناني يعادل بدقة كلمتي (أحمد ومحمد).

ومن المدهش أن الوحي قد ميّز صيغة أفعل التفضيل من غيرها أي (أحمد) من (محمد)، ومن المدهش أيضا أن هذا الاسم الفريد لم يُعطَ لأحد من قبل إذ حُجِز بصورة معجزة لخاتم الأنبياء والرسل وأجدرهم بالحمد والثناء، ذلك أن اسم (برقليطوس) لم يطلق على أي يوناني قط كما أن اسم أحمد لم يطلق على أي عربي قبل النبي محمد، صحيح أنه كان هنالك يوناني مشهور من أثينا اسمه بركليس Periqleys بمعنى الشهير ولكن ليس بمعنى الأشهر.

ج) يصف الإنجيل الرابع البرقليطوس أنه شخص محدد المعالم وروح مقدسة تسكن جسما بشريا وتنجز عملا هائلا لم ينجزه أحد من الأنبياء من قبل بمن فيهم موسى وعيسى وغيرهما.

إننا بالطبع لا ننكر أن الروح القدس نزل على حواريي عيسى المسيح، ولا ننكر أيضا أن الروح القدس قد بارك أتباع عيسى المخلصين إذ كان هنالك الكثير من النصارى الموحدين الأتقياء الزاهدين في الدنيا. ويقال أيضا أنه في عيد الحصاد Pentecost ـ وهو الذي صادف اليوم العاشر بعد رفع عيسى المسيح عليه السلام ـ نزلت الروح القدس على الحواريين وغيرهم من المؤمنين البالغ عددهم مئة وعشرون فنزلت عليهم بشكل مئة وعشرين لسانا من النار ثم ازداد العدد إلى ثلاثة آلاف بعدد الذين جرى تعميدهم، وبالطبع فإن الروح القدس لا يمكن أن تنقسم على مئة وعشرين شخصا، وقد يفهم البعض من الروح القدس أنها قدرة الله وإلهامه ـ وليست شخصية محددة ـ غير أن هذه الروح مختلفة تماما عن البرقليطوس الذي استطاع وحده انجاز العمل العظيم الذي لم يكن لعيسى ولا للحواريين من بعده أن يُخولوا بإنجازه.

د) اعتمد النصارى الأوائل في القرن الأول والثاني على النقل الشفهي والروايات أكثر من الكتابات فيما يتعلق بإنجيل عيسى وبالدين الجديد حتى أنه في أيام الحواريين ـ بعد عيسى ـ انتشر العديد من المذاهب والأدعياء والدجالين مما أدى لحدوث انشقاقات لا يستهان بها (١يوحنا ٢/١٨-٢٦)، (٢تيسالونيكي ٢/١-١٢)، (٢بطرس ٢،٣/١)، (١تيموثي ٤/١-٣)، (٢تيموثي ٣/١-١٣)...إلخ وقد نُصح المؤمنون وقتها بالالتزام بتعاليم الحواريين الشفهية أما المذاهب التي وصمت بالهرطقة مثل مذاهب Gnostics , Appolinarians ,Docetas فيبدو أنها أنكرت الأساطير والخرافات المضخّمة عن تضحية المسيح وافتدائه التي وردت في إنجيل لوقا (لوقا ١/١-٤).

وقد اتخذ أحد زعماء تلك المذاهب لنفسه اسم (البرقليطوس) وادعى أنه النبي (الأحمد) الذي تنبأ به المسيح وصار له أتباع عديدون، ولو كان هنالك إنجيل صحيح مؤيد من المسيح أو من جميع الحواريين لما وجدت وقتئذ تلك المذاهب الكثيرة المناقضة لمحتويات العهد الجديد، ونستطيع أن نستنتج باطمئنان من ادعاء البرقليط المزيف أن النصارى الأوائل كانوا يتوقعون أن يجيء (روح الحق) على صورة رجل بشر يكون خاتم الأنبياء والرسل.

٣- ليس هنالك أدنى شك أن (محمد) أو (أحمد) هو المعني بكلمة البرقليط، فالاسمان متطابقان في اليونانية والعربية وكلاهما بمعنى الأشهر والأحمد، تماما كما أن (البنوما) و(الروح) تعنيان الشيء ذاته في اللغتين، وقد رأينا أن ترجمة الكلمة إلى معزّ أو محام غير منطقية وغير صحيحة قطعاً، ولنفحص الآن علامات البرقليطوس التي لا توجد في غيره:

١) لقد صحح محمد الانحرافات التي أُدخلت على الأديان السماوية قبله، وقد وَصف عيسى البرقليطوس بأنه (روح الحق) التي سوف تشهد على طبيعة عيسى ورسالته (يوحنا ١٤/١٧،١٥/٢٦)، وقد تحدث عيسى في أقواله وخطبه عن الوجود السابق لروحه (يوحنا ٨/٥٨،١٧/٥)..إلخ، كما ورد في إنجيل برنابا أن عيسى المسيح تحدث مرارا عن مجد وروعة الروح المحمدية التي شاهدها مما يدل على وجودها منذ زمن عيسى على الأقل، وقد وبّخ (روح الحق) النصارى على تقسيم الوحدانية الإلهية إلى ثالوث من الأشخاص وعلى رفعهم عيسى المسيح إلى مرتبة إله وابن إله وعلى الكثير من الخرافات التي ابتدعوها، كما فضح أضاليل اليهود والنصارى في تزييف كتبهم المقدسة، وندّد باليهود بسبب افتراءاتهم ضد عذرية وطهارة مريم، وبرهن على حق البكورية لإسماعيل، وبرّأ لوط وسليمان وباقي الأنبياء من

التهم والدنس التي ألحقها بهم المزيّفون اليهود، كما شهد (روح الحق) على طبيعة عيسى الحقيقية وهي أنه بشر ونبي ورسول وعبد من عباد الله، كما قضى (روح الحق) على الوثنية والشرك.

ب) من أكبر علامات (روح الحق - البرقليطوس) أنه عندما يأتي في شخص أحمد - ابن الإنسان - فسوف (يوبّخ العالم على الخطيئة) (يوحنا ٨/١٦)، ونلاحظ أنه لا يوجد عبد من عباد الله سواء كان ملكا نبيا مثل داود وسليمان، أو نبيا مثل إبراهيم وموسى، قام بتوبيخ البشر على الخطيئة كما فعل محمد بإصرار وحماس وشجاعة، صحيح أن كل خرق للشريعة يعتبر خطيئة ولكن الشرك وتقديس الأوثان هو الخطيئة الكبرى.

لقد قام جميع الأنبياء والأولياء بتوبيخ أقوامهم على الخطيئة ولكن محمد وحده هو الذي وبخ العالم أجمع، فهو لم يكتفِ باقتلاع جذور الوثنية من جزيرة العرب بل بعث بالرسل إلى كسرى برويز، وهرقل الروم، أباطرة أعظم دولتين في أيامه، وإلى نجاشي الحبشة، وإلى مقوقس مصر، والعديد غيرهم من الملوك والأمراء في أنحاء العالم يدعوهم إلى الإسلام وإلى نبذ الشرك وعبادة الأشخاص والأوثان ونبذ العقائد الباطلة، وقد بدأ محمد بتبليغ كلام الله - وهو القرآن - إلى البشر بالحكمة والموعظة والقدوة الحسنة، ولكن عندما عارضته قوى الشر والظلام بقوة السلاح اضطر لمقابلة القوة بالقوة دفاعاً عن الرسالة السماوية، وكان ذلك تحقيقاً وتنفيذاً لأمر الله كما ورد في سفر دانيال بالفصل السابع عندما خُوّل محمد بالسلطة والقوة لتحقيق مملكة الله في الأرض وليصبح أول قائد لها تحت سلطة (ملك الملوك ورب الأرباب).

ج) ومن علامات (البرقليطوس ـ أحمد) أيضا أنه (سوف يوبّخ العالم لأجل الخطيئة والإستقامة والعدالة) (يوحنا ١٦/٨) أما تفسير الاستقامة بما نُسب إلى المسيح قوله (لأنني ذاهب إلى أبي) (يوحنا ١٦/١٠) فهو تفسير غامض ومبهم، إذ يجعل عودة عيسى إلى ربه سببا كافيا لتأنيب العالم بواسطة (البرقليطوس) فلماذا؟ ومن الذي أنّب العالم بسبب ذلك؟

لقد اعتقد اليهود أنهم صلبوا عيسى المسيح وقتلوه ولم يؤمنوا أنه رُفع إلى السماء، فعاقبهم محمد ووبّخهم بشدّة بسبب كفرهم هذا، وقد أصاب هذا التوبيخ أيضا النصارى الذين اعتقدوا ويعتقدون أن المسيح صُلب وقُتل على الصليب وأنه إله أو ابن إله، وقد أوضح القرآن هذا الموضوع بقوله تعالى ﴿وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه ما لهم به من علم إلاّ اتّباع الظن وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما*﴾ (سورة النساء:١٥٧ـ١٥٨).

والمعروف أن الكثير من النصارى الأوائل أنكروا صلب المسيح وأصرّوا على أن أحد أتباعه ـ وهو يهوذا الاسخريوطي ـ أو شبيهاً له أُلقي القبض عليه وصُلب بدلاً منه، وهنالك الكثير من المذاهب مثل الكورنثيين Corinthians والبازيليديين Basilidians والكوربوكراتيين Corpocratians وغيرهم كثير ممّن أنكروا صلب المسيح، وقد شرحتُ بإسهاب إشكال الصلب في كتابي المسمّى (الإنجيل والصليب) وقد صدر منه مجلد واحد فقط باللغة التركية قبل نشوب الحرب العالمية الأولى، والنتيجة أن محمد قد أنصف عيسى المسيح عندما أوضح أن عيسى روح من الله وأنه لم يُصلب ولم يُقتل وأنه لم يكن إلها ولا ابن إله ولكن رسول كريم من الله،

وهذا ما قصده عيسى بالضبط عندما تكلم عن تحقيق العدالة حول ذاته ورسالته ورفعه إلى السماء ثم تحققت هذه العدالة فعلا على يد (البرقليطوس أحمد).

د) ومن أهم علامات البرقليطوس أيضا أنه (سوف يؤنّب العالم لأجل الدينونة) (لأن رئيس هذا العالم قد أدين) (يوحنا ١٦/٨-١١)، أما رئيس هذا العالم فهو الشيطان (يوحنا ١٢/٣١،١٤/٣٠) لأن العالم كان خاضعا له، وهنا ألفت نظر قرائي إلى الفصل السابع من سفر دانيال باللغة الآرامية واللهجة البابلية حيث يصف النبي دانيال كيف عُقدت الدينونة الكبرى وفُتحت الأسفار وصدر الحكم الإلهي بتحطيم ديانة الشيطان على يد (البرناشا ابن الإنسان) محمد وقد استخدم دانيال تعابير مشابهة جدا لتعابير القرآن الكريم عن يوم الحساب أو الدينونة وعن الدين الحق ـ الإسلام ـ ، ويلاحظ أن استخدام القرآن لكلمة (الدين) ـ دينا بالآرامية ـ كما وردت في سفر دانيال بما يعني الحكم أو الدينونة أو الدين لهو أمر في غاية الأهمية؛ لأنه في رأيي أحد البراهين على الحقيقة التي نزل بها الروح القدس جبريل على كلّ من دانيال وعيسى ومحمد، إذ لم يكن باستطاعة محمد أن يختلق أو يلفّق مثل ذلك حتى لو كان فيلسوفا ضليعا مثل أرسطو.

إن الحكم الذي جرى وصفه في سفر دانيال كان لإدانة الشيطان الذي تجسّد في ذلك الوقت بصورة الوحش الرابع ـ الإمبراطورية الرومانية ـ وأن مهمة القضاء عليه لم تُسند إلى عيسى عليه السلام لأنه كان عازفا عن الشؤون السياسية وقد دفع الضريبة لقيصر ونصح أتباعه بدفعها وانسحب عندما أرادوا تتويجه ملكاً، وقد أعلن بوضوح أن سيد هذا العالم قادم وأن البرقليطوس ـ أحمد ـ سوف يجتث الوثنية وهو ما تحقق بالفعل على يديه.

هـ) والعلامة الأخيرة للبرقليطوس هي أنه (لا يتكلم من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بما سوف يأتي) (يوحنا١٦/١٣) وهكذا كان محمد ينطق بالوحي تماما كما سمعه من جبريل ثمّ كان الوحي يُدوّن على يد الكتبة المختارين فور نزوله حتى تمّ تجميع القرآن، أما أقوال محمد الشخصية وتعاليمه فهي على أهميتها لم تجمع وتدوّن إلا بعد وفاته بعشرات السنين ولا علاقة لها بالوحي القرآني وهي تدعى بالأحاديث الشريفة.

هذا هو البرقليطوس الحقيقي! فهل بإمكانكم أن ترشدونا إلى أي شخص آخر تنطبق عليه كل هذه الصفات والعلامات والمميزات التي ينبغي أن تكون للبرقليطوس؟ إنكم لا تستطيعون.

الفصل التاسع عشر

من هو ابن الإنسان

يذكر القرآن الكريم عيسى المسيح عليه السلام على أنه المسيح ابن مريم، ولكن الأناجيل التي بين أيدينا اليوم لم تكتفوا بأنه المسيح ابن مريم بل اخترعت له الكثير من الألقاب والمسمّيات، وسبب ذلك أن الإنجيل الحقيقي الذي أُوحيَ إلى عيسى المسيح ونُقل إلى أتباعه وتلاميذه شفهيا قد أصابه التحريف وأضيفت إليه الخرافات والأساطير، فتحول عيسى من ابن مريم إلى ابن يوسف النجار (متّى ١٣/٥٥-٥٦) (مرقص ٦/٣) (لوقا ٢/٤٨) (يوحنا ١٢/٢،٧/٣-٥) وجعلوا له إخوة وأخوات (مرقص ٣/٣١) (لوقا ٨/١٩-٢١) (الأعمال ١/١٤) (الكورنثيين الأول ٩/٥) (غلاطية ١/١٩) (يهودا ١/١) ثم جعلوه ابن داود أحيانا أخرى (متّى ٩/٢٧،٢٠/٣٠،٢١/٩،٢٢/٤٤) (مرقص ١٢/٣٥) (لوقا ٢٠/٤١) (الأعمال ١٣/٢٢-٢٣) (الرؤيا ٥/٥) (العبرانيين ٧/١٤) ثم جعلوه ابن الله (متّى ١٤/٣٣،١٦/١٦) (يوحنا ١١/٢٧) (الأعمال ٩/٢٠) وأيضا الابن فقط في صيغة التعميد وفي (متّى ٢٨/١٩) (يوحنا ٥/١٩-٢٦) (العبرانيين ١/٢-٥) ثم قالوا إنه ابن الإنسان وتكرر هذا اللقب في الأناجيل ثلاثة وثمانون مرة، ثم سمّوه الحمَل (يوحنا ١/٢٩،٣٦)، وهو أيضا المسيح.

ومنذ سنين وقتما كنت قسيسا كاثوليكيا زرت قاعة إكستر في لندن فصادف أن استمعت إلى أحد الوعاظ وكان طبيبا شابا يخطب في اجتماع لجمعية الشبان المسيحيين، وكان من جملة ما قاله: (أكرر ما سبق أنْ قلتُه مراراً وهو أن عيسى أحد اثنين فهو إما ما يدعيه في الأناجيل أو

هو أكبر دجال في العالم) ومنذ ذلك الوقت لم أستطع نسيان ذلك الكلام المتحجّر الضيّق الأفق إذ لم يترك خيارا لأحد سوى أن يعتقد أن عيسى أكبر دجال أو ابن الله، فمن يقبل الخيار الأول فهو كافر أو يهودي ومن يقبل الخيار الثاني يكون مسيحيا تثليثيا، في حين أننا نحن الذين نرفض الخيارين الاثنين لسنا سوى مسلمين موحّدين، فالمعنى الذي تحدده الكنائس لعبارة (ابن الله) مرفوض من قبل المسلمين لأن المسيح ليس وحده (ابن الله) وليس وحده ابن الإنسان وإذا سُمح لنا مجازا أن ندعو الله أبا فإن كل نبي وكل مؤمن مستقيم سيكون (ابن الله) بهذا المعنى، وإذا كان عيسى كما يزعمون هو(ابن يوسف النجار) وإذا كان له أربعة إخوة وعدة أخوات متزوجات كما تدّعي الأناجيل فلماذا يكون عيسى المسيح وحده جديرا باللقب الغريب (ابن الإنسان) الذي ينطبق على كل بشر؟!

ومن عجب أن لدى هؤلاء القسس والرعاة واللاهوتيين والمكابرين منطقا غريبا في الجدل وميلا أغرب للأمور الغامضة السخيفة والأعجب أنهم لا يميزون بين الاصطلاحات والألقاب والتسميات التي يستخدمونها كما لا توجد لديهم أي فكرة محددة عنها، كما لديهم مقدرة لا يحسدون عليها في تنميق الأقوال المتناقضة التي لا يمكن التوفيق بينها والتي لا يصدقها أحد غيرهم، فهم قادرون على الاعتقاد أن مريم كانت عذراء وزوجة في وقت معاً، وأن يوسف كان الرفيق والزوج، وأن جيمس ويوسي وسمعان ويهودا كانوا أبناء عمومة عيسى وإخوانه في نفس الوقت، وأن عيسى إله كامل وبشر كامل، وأنه أيضا ابن الله وابن داود وابن يوسف وابن الإنسان، وأنه أيضا حمل الله، وهم يعبدون المصلوب كما يعبدون الله..

ولا أعتقد أنه يوجد مسيحي واحد في كل عشرة ملايين لديه أدنى فكرة عن معنى لقب ابن الإنسان أو دلالته، ويدّعي القساوسة والوعّاظ أن المسيح قد اتخذ لنفسه لقب ابن الإنسان (البرناشا) بدافع من التواضع والحلم والمسالمة متجاهلين أسفار الرؤى اليهودية apocalyptic scriptures التي يعرفونها تماما والتي آمن بها المسيح والحواريون والتي تنبأت بابن الإنسان الذي لن يكون مسالما ولا عاجزا عن ايجاد مكان يضع عليه رأسه ويستحيل أن يقبض عليه الأعداء أو أن يُسلّم لأيديهم، ولكنها تنبأت بابن الإنسان القوي المظفر الذي يتغلب على قوى الشر المرموز إليها بالطيور الجارحة والوحوش الشرسة التي كادت تفتك بشعبه المرموز إليه بالخراف والحملان، وقد كان اليهود الذين سمعوا عيسى يتكلم عن ابن الإنسان يعرفون حق المعرفة عمّن كان يتكلم، فالمسيح لم يبتكر ذلك اللقب بل أخذه من أسفار الرؤى اليهودية: سفر إدريس والأسفار السيبيلية Sibylline books وسفر دانيال..إلخ، ولنتفحص الآن أصل اللقب:

١- (ابن الإنسان) هو آخر الأنبياء الذي ينشئ مملكة السلام ــ الإسلام ــ على أنقاض العبودية والاضطهاد الذي كان يُمارس تحت سلطة الشيطان (الوثنية) ولقب (برناشا) هو لقب رمزي يميّز المنقذ عن بقية عباد الله الذين رمز إليهم بالخراف، بينما رمز إلى الأمم الكافر بالطيور الجارحة والوحوش الشرسة، وقد خاطب تعالى النبي حزقيال (ذو الكفل) بلقب ابن آد أي ابن الإنسان بمعنى راعي خراف إسرائيل، وفي أول رؤيا يبدأ بها سفر حزقيال يُشاهد ابن الإنسان بجانب العرش الإلهي (سفر حزقيال ٢٦/١) ويتكرر ذكر ابن الإنسان في ذلك السفر وكونه دوما في حضرة الله وفوق الملائكة وهو ليس حزقيال نفسه (سفر حزقيال ٢/١٠) بل آخر الأنبياء الذي أوكل إليه إنقاذ عباد الله من سلطان الكفر والوثنية.

أ) (ابن الإنسان) حسب رؤيا إدريس (Enoch or Henoh):

يسمي القرآن إينوخ بلقبه إدريس وهو الصيغة العربية لكلمة (دريشا) الآرامية من فئة الأسماء البسيطة كإبليس وبليسا[1] [١٠] أما معنى إدريس و دريشا فهو الشخص العلاّمة والاشتقاق من فعل درَسَ وفي الآرامية (دَرَش)، قال تعالى ﴿واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صدّيقا نبيا ورفعناه مكانا عليا﴾ (سورة مريم: ٥٦-٥٧)، ويبدو أن المفسرين المسلمين: البيضاوي وجلال الدين كانا يعرفان أن إدريس قد درس الفيزياء والفلك والحساب وأن لقب إدريس يعني شخصا علاّمة ويحتمل أن سفر إدريس كان موجودا أيامهما، ولا شك أن عيسى كان على معرفة جيدة برؤيا إدريس، كما أن يهوذا (أخو جيمس وخادم عيسى المسيح وأحد إخوته المزعومين)[2] كان يعتقد أن إدريس هو المؤلف الحقيقي للكتاب الذي يحمل اسمه كما كان يعتقد أن إدريس هو الجد السابع بعد آدم (سفر يهوذا ١/١٤)، وهنالك بعض الأجزاء المبعثرة لهذا السفر محفوظة ضمن مقتبسات بعض الكتاب المسيحيين الأوائل وقد ضاع السفر قبل زمن (فوتيوس Photius) بكثير ثم لم يظهر بعد ذلك إلا في أوائل القرن الماضي ضمن لائحة أسفار الكنيسة الحبشية، وقد ترجمها الدكتور دلمان Dillmann من الأثيوبية إلى الألمانية وأضاف إليها ملاحظاته وشرحه[3].

---

[1] إبليس: الصيغة العربية للكلمة الآرمية (بليسا) وهي صفة الشيطان ومعناها المسحوق أو المقهور.

[2] تدّعي الأناجيل أنه واحد من أربعة إخوة لعيسى المسيح هم جيمس ويوسي وسمعان ويهوذا (متى ١٣/٥٥-٦٥).

[3] ترجمها إلى الإنكليزية أيضا أسقف إيرلندا اسمه لورنس.

يقسم سفر إدريس إلى خمسة أجزاء و(١١٠) فصول، في الجزء الأول منها يصف المؤلف سلالات من العمالقة يبتدعون ضروبا من السحر والشرور والرذيلة حتى أن الله سبحانه عاقبهم بالطوفان، كما يصف في هذا الجزء رحلة له إلى السماء تكررت مرتين بصحبة الملائكة، وفي الجزء الثاني يصف (مملكة السلام) ويذكر (ابن الإنسان) الذي يلقي الملوك الفاسدين في جهنم (سفر إدريس ٤٦/٤-٨) ويبدو أن عدة مؤلفين قد اشتركوا في كتابة الجزء الثاني كما يبدو تحريف الكنيسة فيه واضحا، أما الجزء الثالث ففيه بعض الأفكار الغريبة المتطورة عن الفلك والطبيعة، وفي الجزء الرابع حكايات إسطورية رمزية عن الجنس البشري منذ بدء الخليقة حتى أيام الإسلام التي يدعوها المؤلف بالعصور المسيحانية messianic، وفي هذه الحكايات يرمز إلى سلالة يعقوب بقطيع من الغنم وهم شعب إسرائيل المختار ويرمز إلى سلالة أخيه عيص وهم الأدوميون بقطيع من الخنازير البرية، ويصف الكاتب كيف يتعرض قطيع الغنم للمضايقة والتشريد والقتل من قبل الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة التي ترمز إلى الوثنية والكفر وكيف أن كبشا شجاعا يقاوم بشدة وأخيرا يظهر (ابن الإنسان) الذي يأتي لإنقاذ القطيع. أما الجزء الخامس من الكتاب فيحتوي مواعظ دينية وأخلاقية، والخلاصة أن سفر إدريس بشكله الحالي يتضمن أدلة على أن تدوينه تم بالآرامية من قبل يهودي فلسطيني في تاريخ متأخر قد يكون عام ١١٠ ق.م وهذا هو رأي الموسوعة الفرنسية.

بعد اعتماد مجموعة الكتب العبرية المقدسة في القرن الرابع قبل الميلاد من قبل أعضاء (الكنيس اليهودي الأكبر) الذي أسسه عزير و نحميا صار يطلق على جميع الكتب الدينية الأخرى التي لم تدرج ضمن هذه المجموعة اسم (أبوكريفا apocrypha) أي الأساطير وقد

استبعدت هذه الكتب من قبل مجمع العلماء اليهود كان آخرهم سمعان العادل الذي توفي سنة ٣١٠ قبل الميلاد، ومن كتب الأبوكريفا هذه رؤى إدريس وباروخ وموسى وعزير والكتب السيبيلية Sibylline التي كتبت في فترات مختلفة منذ عهد المكابيين حتى بعد تدمير القدس على يد تيطوس إمبراطور روما، ويبدو أنه كان شائعا بين "الحكماء" اليهود تأليف أدبيات إسطورية (أبوكريفية) دينية ينسبونها إلى بعض الشخصيات الدينية الشهيرة، ولا تشذ (الرؤيا) الموجودة في آخر العهد الجديد والتي تحمل اسم يوحنا المقدس عن هذه العادة اليهودية/النصرانية وإذا كان يهوذا ـ الأخ المزعوم لعيسى ـ قادرا على تصديق أن إدريس (الذي يعتبرونه الجد السابع بعد آدم) كان حقيقة مؤلفا للمائة وعشرة فصول التي تحمل اسمه، فلا عجب أن يصدق كل من جوستين الشهيد و بابياس و يوزيبيوس صحة تأليف الكتب المنسوبة إلى متّى ويوحنا.

وليس هدفي التعليق على هوية المؤلف الحقيقي أو على فحوى هذه الرؤى الغامضة المبهمة التي كُتبت في ظروف مؤلمة من تاريخ الأمة اليهودية، ولكن هدفي هو استقصاء أصل لقب (ابن الإنسان) ومحاولة معرفة دلالته الصحيحة، ذلك أن كتاب إدريس مثل رؤى الكنائس ومثل الأناجيل يتحدث عن مجيء (ابن الإنسان) الذي ينقذ شعب الله من أعدائه، والكتاب يخلط بين هذه التوقعات وبين يوم الحساب.

ب) إن الرؤيا السيبيلية Sibylline Revelation التي كُتبت بعد الانهيار الأخير للقدس نتيجة اجتياح الجيوش الرومانية (٧٠م) تقول أن ابن الإنسان سوف يظهر ليدمّر الإمبراطورية الرومانية وينقذ المؤمنين الموحّدين، وقد كُتب هذا السفر بعد المسيح بحوالي ثمانين عاماً على الأقل.

ج) في الفصل السادس من هذا الكتاب عرضنا موضوع ابن الإنسان في رؤيا دانيال التي يُكلف فيها ابن الإنسان بالقضاء على الوحش الروماني، كما أن الرؤى المسماة Assumptions of Moses في كتاب باروخ مشابهة لذلك تقريبا وجميعها تصف المنقذ على أنه (بارناشا) أو ابن الإنسان.

٢- يستحيل أن يكون ابن الإنسان المذكور في الرؤى هو نفسه عيسى المسيح، لأن ذلك اللقب لم ينطبق عليه بأي شكل من الأشكال وإن جميع ادعاءات الأناجيل التي تجعل (حَمَل الناصرة) يمسك بالملوك الفجّار ويلقي بهم في الجحيم (سفر إدريس ٤٦/٤-٨) تفتقر إلى الحد الأدنى من المصداقية، وإن المسافة التي تفصل عيسى المسيح عن ابن الإنسان أبعد من المسافة التي تفصل الأرض عن المريخ، لا شك أن عيسى المسيح لم يكن ابن الإنسان ولا المنقذ الذي تنبأ به أنبياء اليهود وأصحاب الرؤى، ولقد كان اليهود محقّين في إنكار ذلك اللقب وتلك الوظيفة عليه لكنهم كانوا قطعا مخطئين في إنكار نبوته كما كانوا مجرمين في محاولة قتله.

وبعد وفاة سمعان العادل سنة ٣١٠ م قبل الميلاد حلّ مجلس القضاء الأعلى (السانهدرين Sanhedrin) الذي كان رئيسه يلقب بالأمير Nassi حلّ محل مجمّع (الكنيس اليهودي الأكبر)، ومن العجيب أن يُعتبر نبيا هذا "الأمير" الذي نطق بالحكم ضد عيسى المسيح قائلا: (من الأنسب أن يموت رجل واحد بدلا من تدمير أمة بكاملها) (إنجيل يوحنا ٥٠/١١) فلو كان ذلك "الأمير" نبيا حقا فكيف لم يستطع التعرف على شخصية عيسى المسيح وعلى مهمته النبوية.

وفيما يلي الأسباب الرئيسة التي تدل أن عيسى المسيح لم يكن (ابن الإنسان) أو المنقذ الموعود المذكور في الرؤى:

أ) لا يمكن لأي رسول أن يتنبأ عن إعادة تجسده أو يقدم نفسه على أنه بطل أحداث هامة سوف تحدث في المستقبل.

لقد تنبأ يعقوب عن (رسول الله) (سفر التكوين ٤٩/١٠)، وتنبأ موسى عن النبي الذي سيأتي بالشريعة وأمر إسرائيل أن تطيعه (سفر التثنية ١٨/١٥-١٨)، وتنبأ حجّي Haggai عن أحمد (سفر حجّي ٧/٢)، وتنبأ ملاخي عن رسول العهد وعن إيليا (سفر ملاخي ١/٣، ٤/٥)، ولكن لم يتنبأ أي نبي عن عودته بنفسه ثانية إلى هذا العالم، والغريب في موضوع عيسى المسيح أن ينسب إليه القول بأنه (ابن الإنسان) مع أنه لم يكن قادرا على القيام بالحد الأدنى من مهام (ابن الإنسان)، فلو أنه أعلن لليهود الذين كانوا في قبضة الرومان أنه كان ابن الإنسان حقّا ثم أمرهم أن يدفعوا الضريبة لقيصر واعترف أن "ابن الإنسان" لم يجد مكانا يضع عليه رأسه ثم أجّل إنقاذ شعبه من الحكم الروماني إلى أجل غير مسمّى لكان ذلك استهتارا وانكارا للنبوءات، ولا شك أن من ينسبون هذه الأقوال الضعيفة إلى عيسى المسيح يعطون الانطباع إمّا أنهم أغبياء أو أنهم يتعمّدون الإساءة لعيسى.

ب) لقد عرف عيسى أكثر من أي شخص آخر في إسرائيل من هو(ابن الإنسان) وما هي مهمته، إذ كان عليه أن ينزع الملوك الفجّار من عروشهم ويرميهم في جهنم، وإن "رؤيا باروخ" و "رؤيا عزير" ـ الكتاب الرابع لإيزدراس في الترجمة اللاتينية المعتمدة للكتاب المقدس ـ تتحدث عن ظهور ابن الإنسان الذي يقيم مملكة السلام ـ الإسلام ـــ على أنقاض الإمبراطورية الرومانية، وهكذا كانت جميع الرؤى الإسطورية تُرينا التصور اليهودي لمجيء آخر المنقذين العظماء الملقب (ابن الإنسان) و(المخلّص المنتظر)، ومن المستحيل أن نتصور أن عيسى كان

جاهلا بتلك الكتابات وتلك التطلعات المتحمسة من قومه ومن المستحيل أن يكون قد أسبغ على نفسه أيّا من هذين اللقبين بالمعنى الذي حدّده مجلس القضاء الأعلى (السانهدرين) في القدس وبالمعنى الذي تعلقه اليهودية على هذه الألقاب لأنه لم يكن (ابن الإنسان) ولا (المخلِّص المنتظر)، فمن جهة لم يكن لديه برنامج سياسي أو خطة اجتماعية لتحقيق مهام ابن الإنسان ومن جهة ثانية فإنه كان السلف والمبشّر بابن الإنسان وبالمخلّص المنتظر الرسول المظفّر وسلطان الأنبياء.

ج) إن التفحص المحايد للقب (ابن الإنسان) الذي نُسب ثلاثا وثمانون مرة إلى لسان عيسى المسيح يؤدي إلى القناعة القطعية بأنه لم يتخذ ذلك اللقب لنفسه، ونلاحظ أنه كثيرا ما استخدم ذلك اللقب بصيغة الغائب مشيرا إلى شخص آخر من المفترض ظهوره مستقبلا وفيما يلي بعض الأمثلة:

١- قال بعض أحبار اليهود لعيسى: سأتبعك أنّى ذهبت فأجابه عيسى: (للثعالب جحورها، وللطيور أعشاشها، أما ابن الإنسان فليس لديه مكان يضع رأسه عليه) (متّى ٨/٢٠)، وبعد ذلك مباشرة منع عيسى أحد أتباعه من الذهاب لدفن أبيه، ومن العجب أننا لا نجد معلقا واحدا أو مفسّرا أو كاهنا يكلف نفسه عناء التفكير السليم أو يستخدم أدنى قدر من الذكاء لتفسير مغزى رفض عيسى السماح للحبر العالم أن يتبعه في حين منع أحد أتباعه من الذهاب لدفن أبيه، فطالما كان لدى عيسى مكان لثلاثة عشر رأس فلم يكن من المستحيل عليه إيجاد مكان للرأس الرابع عشر عدا أنه كان باستطاعته ضمّه إلى السبعين من تابعيه (لوقا ١٠/١)، خاصة أن الشخص الذي طلب أن يلتحق به لم يكن صياد سمك جاهل كأبناء زبدي ويونس بل كان عالما

ضليعا لا مجال للشك في علمه وإخلاصه وكان يعتقد أن عيسى هو المخلص المنتظر أي (ابن الإنسان) الذي يوشك أن يدعو جنوده من السماء ويستعيد ملك داود، لكن عيسى لاحظ اعتقاده الخاطئ وأفهمه بلباقة أن من لا يملك ذراعا يضع عليه رأسه لا يمكن أن يكون (ابن الإنسان) المظفّر فلم يرد أن يكون فظّا ولكن أفهمه الحقيقة بلطف ولباقة وأنقذه من التعلق بآمال وهمية.

٢- ينسب إلى عيسى المسيح القول أن (ابن الإنسان) سوف يفرز الخراف من الماعز (متّى ٢٥/٣١-٣٤)، ويقصد بالخراف اليهود المؤمنين والماعز اليهود غير المؤمنين الذين تحالفوا مع أعداء الدين ولذلك قُضي عليهم بالدمار، وهو ما تنبأت به رؤيا إدريس. لقد كان عيسى مرسلا لحث خراف بني إسرائيل على التمسك بإيمانها (متّى ١٥/٢٤) حتى مجيء (ابن الإنسان) الذي سينقذها بصورة نهائية إذا آمنت به، ولم يكن هو(ابن الإنسان) كما لم تكن له علاقة بالسياسة ولا بالخراف والماعز التي رفضته جميعا إلاّ ما قلّ منها.

٣- قيل إن (ابن الإنسان) هو (سيد يوم السبت) بمعنى أنه سوف يبطل القانون الذي جعل من السبت يوما للراحة محرّما، ولكن عيسى المسيح التزم بالسبت بدقة وكان يحضر الصلاة في الهيكل أيام السبت كما أمر أتباعه بالدعاء كي لا تكون هزيمة اليهود ودمار القدس في يوم سبت، فكيف يصح الزعم أنه (ابن الإنسان) و(سيد يوم السبت) رغم أنه كان يراعي أيام السبت ويحافظ على قداستها بدقة كأي يهودي آخر؟ وكيف يعقل أن يتخذ لنفسه هذا اللقب الهام في نفس الوقت الذي كان فيه يتنبأ بدمار القدس والهيكل؟

وهنالك الكثير من الأمثلة الاخرى التي تؤيد أن عيسى لا يمكن أن يكون قد أسبغ على نفسه لقب (بارناشا) أو (ابن الإنسان)، بل أنه نسب هذا اللقب إلى خاتم الأنبياء والرسل الذي أنقذ

(الخراف) أي اليهود المؤمنين وقضى على (الماعز) أي الكفار منهم وألغى يوم السبت وأقام مملكة السلام - الإسلام ..

وفي الحلقة التالية سوف أبيّن علامات (ابن الإنسان) كما وردت في الرؤى وكيف انطبقت حرفيا على آخر الأنبياء والرسل محمد عليه الصلاة والسلام.

الفصل العشرون

محمد هو المقصود بلقب (ابن الإنسان) المذكور في الرؤى

رأينا في الفصل السابق استحالة أن يكون عيسى المسيح هو(ابن الإنسان) الذي تنبأت به الرؤى اليهودية وأن عيسى لا يمكن أن يكون قد اتخذ لنفسه ذلك اللقب، ولو أنه فعل ذلك لجعل من نفسه أضحوكة أمام سامعيه.

لم يكن أمام عيسى سوى أحد أمرين: إمّا أن ينكر النبوءات والرؤى اليهودية المتعلقة بابن الإنسان على أنها اختلاق وأساطير، أو أن يؤكدها وينسب ذلك اللقب لنفسه بكل ما يترتب عليه من متطلبات لو كان هو فعلا ذلك الشخص المنتظر، أما الادعاء بأن ابن الإنسان جاء ليَخدُم لا ليُخدَم (متّى ٢٠/٨) وأن ابن الإنسان سوف يُسلّم لأحبار اليهود كي يُحكم عليه بالموت (متّى ٢٠/١٨) وأن ابن الإنسان جاء ليشرب الخمر مع العابثين في الحانات (متّى ١١/١٩) وأنه كان متسولا يعيش على صدقات الناس، كل ذلك كان سيعني الإهانة لأمّته اليهودية والإحتقار لتطلعاتها الدينية، أما التفاخر بأن ابن الإنسان جاء لإنقاذ خراف إسرائيل التائهة (متّى ١٨/١١) ولكنه مضطر لتأجيل ذلك إلى يوم القيامة، وحتى في يوم القيامة فسوف يُلقي بهم في النار، فهذا يعني الإحباط لآمال الشعب اليهودي الذي تشرف وحده - حتى ذلك الحين - باعتناق الدين الحق كما يعني الاحتقار لأنبياء اليهود وأصحاب الرؤى منهم.

فهل كان بإمكان المسيح انتحال ذلك اللقب؟ وهل كان كتّاب الأناجيل من اليهود حقاً؟ وهل يعقل أن يصدّق عيسى المسيح ما تزعمه عنه الأناجيل الحالية؟ وهل يمكن لأي يهودي حقيقي

أن يكتب هذه القصص عمداً لتثبيط اليهود وإحباط توقعاتهم؟ مـن المسـتحيل أن يكون قد حـدث ذلك. كما أنه من المستحيل أن ينتحل عيسى لنفسه هذا اللقب الفخم بين شعب كـان يعـرف حـق المعرفة من هو الصاحب الحقيقي لذلك اللقب، وإن مجرد الافتراض بأن عيسـى قد عمـل ذلـك يجعلني أنتفض، وكلما تعمقت بهذه الأناجيل ازددت اقتناعا بأنها نتاج غير يهـودي وأنها عبـارة عن عملية توازن لمضاهاة الرؤى اليهودية وخاصة الكتب السبيلية منها Sibyllian Books ولا يمكن أن يكون كُتّاب الأناجيل سوى النصارى اليونان الذين لم يكن لديهم أدنى اهتمام بادعـاءات سلالة إبراهيم، إن مؤلفي الكتب السيبيلية يضعون أنبياء اليهود إدريس وسليمان ودانيال وعزيـر جنبا إلى جنب مع حكماء اليونان هيرمس وهوميروس وأورفيوس وفيثاغورس وغيرهم بغـرض الدعاية للديانة اليهودية وقد كُتبت هذه الكتب بعد خراب القدس والهيكل وفي الفترة التي نُشـرت فيها رؤيا القديس يوحنا، وكان الغرض من الكتب السيبيلية التنبؤ أن ابـن الإنسـان العـبري[1] أو المخلّص المنتظر سوف يأتي ليهزم الرومان ويقدّم الدين الصحيح للعالم.

والآن بإمكاننا التحقق أن صفات وهوية (ابن الإنسـان) قد انطبقت علـى محمـد وحـده دون غيره وذلك استنادا إلى ما جاء في الأناجيل والرؤى معاً، وفي تتمـة هـذا الفصـل سـوف أبحـث البراهين التي وردت في الأناجيل ثم في الفصل الذي يليه أبحث البراهين الواردة في الرؤى.

الأناجيل:

يلاحظ في العبارات الواضحة والمتماسكة المنسوبة إلى عيسى المسيح أن لقب ابـن الإنسـان ينطبق على محمد وحده دون غيره، أما العبارات التي يفترض فيها أن عيسى المسـيح قد اتخـذ

---

١) ـ المقصود بكلمة عبري في معناها العام: أي كل ما ينسب إلى سلالة إبراهيم علية السلام، تلك السلالة التي تفرقت فيما =

ذلك اللقب لنفسه فنراها مفككة عديمة المعنى وفي غاية الغموض كما هي الحال في العبارات التالية مثلا:

(جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب الخمر وقيل انظروا شارب الخمر صديق أصحاب الحانات والعابثين..) (متّى ١١/١٨-١٩)، لقد وصفوا النبي يحيى بأنه كان شيطانا مع أنه لم يشرب الخمر وعاش على الماء والجراد والعسل البري وفي نفس الوقت وصفوا عيسى المسيح ـ ابن الإنسان المزعوم ـ الذي شرب النبيذ حسب قولهم بأنه (صديق أصحاب الحانات والعابثين)! فكيف يلومون نبيّا على صيامه وعفته وفي الوقت نفسه يتهمون رسولا من الله بالتردد على حانات الخمر وبأنه كان مولعا بالنبيذ، وهل يستطيع النصارى تحمل رؤية قسيس أو راعٍ للكنيسة يسلك هذا السلوك؟

قد يقولون إنه يختلط بجميع أنواع الخاطئين بغرض إرشادهم وإصلاحهم، غير أنه يجب أن يكون متزنا ومعتدلا في تصرفاته وسلوكه وليس شاربا للخمر، ثم يُقال لنا أن عيسى قد هدى اثنين من جباة الضريبة (متّى ٩/٩) (لوقا ١٩/١-١١) وعاهرة (يوحنا /٤) ومريم المجدلية التي كان بها مسّ من الشيطان (لوقا ٨/٢)، في حين كانت اللعنات والشتائم تنهال على رجال الدين والقانون (متّى /١٣ وغيره)، كل هذا يبدو مربكاً وصعب التصديق فلا يعقل أن عيسى المسيح كان مغرما بالنبيذ وأنه غيّر ستة براميل من الماء إلى نبيذ قوي كي يذهب بعقول السكارى في قاعة عرس في قانا (يوحنا ٢) ويتصرف كأنه أفّاق أو مشعوذ أو ساحر ينفذ

= بعد إلى بني إسماعيل وبني إسرائيل.

أعجوبة أمام الجماهير من السكارى! إن وصف عيسى بالسكير والنّهم وصديق المستهترين والعابثين ثم إعطائه بعد كل ذلك لقب (ابن الإنسان) يعتبر إنكاراً لكل الوحي اليهودي.

ويقال أيضا إن (ابن الإنسان جاء ليبحث عمّا ضاع ويسترده) (لوقا ١٩/١٠) ويفسر المعلقون هذه العبارة تفسيرا روحيا، ونحن نقرّ أنّ عيسى أُرسل فقط إلى (خراف إسرائيل الضالة) لإصلاحها وهدايتها ولا سيّما كي يبشرّها عن (ابن الإنسان) الذي سيأتي بالسلطة والخلاص لإعادة ما فُقد وإعادة بناء ما أصبح خرابا ثم لينتصر على الكفّار، ومن الواضح أن عيسى لم يكن ليستطيع أن يتخذ لنفسه لقب (بارناشا) المذكور في الروى ثم يعجز عن إنقاذ أحد باستثناء زخيوس وإمرأة سامرية وحفنة من اليهود الآخرين بمن فيهم الحواريين الذين قتلوا فيما بعد بسببه، والأرجح أن ما قاله عيسى هو (إن ابن الإنسان سوف يأتي ليبحث عما ضاع ويسترده) وبالفعل فقد جاء محمد واسترد ما كان قد ضاع، القدس ومكة والأراضي الموعودة وحقيقة الدين الصحيح وسلطة مملكة الله على الأرض.

ويقال أيضاً إن (ابن الإنسان سوف يُسلّم إلى أيدي الرجال..) (متّى ١٦/٢١) وهذا من جملة الأقوال التي جعلت عيسى موضوع الآلام والموت، ولا شك أنها اختُلقت من قبل كاتب دجال ـ لا يمكن أن يكون يهوديا ـ بهدف إقناع اليهود أن عيسى المسيح هو المخلّص الظافر المذكور في الروى غير أنه سوف ينتصر يوم القيامة وليس في هذه الحياة الدنيا، تلك كانت الدعاية الخبيثة التي صيغت خصيصا لليهود، ولكن النصارى اليهود اكتشفوا هذه الحيلة لأنه لا يوجد شيء أكثر مناقضة لتطلعاتهم من تصوير المخلّص ـ البرناشا العظيم ـ الذي ينتظرونه على أنه عيسى الذي حكم عليه كبار أحبارهم بالموت بتهمة إغواء الناس.

ولندرس الحجج التالية التي تبرهن أن عيسى المسيح لم يتخذ لقب ابن الإنسان لنفسه:

أ) تُخصص الرؤى اليهودية لقبي (المخلّص المنتظر) و(ابن الإنسان) لخاتم الأنبياء الذي يهزم قوى الظلام ويقيم في الأرض مملكة السلام ـ الإسلام ـ أي أن اللقبين مترادفان، وفي الأناجيل الثلاثة الأولى من العهد الجديد نقرأ أن عيسى نفى أن يكون هو المخلّص المنتظر ومنع تلاميذه من القول بذلك، وعندما سأل تلاميذه: (من تظنونني؟) أجابه سمعان بطرس: (أنت مسيح الله) فأمرهم أن لا يقولوا ذلك لأحد (لوقا ٩/٢٠-٢١) (متّى ١٦/٢٠) (مرقص ٨/٣٠) ويذكر متّى أيضا أن عيسى عليه السلام بعد أن لقّب بطرس بالصفا خوّله سلطة مفاتيح الجنة والنار (متّى ١٦/١٩) في حين أن مرقص ولوقا لم يذكرا شيئا عن ذلك، أما يوحنا فلم يسجل كلمة واحدة عن هذا الحوار.

ثم ينسبون إلى عيسى القول أن ابن الإنسان سوف يُسلّم إلى أعدائه ثم يُقتل فلو صحّ ذلك لكان اعترافا صريحا منه بأنه ليس المخلّص المنتظر، وقيل إن بطرس حذّر المسيح من تكرار هذا الكلام عن آلامه المقبلة وموته ولكن المسيح وبّخ بطرس قائلا بشدّة: (ارجع خلفي يا شيطان) (متى ١٦/٢٣)، فكيف يمكن التوفيق بين مكافأة بطرس بلقب (الصفا) الرفيع و سلطة (مفاتيح الجنة والنار) ثم إطلاق لقب (شيطان) عليه بعد لحظات؟!!

هذين القولين المتناقضين اللذين أوردهما متّى على لسان عيسى ـ أو جرى دسّهما عليه من قبل أحد المحرّفين ـ أحدهما يبطل الآخر، إذ خلال برهة قصيرة يسمّي بطرس صخرة الإيمان ويخوله مفاتيح الجنة والنار كما تتباهى الكاثوليكية بذلك (متّى ١٦/١٨-١٩) ثم يسميه شيطان الكفر (متّى ١٦/٢٣) كما تصفه البروتستانتية في معرض السخرية!!

ولو كان عيسى هو(ابن الإنسان) أو (المخلّص المنتظر) كما شاهده وتنبأ به كلّ من دانيال وعزير وإدريس والأنبياء والأحبار اليهود وآخرون لما منع تلاميذه من إعلان ذلك.

ولو كان هو(المخلّص المنتظر) أو (ابن الإنسان) لأصاب خصومه بالذعر ولهزم ودمّر الدولتين العظيمتين الرومانية والفارسية ولكان جنّد معه محاربين أشداء من أمثال علي وعمر وخالد وغيرهم كما فعل محمد، وليس من أمثال زبيدي ويونس اللذين اختفيا عندما جاءت الشرطة الرومانية للقبض عليه.

ومن المؤكد أنه يستحيل مجيء (ابنين للإنسان) أحدهما يخوض الحروب المظفرة ويجتث الوثنية وممالكها والآخر راهب من المساكين يزعمون أنه استشهد بصورة مزرية على أيدي الرومان الوثنيين والأحبار اليهود الذين لم يصدّقوه.

إن (ابن الإنسان) الذي رآه النبي حزقيال (ذو الكفل) تحت أجنحة الملائكة (سفر حزقيال/٢) ورآه النبي دانيال أمام عرش الله تعالى (سفر دانيال/٧) لم يكن ليُعلّق على الصليب كما زعموا ولكنه حوّل عروش الملوك الكفرة إلى صلبان لهم وحوّل قصورهم إلى مقابر، إن محمد وليس عيسى هو الذي حصل على لقب (ابن للإنسان) فالحقائق أبلغ من الأوهام والمعاذير.

ب) أطلق عيسى على (ابن الإنسان) لقب (سيد يوم السبت) (متّى ٨/١٢) وهذا أمر يلفت النظر لأن شريعة موسى ركّزت على قداسة اليوم السابع، فقد أتم الله تعالى عملية الخلق في ستة أيام وزعموا أنه استراح في اليوم السابع وقد أوجبوا الراحة الإلزامية على كل رجل وإمرأة وطفل وعبد وحتى الحيوانات تحت طائلة عقوبة القتل بحجة أن الوصية الرابعة من الوصايا العشر تقول (تذكّروا يوم السبت وقدّسوه) (سفر الخروج ٨/٢٠) ويدّعي تلامذة التوراة

أن الله كان غيورا حول مراعاة يوم الراحة وهنالك احتمال قوي أن السبت اليهودي جاء في الأصل من (السباتو) Sabattu البابلي.

وقد دحض القرآن الكريم ادعاء اليهود أن الله سبحانه عمل ستة أيام ثم تعب كما يتعب البشر وذلك في قوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يُغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (سورة الأعراف، الآية: ٥٤)، وقوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسّنا من لغوب﴾ (سورة ق، الآية: ٣٨).

وقد طغى اليهود في تفكيرهم المادي حول يوم السبت فبدلا من جعله يوما للراحة والمتعة حولوه إلى يوم من الحرمان والحبس والملل فمنعوا فيه الطبخ والخروج والإحسان وتقديم الصدقات وكان أقل خرق لذلك يعاقب عليه بالقتل أو الرجم، وقد زعموا أن موسى حكم على مسكين بالرجم لأنه التقط من الأرض حطبا يوم السبت، كما أنهم وبّخوا بعض الحواريين لحصادهم القمح يوم السبت رغم جوعهم، ومن المفارقات أن رجال الدين في الهيكل كانوا يخبزون الخبز ويقدمون التضحيات في يوم السبت ولكنهم وبّخوا المسيح لأنه بمعجزة شفى رجلا فقد ذراعه يوم السبت (متّى ١٢/١٠-١٣) ولذا أجابهم المسيح بأن السبت وُجد لفائدة البشر وليس البشر لفائدة السبت، والواضح أن عيسى المسيح لم يتقيد بالتفسير الحرفي للتعليمات المشددة القاسية حول السبت لأنه أراد الرحمة والعطف وليس الشدة والغلظة ومع ذلك فهو لم

يفكر في إلغاء يوم السبت ولم يكن في وسعه المغامرة بذلك إذ لو فعل واستبدل يوما آخر به لهجره أتباعه ولهاجمه جمهور اليهود ورجموه.

يقول المؤرخ اليهودي يوسف فلافيوس ويوزبيوس وآخرون : إن جيمس ـ الأخ المزعوم لعيسى ـ كان (ايبيوناتيا Ibionite) متشددا وقد تزعم النصارى اليهود الذين تقيدوا بشريعة موسى وبالسبت بكل ما فيه من مظاهر، وثم تدريجيا استبدله النصارى اليونان (الهلينيستيون) بـ (يوم الرب) أي يوم الأحد ولكن الكنائس الشرقية ظلت تراعي يومي السبت والأحد معا حتى القرن الرابع الميلادي

فلو كان عيسى (سيدًا ليوم السبت) لكان عليه أن يعدّل من قانونه القاسي أو يلغيه كلية ولكنه لم يفعل، وقد فهم اليهود جيدا من كلامه أن المخَلِّص المنتظر هو سيد يوم السبت وهذا هو السبب في سكوتهم وهنا كما في أماكن أخرى من الأناجيل يوجد حذف متعمد في الأناجيل الثلاثة الأولى من العهد الجديد حيث حذفوا بعض مواعظ عيسى عن (ابن الإنسان) مما سبب الغموض والتناقض وسوء الفهم، وما لم نتخذ القرآن الكريم مرشدا ونعترف بمحمد على أنه النبي الذي هدفت إليه الكتب المقدسة فإن جميع المحاولات للوصول إلى الحقيقة أو إلى استنتاج معقول ستنتهي بالفشل.

قرأت مؤخرا مؤلفات العالم الفرنسي أرنست رينان عن (حياة المسيح والقديس بولس والدجال) وذهلت لكمية المراجع التي اعتمد المؤلف عليها حتى أنه ذكّرني بجيبون Gibbon وأمثاله ومع ذلك ماذا كانت نتيجة أبحاثه وأبحاث غيره؟ لم تكن سوى صفرا أو تحت الصفر، إنهم بمثل هذه الكتابات يشوهون المعتقدات ويسممون العواطف الدينية ولو أنهم استرشدوا بروح

القرآن لوجدوا أن محمد هو المصداق الحرفي والواقعي للكتب المقدسة، إن المتدينين يريدون دينا واقعيا عمليا وليس كلاما نظريا، يريدون ابن الإنسان القوي الذي يقضي على أعداء الله ويبرهن فعلا أنه (سيد يوم السبت) فيلغيه لأن اليهود أساؤوا استعماله مثلما أساء النصارى استعمال عبارة (أبوّة الله) وهذا ما فعله محمد بالضبط وقد كررت مرارا أنه لا يمكن فهم كتب اليهود والنصارى المحرفة إلاّ عند تمحيص أقوالها الغامضة والمتناقضة على ضوء القرآن، إذ بواسطته فقط يمكن تمييز الحقيقي عن المزيف، فمثلا عندما نقرأ عن الرهبان الذين أحلّوا السبت في الهيكل يُنسب إلى عيسى قوله (أقول لكم ها هنا الشخص الذي هو أعظم من الهيكل) (متّى ٦/١٢) فلا أجد تفسيرا لعبارة ها هنا سوى أن تكون (سوف يكون ها هنا) لأنه لو تجرأ عيسى أو أي نبي قبله فأعلن أنه أعظم من الهيكل لهاجمه اليهود فورا بتهمة الكفر ما لم يكن هو (ابن الإنسان) الحقيقي الذي أعطي السلطان والقوة كما كان رسول الله محمد.

وقد ألغى القرآن الكريم عطلة يوم السبت في الآية (٩) من سورة الجمعة وكان العرب قبلها يدعون يوم الجمعة (العَروبة) ويقابلها في نسخة (البشيتا) السريانية كلمة (عَروبتا) المشتقة من الكلمة الآرامية (عَرَب) بمعنى غَرَبَ ـ من غروب الشمس ـ لأنه بعد غروب الشمس يوم الجمعة يبدأ السبت الذي اقتبست قداسته من شريعة موسى، أما سبب اختيار الجمعة فذو مغزى مزدوج:

أولاً: في يوم الجمعة اكتملت عملية الخلق العظيمة لهذا الكون وكان ذلك أول حدث يقطع السرمدية ويُبرز الزمان والمكان والمادة إلى حيّز الوجود فوجب إحياء ذكرى هذا الحدث المعجز وإضفاء القداسة عليه.

ثانياً: إن المؤمنين يتجمعون في هذا اليوم فسُمّي الجمعة؛ لأنه يوم الجماعة، قال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (سورة الجمعة، الآية: ٩) أما بعد انتهاء صلاة الجمعة فلا شيء يمنع من استمرار المؤمنين في أعمالهم كالمعتاد.

ج) سبق أن شرحنا عبارة (متّى ١١/١٨) التي تنص أن مهمة ابن الإنسان هي استرداد ما ضاع، أما تلك الامور التي ضاعت والمفترض استردادها فهي على نوعين دينية وقومية:

١- إعادة دين إبراهيم الصحيح بتنقيته من المعتقدات والانحرافات الدخيلة وإعادة طابعه العالمي وإعادة جميع الشعوب والقبائل التي انحدرت من سلالة إبراهيم إلى دين السلام ـ الإسلام ـ بالآرامية (دينا شلاما)؛ لأن دين موسى كان دينا قوميا خاصا باليهود وأيضا كان عيسى المسيح يهوديا ولم يكن مطلوبا منه إنجاز مثل هذا العمل الضخم فهو يقول: (لا تظنوا أني جئت لأنقض القانون والأنبياء) (متّى ٥/١٧-١٩)، ومن ناحية أخرى كان لا بد من محو الوثنية والخرافات والشعوذة التي انتشرت بين العرب وإعادة عقيدة التوحيد تحت راية (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله).

٢-توحيد الأمم المنحدرة من سلالة إبراهيم وتحريرها من الأفكار الفاسدة العنصرية التي أدخلوها على كتبهم المقدسة مثل التعصب العنصري ضد غير اليهود، فاليهود يحتقرون الأبناء الآخرين لجدهم العظيم إبراهيم من سلالة إسماعيل والأدوميين Edomites وبقية القبائل الإبراهيمية وقد استمر هذا التعصب والتعالي حتى عندما صار بنو إسرائيل أسوأ الوثنيين

والكفرة، وإن ما ورد في سفر التكوين أنه بالإضافة لختان إبراهيم وإسماعيل فقد تم ختان ٣١١ ثلاثمائة وأحد عشر من جنوده وعبيده الذكور إن ذلك يعتبر حجة دامغة ضد تعصب اليهود تجاه الشعوب الأخرى من أبناء عمومتهم، إن مملكة داود لم تكد تغطي في زمنها مساحة ولايتين صغيرتين من ولايات الدولة العثمانية، وإن المخلّص الأخير (ابن داود) الذي لا زال اليهود ينتظرونه اليوم قد لا يكون قادرا على احتلال حتى هاتين الولايتين، عدا أن المقصود من مجيئه كان القضاء على الإمبراطورية الرومانية التي سُحقت على يد محمد فماذا يريدون غير ذلك؟!

لقد أسس محمد (ابن الإنسان المنتظر) مملكة السلام ـ الإسلام ـ التي دخل فيها طواعية أكثرية اليهود في شبه جزيرة العرب والشام والعراق وغيرها كما أسس أخوّة شاملة نواتها أسرة إبراهيم ومن أعضائها العرب والفرس والأتراك والأكراد والبربر والصين والزنج والجاويين والهنود والإنكليز.. إلخ فشكّلوا أمة واحدة (أمثا ـ دا ـ شلاما) بالسريانية أي الأمّة الإسلامية.

٣- استرداد الأراضي الموعودة بما في ذلك أرض كنعان وجميع الأراضي من النيل إلى الفرات وامتداد مملكة الله من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي، كل ذلك ما هو إلا تحقّق فعلي ومدهش لجميع النبوءات عن سيد الأنبياء والبشر.

الفصل الواحد والعشرون

ابن الإنسان بحسب الرؤى اليهودية

من الأبحاث السابقة تبين لنا أن لقب (برناشا) أو (ابن الإنسان) ليس كلقب المسيح الذي كانوا يطلقونه على كل نبي وكاهن وملك ممسوح بالزيت وإنما هو اسم علم يختص بخاتم الأنبياء والرسل فقط، وقد وصف المتصوفون وكتّاب أسفار الرؤى (ابن الإنسان) على أنه الرسول الذي سوف يأتي في الوقت المناسب لينقذ القدس وبني إسرائيل من الوثنية والاضطهاد وينشئ المملكة الدائمة لعباد الله المخلصين، وقد رأى فيه المتصوفون المخلّص القوي ذا الإلهام والقوة والمجد، ولم يسبق لأي نبي أو متصوف قط أن ادعى أنه (ابن الإنسان) أو أنه سوف (يعود ثانية في اليوم الآخر ليحكم بين الأحياء والأموات)، فقط المجمع المسكوني في نيقية (٣٢٥ ق م) هو الذي نسب ذلك الادعاء المزعوم إلى عيسى المسيح.

وقد تكرر استعمال هذا اللقب على لسان المبشرين الأوائل مما يدل على معرفتهم الأكيدة بالرؤى اليهودية Apocalypses واعتقادهم الراسخ بمصداقيتها وقداستها، ومن البدهي أن الرؤى التي حملت أسماء إدريس وموسى وباروخ وعزير قد كُتبت قبل الأناجيل بوقت طويل، ثم قام مؤلفو الأناجيل بعد ذلك باستعارة لقب (ابن الإنسان) من تلك الرؤى مما يفسر تكرار ورود اللقب في الأناجيل الحالية.

ولا شك أن عيسى المسيح كان يعلم أن (ابن الإنسان) هو شخص غيره لأنه كان يعلم تمام العلم طبيعة مهمّة ابن الإنسان والإنجازات المطلوب منه تحقيقها حسب تنبؤات أصحاب الرؤى

الذين كان عيسى يعتبرهم من ذوي الإلهام، ولو أن عيسى اعتقد أنه (ابن الإنسان) حقًا لوقع في تناقض ضخم وتوهم أضخم مما يؤدي بنا ـ والعياذ بالله ـ إلى نتيجة ليست في صالح نبي معصوم، وإن الطريقة الوحيدة لتبرئة المسيح من ذلك هو أن ننظر إليه كما وصفه وشرّفه القرآن، وعليه فإننا ننسب جميع الأقوال المتناقضة والمنسوبة إليه في الأناجيل إلى مؤلفي الأناجيل أنفسهم أو الذين حرّفوها بعدهم(١).

وقبل أن نستمر في دراسة موضوع ابن الإنسان كما صورته أسفار الرؤى اليهودية يجب أخذ الحقائق التالية بعين الاعتبار:

أولا: إن أسفار الرؤى ليست من ضمن الكتاب اليهودي المقدس وليست حتى من ضمن الكتب الأسطورية (الأبوكريفية) التي تسمى Deutro-Canonical من ضمن كتب العهد القديم.

ثانيا: إن مؤلفي تلك الأسفار غير معروفين رغم أنها تحمل أسماء إدريس وموسى وباروخ وعزير، ومن الواضح أن مؤلفيها الحقيقيين كانوا على علم بالخراب النهائي للقدس وتشتّت اليهود تحت حكم الرومان، ويحتمل أن انتحال أسماء قدامى الأنبياء لهذه الأسفار سببه عواطف وتوجهات دينية معينة، وشبيه بذلك ما كتبه (أفلاطون) على لسان معلّمه (سقراط).

ثالثا: ورد على لسان كبير الأحبار (بول هاجناور)(٢) ما يلي:

---

(١) من المهم ملاحظة أن كلام المؤلف قد تطابق مع ما ورد في كتاب (الأسفار الخمسة) الذي صدر في أمريكا عام ١٩٩٣م والذي شارك في تأليفه أكثر من مائتين من علماء ودكاترة اللاهوت، حيث قرروا أن حوالي ٨٢٪ من الأقوال المنسوبة للمسيح في الأناجيل غير صحيحة، انظر التعريف في مقدمة الكتاب، المترجم.

Paul Haguenauer, Manuel de Litterature Juive, Nancy 1927 (2)

احتوت هذه الأسفار على أفكار جدلية غامضة غيبية حاولت تفسير أسرار الطبيعة وأصل الإله وتصورات الخير والشر والعدالة والمن الماضي والحاضر، ونسبت كل ذلك إلى الوحي على لسان الأنبياء من أمثال إدريس وموسى وباروخ وعزير، ومن الواضح أنها من نتائج عهود الكوارث اليهودية المؤلمة وعليه لا يمكن فهمها أكثر مما يمكن فهم سفر الرؤيا الذي يحمل اسم القديس يوحنا.

رابعا: لقد حرّف المسيحيون أسفار الرؤى حيث نجد في سفر إدريس أن (ابن الإنسان) يدعى أيضا (ابن المرأة) وتارة يدعونه (ابن الله) مما يعتبر تحريفا باتجاه نظرية الكنيسة حول تجسد الإله، إذ يستحيل على أي يهودي أن يكتب أو يخطر على ذهنه عبارة (ابن الله).

خامسا: يلاحظ أن الاعتقاد بمجيء المخلّص المنتظر ليس إلا تطويرا متأخرا للنبوءات القديمة عن آخر الأنبياء والرسل الذي بشر به يعقوب وأنبياء آخرون، ولم يرد الادعاء بأن هذا (المخلّص الأخير) سوف يأتي من نسل داود إلا في الكتب الأبوكريفية المشكوك بصحتها وفي أسفار الرؤى اليهودية ومخطوطات الحاخاميين، صحيح أن هنالك تنبؤات أخرى بخصوص (ابن داود) حصلت بعد الأسر البابلي وبعد نفي القبائل العشر إلى بلاد الآشوريين حيث المفترض أن يأتي ابن داود كي يجمع شتات إسرائيل ولكن هذه التنبوءات لم تتحقق إلا جزئيا وبشكل محدود جدا على زمن (زيروبابل) وهو من نسل داود، ثم أنه بعد غزو الإسكندر المقدوني كانت تتكرر تلك النبوءات، ورغم ادعاءات البعض فإن تلك النبوءات لم تتحقق في شخص يهوذا المكابي الذي حارب بنجاح ضئيل لا يكاد يذكر ضد أنطوخيوس إبيفانس أحد خلفاء الإسكندر (١٦٧ ق. م) وكان نجاحه مؤقتا غير ذي قيمة.

وإن أسفار الرؤى التي تمتد رؤاها إلى حقبة ما بعد خراب القدس على يد الإمبراطور الروماني تيطوس (٧٠ م) تنبأت بأن (ابن الإنسان) سوف يظهر بسلطة عظيمة لدحر السلطة الرومانية وأعداء إسرائيل الآخرين، وقد انقضت قرون عديدة من الزمن قبل هزيمة إمبراطورية روما في القرن الخامس الميلادي بواسطة الإمبراطور التركي أتيلا الوثني، ثم انهيار إمبراطورية بيزنطة على يد المسلم التركي السلطان محمد الفاتح في القرن الخامس عشر، ولكن السلطة الرومانية كانت قد اندحرت قبل ذلك بكثير من الأراضي الموعودة لإسماعيل على يد خاتم الأنبياء محمد المصطفى.

وهكذا لم يعد هنالك مبرر عند اليهود لانتظار مخلّص آخر، فلو كنت يهوديا متحمسا لراجعت هذا الأمل عن مجيء المخلّص المنتظر، وحتى لو ظهر (ابن داود) على تل صهيون وادّعى أنه المخلّص المنتظر فأكون أول من يقول له: مهلا لقد تأخرت كثيرا فلا تفسد التوازن في فلسطين ولا تسفك الدماء لأن أي نجاح قد تحققه لن يتعدّى النجاح الذي حققه أجدادك: داود، وزيروبابل، ويهودا المكابي، إن الفاتح اليهودي الكبير لم يكن داود بل جاء قبله بكثير وهو(يوشع بن نون) إذ كان هو المسيح الأول الذي بدلا من أن يحاول هداية القبائل الوثنية الكنعانية التي أبدت منتهى الكرم والاستقبال الطيب تجاه إبراهيم وإسحاق ويعقوب فإنه أعمل فيها المذابح دون شفقة ولا رحمة، لقد كان يوشع المذكور مسيح ذلك الزمن مثلما كان كل قاضٍ وملك يهودي خلال حوالي ثلاثة قرون يدعي أنه المسيح والمخلّص، لقد كانوا يتنبؤون بظهور مخلّص جديد كلما حلت بهم كارثة كبرى وكالعادة فان الخلاص الذي يأتي بعد الكارثة كان دوما محدودا جدا وغير كافٍ.

أما النصارى الذين يدّعون أن عيسى هو ابن الإنسان فإني أقول لهم: لو كان عيسى هو المخلّص المنتظر لبني إسرائيل لكان حرر اليهود من النير الروماني سواء صدّقه اليهود أم لم يصدّقوه، فالخلاص يأتي أولا ثم العرفان بالجميل يأتي ثانيا وليس العكس، لقد كان اليهود بحاجة لبطل يحررهم ولم يكونوا بحاجة لنبي يأتي بالمعجزات والخوارق فكل تاريخهم كان منسوجا بالعجائب والمعجزات التي لم تزدهم إيمانا بل زادتهم تمردا وكفرا، لقد رفض اليهود عيسى المسيح ليس فقط لأنه لم يكن (ابن الإنسان) المذكور في الرؤى أو لأنه لم يكن هو المسيح أو لأنه لم يكن نبيا، فقد كانوا يعلمون جيدا أنه لم يكن (ابن الإنسان) وهو نفسه لم يدّع ذلك، وكانوا على علم بأنه نبي حقيقي ولكنهم رفضوه لأنه صرح بأن المخلّص المنتظر لن يكون ابنا لداود ولكن سيدا له (متّى ٢٢/٤٤-٤٦) (مرقص ١٢/٣٥-٣٧) (لوقا ٢٠/٤١-٤٤) وقد ورد في إنجيل برنابا على لسان عيسى أنه سوف يتم الوفاء بالعهد على يد (شايلوه) أي رسول الله المنحدر من نسل إسماعيل، ولهذا السبب يصف التلموديون عيسى بأنه (بلعام الثاني) أي النبي الذي تنبأ لمصلحة الوثنيين على حساب اليهود كما يدّعون، والواضح أن تقبّل اليهود لعيسى أو رفضهم له لم يكن له علاقة بطبيعة رسالته، ولو كان هو المخلّص الأخير لكان أخضع اليهود لسلطانه وقهر السلطة الرومانية كما فعل محمد، وسوف أبين الآن أن (ابن الإنسان) المذكور في أسفار الرؤى لم يكن غير محمد المصطفى.

١- إن الوصف الرائع الذي تضمنته رؤيا النبي دانيال (دانيال/٧) يجعل من المستحيل أن تنطبق أوصاف (البرناشا ـ ابن الإنسان) على أحد من أبطال المكابيين أو على عيسى المسيح، وإن الوحش الفظيع الذي قهره (ابن الانسان) في رؤيا دانيال لا يمكن أن يكون خليفة الإسكندر

أنطوخيوس إيبفانس ولا نيرون قيصر روما، لقد بلغ الشر ذروته في ذلك الوحش الفظيع لأنه نطق بالكفر بالله تعالى بجعله ثلاثة آلهة بدلاً من إله واحد وكذلك باضطهاده المؤمنين الذين ثبتوا على الوحدانية، إن الوحش لم يكن سوى قسطنطين الكبير الذي ادّعى النصرانية ورعى المجمّع المسكوني الأول في نيقية عام ٣٢٥ م.

٢- تنبّأ سفر إدريس ـ كما ذكرنا في فصل سابق ـ عن ظهور (ابن الإنسان) عندما تهاجم طيور جارحة ووحوش مفترسة قطيعا صغيرا من الغنم يدافع عنه كبش كبير، وعند ظهور (ابن الإنسان) فإنه يهزم العدو ويطرد قوى الشر التي تمثلها الطيور الجارحة والوحوش الضارية، ثم يسلّم السيف ـ رمز السلطة والقوة ـ إلى القطيع الذي يرأسه بعد ذلك ثور أبيض له قرنان أسودان بدلا من الكبش.

هذه الرؤيا رمزية بالطبع فمنذ أيام يعقوب كان يرمز إلى الشعب المختار بقطيع الغنم أما أحفاد عيص فقد وُصفوا بأنهم خنازير برية، وأما الوثنيين والكفار فهم الغربان والنسور والوحوش المفترسة، ومن الغريب أن معظم مفسري الكتاب اليهودي المقدس يقنعون أنفسهم أن هذه الرؤيا تشير إلى صراع المكابيين ضد جيوش أنطوخيوس إيبفانس (١٦٧ ق م) والذي استمر حتى موت حنّا هوركانوس (١١٠ ق م) ولكن هذا التفسير خاطئ تماما ومن شأنه أن يجعل هذه الرؤيا غير ذات بال، إذ من غير المعقول أن يقوم إدريس ـ وهو نبي ما قبل الطوفان ـ بسرد تاريخ البشرية ابتداء من آدم ثم ينتهي بحنّا هوركانوس أو بأخيه يهودا المكابي المرموز إليه بالثور الأبيض حسب زعم المفسرين، ثم تبقى بعد ذلك جماعة المؤمنين ـ المرموز لها بقطيع الغنم ـ فريسة للرومان والنصارى والوثنيين، ذلك أن حروب المكابيين ونتائجها كانت

تافهة ولم تحسم الصراع بين الإيمان والكفر والوثنية أضف إلى ذلك أنه لم يظهر بين المكـابيين نبي يؤسس الحكم المسيحاني المسمّى في الأناجيل (مملكة الرب)، وعـلاوة علـى ذلـك فـإن هـذا التفسير لا يتمشى مع الشخصيات الرمزية لأحداث الرؤيا مثل قائد القطيع الذي يحمل في يده الصولجان والكبش والثور الأبيض.

أضف إلى ذلك أن الشرح النصراني لرؤيا إدريس لا يفسر مغزى التحول عن القدس إلـى جهة أخرى شطر الجنوب أي إلى بيت الله العتيق في مكة المكرمة والذي اتجهت إليه ليس فقط الخراف المؤمنة بل ومختلف القبائل والشعوب الوثنية التي اعتنقت ديانة (ابن الإنسـان) قـاهر الوثنية والكفر.

والواقع أن رؤيا إدريس ربطـت تسلسل الأحداث بصورة مجازيـة ابتـداء مـن آدم وانتهـاء بشخصية نبي مكة، وهنالك العديد من الحجج التي تثبت ذلك:

أ) إن قطيع الخراف بقسميه كان يرمز إلى أهل الكتاب يهودا كانوا أو نصارى من المؤمنين بوحدانية الله من جهة، والذين أشركوا معـه المسيح والـروح القدس مـن جهـة ثانيـة، وتقـول الأناجيل أنه في يوم القيامة سوف يتم فرز الغنـم عـن المـاعز أي المؤمنين عـن الكفـار (متّـى ٢٥/٣٢-٤٦) مما يؤكد هذا الرأي، أما الكبش الوارد في الرؤيا فيحتمل أنه يرمز إلى أريوس أو إلى بعض القادة الموحّدين من النصـارى الصـادقين أو الحاخـام الأكبر لليهـود المؤمنين الذين واجهوا عدوا مشتركا، وطالما عرّفنا قسطنطين بـالقرن الشـرير فإننـا نستطيع تعريـف أريـوس بالكبش لأنه ترأس مجموعة الموحدين في المجلس المسكوني في نيقية (٣٢٥م) ودافع بشدة عـن الدين الصحيح ضد عقيـدة التثليث الفظيعـة، أمـا صفـة (الشـعب المختـار) فقد زالـت عـن بنـي

إسرائيل منذ كفروا برسالة عيسى المسيح وبعدها صار المؤمنون برسالة المسيح الحقيقية وبرسالة خاتم الأنبياء هم الشعب المختار.

ب) لقد أنقذ (ابن الإنسان) قطيع الغنم من أعدائه ثم أعطى للغنم الصولجان الذي يقال له في العبرية (شبت) وهو شعار السلطة والتشريع، أما ذلك الصولجان الصغير الذي كان قد منحه الله إلى عشيرة يهودا فقد ذهب منهم وأعطي رسول الله (شايلوه) صولجانا أكبر وأشد بطشا عوضا عنه (سفر التكوين ٤٩/١٠) ومن الرائع والمدهش حقا كيف تحققت الرؤيا عندما أصبح صولجان محمد شعارا للسلطة الإسلامية في الجزيرة العربية وفي جميع الأراضي الموعودة التي كان فيها شعب الله محل اضطهاد قوى الوثنية: فارس واليونان والروم.

ج) كانت الرؤى ترمز إلى جميع الأنبياء إلى زمن إسماعيل عليه السلام بالثيران البيضاء ولكن بعد يعقوب صارت الكباش هي الرمز لأن الديانة العالمية تقلصت عند اليهود فجعلوها ديانة قومية يهودية، وهنا أيضا تحققت رؤيا عجيبة فالثيران البيضاء التي رمزت إلى كبار زعماء الديانة العالمية القديمة رمزت أيضا إلى الخلفاء المسلمين مع فارق واحد تميزوا به إذ كان يُرمز إليهم بثيران بيضاء ذات قرون سوداء كناية عن شعار السلطة المزدوجة الروحية والدنيوية، فالخليفة ذو السلطتين الروحية والدنيوية كان يتبعه المؤمنون من كافة السلالات والشعوب واللغات وقد بينت الرؤيا بوضوح أن المرتدين والكفار سوف يدخلون في القطيع وبالفعل دخل في الإسلام آلاف اليهود والنصارى والصابئين وملايين من العرب والشعوب الوثنية الأخرى ومن المفارقات الجديرة بالذكر أن الدماء التي أريقت في جميع المعارك التي خاضها النبي محمد وصحابته لم تكن شيئا بالمقارنة مع الدم الذي أراقه يوشع في حروبه، كما

أنه لم تسجل حادثة قسوة واحدة من قبل رسول الله الذي كان رؤوفا رحيما متسامحا ولهذا السبب كان وحده من بين البشر الذي رمزت إليه الرؤيا بأنه (ابن الإنسان) أي كمثل الإنسان الأول آدم قبل خطيئته.

د) أسس (ابن الإنسان) مملكة السلام كما أسس العاصمة الروحية لها التي لم تعد القدس القديمة ولكن القدس الجديدة في الجنوب وقد وصفت لنا الرؤيا بشكل عجيب كيف سترفع القدس من أرضها وتزرع في بلاد جنوبية، فما أروع تلك المنجزات التي تمت بواسطة خاتم الأنبياء، إن القدس الجديدة لم تكن إلا مكة التي تقع جنوبا والمرتفعين فيها وهما (المروة) و(الصفا) يحملان نفس الاسمين (موريا) و(زيون) للمرتفعين الموجودين في القدس ولهما نفس المعنى وهكذا صارت مكة القبلة الجديدة التي يتجه إليها المسلمون في صلاتهم وحجّهم، كما أنه تحقيقا لرؤيا إدريس فقد أعاد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بناء المسجد الأقصى على جبل موريا (المروة) مكان مسجد سليمان، كل هذا يثبت بمنتهى الروعة أن تلك الرؤيا كانت إلهاما إلهيا عن الأحداث الإسلامية التي سوف تتحقق في المستقبل البعيد، فهل استطاعت روما أو بيزنطة أن تدّعي أنها هي القدس الجديدة؟ وهل يستطيع البابا أو أي بطريك من البطاركة أن يدّعي أنه هو الثور الأبيض ذو القرنين المرموز إليه في الرؤى؟

وهل تستطيع النصرانية أن تدعي بأنها مملكة السلام في الوقت الذي تجعل المسيح والروح القدس جوهرا واحدا متماثلا مع الإله الأحد؟ قطعا لا، لأن الإسلام هو مملكة السلام (الإسلام – شالوم).

هـ) في فصول الرؤيا التي تبحث موضوع مملكة السلام يُدعى المسيح (ابن الإنسان) ولكن عند وصف يوم القيامة فهو يُدعى (ابن المرأة) و(ابن الله) وقد جعلوه يشاطر الله سبحانه وتعالى إصدار الأحكام على عباده يوم الحساب، وقد أقر جمهور العلماء أن هذه الأفكار السخيفة المغالية ليست من أصل يهودي ولكنها مخترعات وإضافات مسيحية.

أما أسفار الرؤى الأخرى المنسوبة إلى موسى وباروخ وعزير و Jubilees و Oracula Sibylliana فيجب دراستها بموضوعية لأنه عندئذ فقط يمكن أن تفهم ويثبت تحققها في محمد ودين الإسلام فقط.



مؤلف الكتاب

هو البروفيسور عبد الأحد داود المسمى سابقاً (دافيد بنجامين كلداني) وذلك عندما كان كاهناً كاثوليكياً من طائفة الكلدان. «ويوجد نبذة عن حياته في مقدمة الكتاب».

وقد أجاب المؤلف عندما سئل عن سبب إسلامه قائلا: إن السبب الوحيد لاعتناقي الإسلام هو الهداية الإلهية التي كان ممكنا لولاها أن تقودني جميع علومي وأبحاثي إلى الضلال. وإنني في اللحظة التي آمنت بها بأن (لا إله إلا الله) أصبح رسول الله محمد ﷺ قدوة لي في سلوكي وتصرفاتي.

هذا الكتاب

يكشف المؤلف عن النبوءات التي تضمنتها كتب العهدين القديم والجديد عن قدوم خاتم الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم الملقّب في كتبهم بالنبي المنتظر والمبعوث لكل الأمم وابن الإنسان المخلّص الأخير والمنقذ والنبي الأحمد المبشّر بالإسلام ورسول الله والسيّد الآمر مؤسس مملكة الله في الأرض، ويستند البروفيسور عبد الأحد داود في ذلك على معرفته الدقيقة ليس فقط بكتب اليهود والنصارى ولكن بمعرفته اللغات العربية والآرامية واليونانية واللاتينية أيضاً. كما يكشف المؤلف عن حقيقة تلك الكتب والمتناقضات التي تضمنتها.

ISBN 5-311-20-9960

